
هنيئاً لمن عرفه
أسماء الجلال
خالد أبو شادي
د. خالد أبو شادي

طيبة
للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: هنيئًا لمن عرف ربه

(أسماء الجلال)

التأليف: د. خالد أبو شادي

موضوع الكتاب: إيمانيات

عدد الصفحات: 288 صفحة

عدد الملازم: 9 ملازم

مقاس الكتاب: 17 × 24

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

الإيداع القانوني: ؟؟؟؟؟؟ /2015

الصف التصويري: آرت للتجهيزات الفنية



tibaadv@yahoo.com

ت: 01012355714 - 01152806533





المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١]

أما بعد..

فهذا هو الجزء الثاني من

(هنيئا لمن عرف ربه)

وهو الذي يحوي

(أسماء الجلال)

وهدفها أسماء الجلال تنمية الخوف من الله والمهابة والتعظيم وتوقير رب العالمين في قلوب العباد، وهو خوف مترسّخ لا يتذبذب، وأنفع الخوف مَا حجزك عَنِ المعاصي، وأطال منك الحزن عَلَى مَا فاتك، وألزمك الفكرة فِي بقية عمرك.

وما لم يعتدل رجاء المؤمن مع خوفه فلن يستقيم إلى الله سير، ولن يثبت في قلبه خير، وهو توازن مطلوب في ظل انقسام الناس إلى فريقين: صاحب رجاءٍ بلغ حد الأماني الكاذبة أو صاحب خوفٍ ألبس القلوب لباس اليأس والعجز.

قال أبو علي الرّوذباري:

«الخوف والرجاء كجناحي الطّائر إذا استويا استوى الطّير وتمّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النّقص، وإذا ذهبا صار الطّائر في حدّ الموت»[(١)].

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٧.

ورجحان كفة الخوف يكون ضرورةً لا غِنى عنها عند استعار الشهوات وتتابع السيئات، فقد قال **إبراهيم بن سفيان:**

«إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد الدّنيا عنه»[1].

والخوف سوط الله يقوِّم به الشّاردين عن بابه، فإن من الناس من لا تُجدي معه مواعظ الترغيب إلا أن تُمزَج بزواجر الترهيب.

والله أسأل أن ينفع كل قارئ بكلمات هذا الكتاب وأن يزيده بها معرفة بربه، وخوفا منه، وحرصا على حدوده ومحارمه.



---

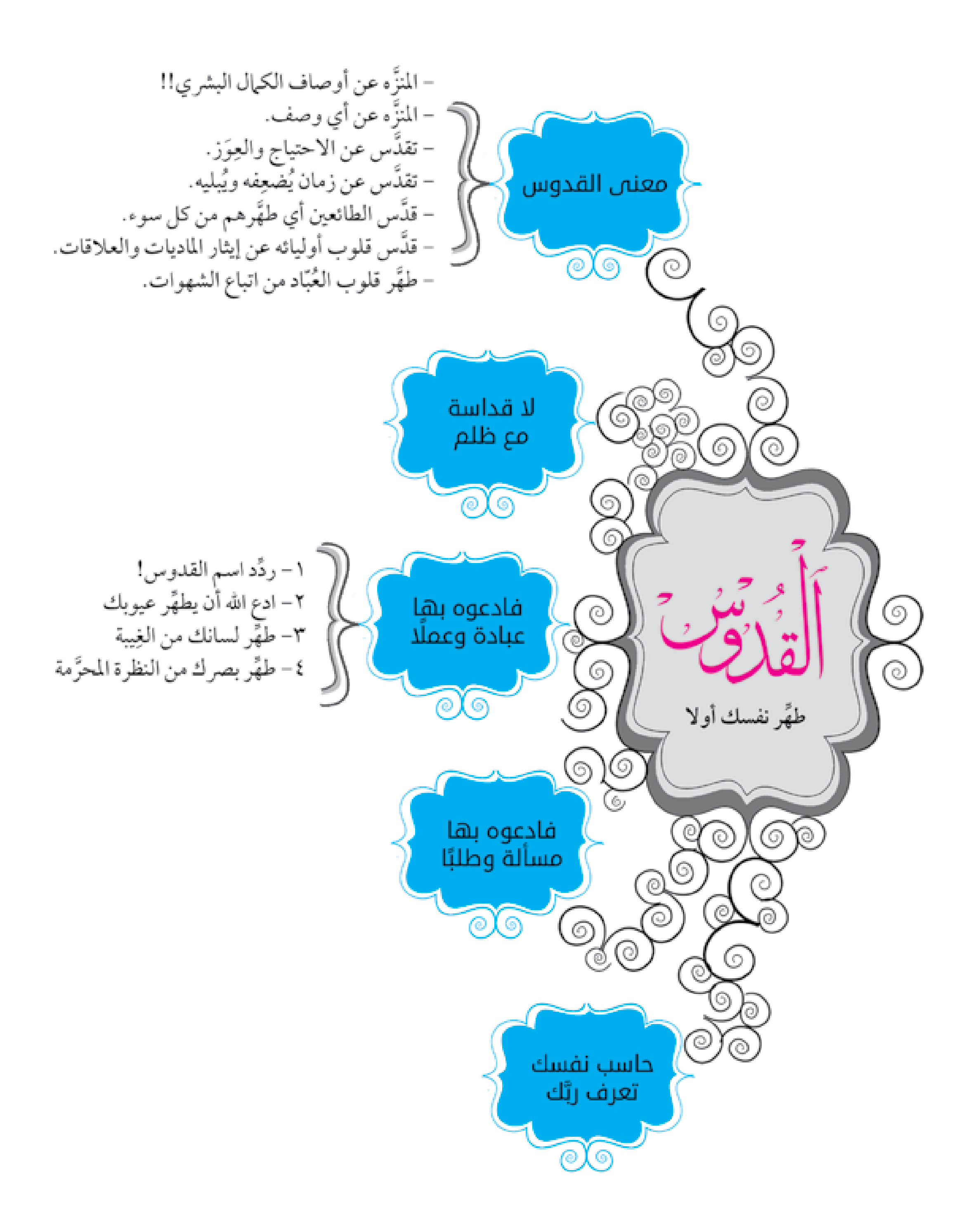
(١) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٧٧.



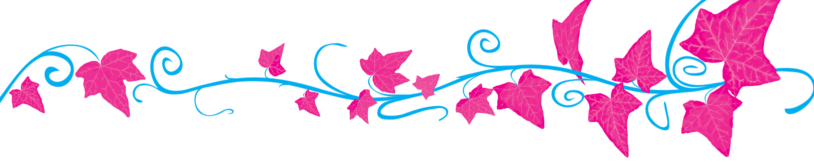
طهِّر نفسك أولا

قال ابن القيم : ((القدوس)): المُنَزَّه من كل شرٍّ ونقصٍ وعيب؛ كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب، المُـنزَّه عمَّا لا يليق به.


طهر قلبي يا قُدُّوسِ



القُدُّوس
طهِّر نفسك أولا
معنى القدوس
- المنزَّه عن أوصاف الكمال البشري!!
- المنزَّه عن أي وصف.
- تقدَّس عن الاحتياج والعِوَز.
- تقدَّس عن زمان يُضعِفه ويُبليه.
- قدَّس الطائعين أي طهَّرهم من كل سوء.
- قدَّس قلوب أوليائه عن إيثار الماديات والعلاقات.
- طهَّر قلوب العُبَّاد من اتباع الشهوات.
لا قداسة مع ظلم
فادعوه بها عبادة وعملًا
١- ردِّد اسم القدوس!
٢- ادع الله أن يطهِّر عيوبك
٣- طهِّر لسانك من الغِيبة
٤- طهِّر بصرك من النظرة المحرَّمة
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرف ربَّك





أولا: معنى القدوس

القُدُّوس: على وزن فُعُّول، وهو من القدُس، والقُدُس له معنيان:

الأول: البركة

والأرض المقدسة أي: المباركة، وهو قول مجاهد في قول الله ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ قال: هي المباركة[1].

ويقويه أن اللهَّ تعالى قد بيَّن أن الأرض المقدسة مباركة، وذلك في قوله تعالى:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[الإسراء:١].

الثاني: الطهارة

والتقديس: التطهير، وسُمِّي سيدنا **جبريل** روح القدس؛ لأنه طاهر من العيوب وبالأخص في تبليغ الوحي، والأرض المقدَّسة: الأرض المطهرة، وسُميت الجنة حظيرة القُدُس، لأنها مُطهَّرة من آفات الدنيا، وفي حديث **أنس** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال عن رب العزة:

«من تَرَك الخمر وهو يقدِر عليه لأُسقِينَّه منه في حظيرة القُدُس، ومن تَرَك الحرير وهو يقدِر عليه لأكْسُوَنَّه إياه في حظيرة القُدُس»[2].

◈ ما معنى ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ في سورة البقرة؟

قال **الضَّحاك** وغيره:

«نطهِّر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك»[3].

يعني أن الملائكة تقول: يا رب نحن نطهِّر أنفسنا ونقدسها كي نكون أهلاً للإقبال عليك، وهي مهمة الإنسان في هذه الدنيا: أن يقدس نفسه أي يطهِّرها كي، فهذا هو ثمن دخول الجنة، والتي لا يدخلها إلا الطيبون: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾..

أي طبتم من دنس المعاصي، وطهرتم من خبث الخطايا، فادخلوا الجنة خالدين فيها.

وإن لم تتطهَّر في هذه الدار، ووافيت الدار الأخرى بدَرَنِك وخُبثِك أُدخِلت النار تطهيرا لك، ويكون

(١) الدر المنثور ٣/ ٤٧ – جلال الدين السيوطي – دار الفكر – بيروت.
(٢) صحيح لغيره: رواه البزار عن أنس كما في صحيح الترغيب والترهيب ٢٣٧٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧٧ – دار الكتب المصرية

عرف ربه القدوس من نزَّهه عما لا يليق به من صفات وأفعال وأحوال.

مكوثك في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث، فإذا تطهَّرت التطهر التام فكَّ الله أسرك من العذاب.

◈ إذا دُعي أحدكم لحفل كريم أو لقاء هام أو مقابلة شخصية ذات قدر عظيم، فانظر كيف يكون اعتناؤه بمظهره، وبتفاصيل المقابلة، وبكل حركاته وسكناته، فلذلك قالت الملائكة في حضرة القدوس:

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

◈ ينظِّف الإنسان بيته، ويرتِّب غرفة الاستقبال، ويهتم بموديل سيارته، ويرتدي أجمل ثيابه.. لماذا؟ ليتزيَّن أمام الخلق، فكيف لا يتزيَّن للخالق؟!

القلب محل نظر الله، فكيف لا يطهِّره العبد من خبث الذنوب والحسد والحقد والخيانة؟!

من معاني هذا الاسم الجليل أن القدوس هو المنزَّه عن كل وصف من أوصاف الكمال البشري!!

يرى الإنسان في نفسه كمالات ونقائص، فالعلم والحلم والصبر والسمع والبصر والإرادة أمثلة للكمالات.

والجهل والعمى والضعف واللؤم والحقد والغضب نقائص.

فإذا أراد الإنسان أن يثني على الله عز وجل نسب إليه الكمالات البشرية التي يعرفها ويستوعبها عقله البشري، لكن.. كل ما خطر ببالك عن الله أعلى وأعظم وأجلُّ من ذلك، وهذا من معاني (الله أكبر) التي نهتف بها في اليوم عشرات المرات: أن كل ما عَرفتَ عن الله عز وجل، فالله أكبر منه وأجلُّ.

فإذا قلت أن الله منزَّهٌ عن النّقائص والمعايب، فإنَّ هذا يقترب من سوء الأدب مع الله..

ألم تر أن السيف يهوي بقدره ... إذا قيل السيف أمضى من العصا

لو كنت في حضرة الملك وقلت: إنك لست كاذبا! أيقبل هذا منك؟ هل تمدح ملكًا بأنه ليس بكاذب، والله إن هذا من سوء الأدب.

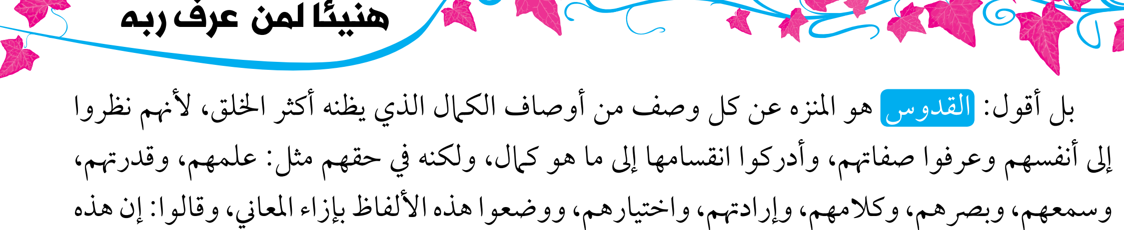
والقاعدة تقول:

نفي الشيء فرع من تصوره، فإذا نفيت عن أحد نقيصةً، فبالإمكان أن تقع هذه النقيصة منه، وهذا سوء أدب مع الخالق.

ما ذكرناه هو شرحٌ لما قاله **الغزالي** في كلام رائق في تعريفه لاسم القدوس:

«ولست أقول: منزَّه عن العيوب والنقائص، فإن ذكر ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب، فليس من الأدب أن يقول القائل: ملك البلد ليس بحائك ولا حجّام، فإن نفي الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود، وفي ذلك الإيهام نقص.

ما عرف ربه القدوس من ظنَّ به ظنَّ السوء في صفاته وأفعاله وأحواله.



بل أقول: القدوس هو المنزه عن كل وصف من أوصاف الكمال الذي يظنه أكثر الخلق، لأنهم نظروا إلى أنفسهم وعرفوا صفاتهم، وأدركوا انقسامها إلى ما هو كمال، ولكنه في حقهم مثل: علمهم، وقدرتهم، وسمعهم، وبصرهم، وكلامهم، وإرادتهم، واختيارهم، ووضعوا هذه الألفاظ بإزاء المعاني، وقالوا: إن هذه أسماء الكمال.

وإلى ما هو نقص في حقهم، مثل: جهلهم، وعجزهم، وعماهم، وصممهم، وخرسهم، فوضعوا بإزاء هذه لمعاني هذه الألفاظ، ثم كان غايتهم في الثناء على الله ووصفه أن وصفوه بما هو أوصاف كمالهم من علم وقدرة وسمع وبصر وكلام، وأن نفوا عنه أوصاف نقصهم، وهو منزَّه عن أوصاف كمالهم، كما أنه منزَّه عن أوصاف نقصهم»(١).

وقال **الغزالي** في تعريف آخر لاسم القدوس:

«هو المنزَّه عن كل وصف يدركه حسٌّ، أو يتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يقضي به تفكير»(٢)، فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، بل أجلُّ وأعظم وأعلى وأكبر من ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

ⓒ القدوس من تقدَّس عن الحاجات والعِوز.. أما أنت فمحتاجٌ فقير، ومع كل قدراتك وإمكاناتك وعلمك وذكائك وعلاقاتك، فإن كل ذلك يتلاشى أمام شربة ماء أو نفَس هواء لو منِعت عنك لمتَّ، لهذا كاد الخليفة **هارون الرشيد** على عظمة ملكه المتسع شرقًا وغربًا أن يشتري شربة وبولة بمُلكه كله أو يزيد!

ⓒ القدوس من تقدَّس عن زمان يُضعِفه ويُبليه، فالإنسان مثلا في سِنِّ الستين ليس كما كان بالثلاثين أو العشرين، يعني أن الزمن يُضْعِف قوَّته ويُبليه، فيحتاج إلى قطع غيار كثيرة! فيلبس نظارة طبية ويضع أسنانا صناعية حين يبلغ سن الشيخوخة!

ⓒ القدوس الذي قدَّس عباده الطائعين أي طهَّرهم من كل سوء، فإذا رضي القُدُّوس عن العبد جعله طيِّبا مستقيمًا عفيفًا سليم الصدر، ليس في قلبه غلٌّ ولا حقدٌ ولا غشٌّ، ولا يملك مفتاح هذه الهداية والاستقامة والطهارة سوى الله عز وجل، ولذا كان الدعاء متوجِّها إلى الله وحده:

«اللهم طهِّر قلبي من النِّفاق، وعملي من الرِّياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنَّك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور».

(١) المقصد الأسنى ص ٦٩ – ط مكتبة القرآن.
(٢) المقصد الأسنى ص ٦٥ – ط مكتبة القرآن.

عرف ربه القدوس من نزَّه الله عن الحاجات والعِوَز وغيرها من صفات البشر.

ﰇ القدوس من قدَّس قلوب أوليائه عن الركون إلى الماديات كالطعام والشراب والمسكن والأموال والثمين من الممتلكات، فلا يقدِّم محبتهم على محبة الله ورسوله، وأما غيره فمُستَهلَك، تستهلِكه هموم الدنيا ومتاعها، فلا تدع فيه متَّسَعًا للآخرة، بينما قلب العابد لا يسمح لها أن تستنزفه، بل يستهلِكها ويسخِّرها في مرضاة الله، وهذا هو الزهد الحقيقي.

ﰇ القدوس من طهَّر نفوس العُبّاد بإبعادهم عن اتباع الشهوات، فمن عبد الله بهذا الاسم فقد طهَّر نفسه عن متابعة الشهوات، وطهَّر ماله عن الحرام والشبهات، وطهَّر وقته عن دنس السيئات، أي حرص أن يراه الله حيث أمره، ويفقده حيث نهاه.

واذكروا الشاب الذي استأذن النبي ﷺ، فوضع رسول الله يده على صدره، وقال: **«اللهم طهِّر قلبه، واغفر ذنبه، وحصِّن فرجه»**، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

ثانيًا: لا قداسة مع ظلم!

نفى رسول الله ﷺ القداسة عن الأُمَّة الظَّالمة فلا طهر فيها ولا بركة، فقال:

«لا قُدِّسَتْ أُمةٌ لا يَأْخُذُ الضَّعيفُ فيها حَقَّه غَيْرَ مُتَعْتَع»[2].

المتعتع: المقلق المنزعج، وقال ﷺ:

«كَيف يُقدِّسُ اللهُ قوما لا يُؤْخَذُ لضعيفهم من شديدهم»[3].

وهذا الحديث جاء في سياق أعاجيب أرض الحبشة التي رآها الصحابة أثناء هجرتهم، واسمع إلى **جابر بن عبد الله** رضي الله عنه:

لما رَجَعَت إلى رسول الله ﷺ مُهَاجِرة البحر، قال: ألا تُحَدِّثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟

قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس مرَّت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قُلَّة من ماء، فمرَّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثمَّ دفعها، فخرَّت على ركبتيها، فانكسرت قلَّتها، فلمَّا ارتفعت، التفتت إليه، فقالت:

سوف تعلم -يا غُدَر- إذا وضع الله الكرسيَّ، وجمع الأولين والآخرين، وتكلَّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا.

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده رقم: ٢٢٢١١ والطبراني في الكبير رقم: ٧٦٧٩.
(٢) صحيح: رواه ابن ماجة عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: ٢٤٢١ وصحيح المشكاة رقم: ٣٠٠٤.
(٣) صحيح لغيره: رواه ابن حبان عن جابر كما في التعليقات الحسان رقم: ٥٠٣٦.



قال: يقول رسول الله ﷺ:

«صَدَقَت صَدَقَت، كيف يقدِّس الله أمَّة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟!»(١).

قال **المناوي**:

«استخبار فيه إنكار وتعجُّب، أي: أخبروني كيف يُطهِّر الله قومًا لا ينصرون العاجز الضَّعيف على الظَّالم القويِّ، مع تمكُّنهم من ذلك؟ أي: لا يطهِّرهم الله أبدًا»(٢).

فظلم البعض يَنْتَقِص من طهارة الأمة وبركتها إلا أن تقاوم الظلم وتحاصره، فلا قداسة لأمة ولا وطن ولا جماعة فشا فيها الظلم وانكسر فيها المظلوم، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا جيدا، فكتب **أبو الدَّرْداء** رضي الله عنه إلى **سلمان الفارسيِّ** ليهاجر من العراق إلى الأرض المقدَّسَة؛ وهي الشَّام، فَرَدَّ عليه **سَلْمان** ببلاغة تُوَضِّحُ مفهومَ القداسة:

«إنَّ الأرضَ لا تُقَدِّسُ أحدًا؛ وإنَّما يُقَدِّسُ الإنسانَ عَمَلُه»(٣).

وقد تعلَّمها **سلمان** رضي الله عنه من غير فقيه!

فقد صلى **سلمان الفارسي** مع **أبي الدرداء** رضي الله عنهما يومًا في بيت نصرانية، فقال لها **أبو الدَّرداء**:

هل في بيتك مكان طاهر فنصلِّي فيه؟!

فقالت:

«طهِّرا قلوبكما، ثمّ صلِّيا أين أحببتما.

فقال **سلمان** لأخيه **أبي الدرداء**: خذها من غير فقيه»(٤).

تطهير فوق تطهير!

يريد القدوس أن يطهِّرك من الظلم، ومن كل ما يتعلق بالظلم، ولو كان في نظرك يسيرًا وكان عند الله خطيرًا، ومن ذلك: الركون إلى الظلمة، فقال سبحانه:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

أي لا تميلوا أدنى ميلٍ إلى الذين صدر عنهم الظلم ولو قلَّ، فلم يصفهم الله بالظالمين بل بالذين ظلموا،

(١) حسن: رواه ابن ماجة وأبو يعلى وابن حبان، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة رقم: ٣٢٥٥.
(٢) فيض القدير ٥/ ٥٩.
(٣) موطأ مالك رقم: ١٤٦٤.
(٤) إغاثة اللهفان ١/ ١٥٣.

عرف ربه القدوس من توجَّه إليه في تطهير قلبه وسلامته من النفاق والرياء والكبر والعُجب.

فإذا كان الميل إلى من وُجِدَ منه أي ظلم يُفضي إلى النارِ، فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم؟! ويؤيِّد المسرفين في العُدوان؟!

وما الظنُّ بِمَن يتسابق إلى صحبتهم ويتودَّد إليهم؟!

وما الظن في من يمُدُّ عينيه إلى زهرة حياتهم، ويحسدهم على ما وصلوا إليه عن طريق ظلمهم؟!

وإذا كان هذا مصير من مال إلى ظالم، فما ظنك بالظالم نفسه؟!

ولذا كانت الآية أبلغَ ما يُتصوَّر في النهي عن الظلم مع ما فيها من تهديدٍ للظالمين.

والركون إلى الشيء:

الاعتماد عليه، ورُكْنِ الشيء: جانبه الأقوى، وما تتقوى به من ملك وجند وغيره، ومنه قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾.

وعدم الركون إلى الظلمة مفهوم جامع شامل يغطي دوائر الظالمين في كل زمان ومكان.

قال **الفضيل بن عياض**:

«ممن كانوا، وحيث كانوا، ومَنْ كانوا، وفي أي زمان كانوا»[1].

ويترتب على هذا النهي الجازم نواهٍ أخرى:

لا تعملوا أعمالهم، ولا ترضوا عنها، ولا تمدحوهم عليها، ولا تتركوا أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولا تأخذوا من حرام أموالهم شيئا، ولا توادّوهم بقلوبكم، أو تخالطوهم بأبدانكم، فكل هذا يشمله النهي عن الركون إليهم.

ومن أسرار هذا النهي وحكمته:

أن ركونك إلى الظالم يؤنس وحشته، ويغريه بالمزيد من ظلمه، وأن ابتعادك عنه وهجرك له يزلزل بنيانه؛ ويُضعِف نفوذه؛ وفي هذا عزلةٌ له وردعٌ له عن الظلم.

يقول الشيخ **الشعراوي** رحمه الله:

«وأدنى مراتب الركون إلى الظالم ألا تمنعه من ظلم غيره، وأعلى مراتب الركون إلى الظالم أن تزيِّن له هذا الظلم؛ وأن تزيِّن للناس هذا الظلم»[2].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٠ – ابن أبي حاتم – مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية.
(٢) تفسير الشعراوي ١١/ ٦٧١٥.

ما عرف ربه القدوس من لم يدعُ الله بأن يطهِّر قلبه وعمله، وإنما أكثر دعواته دنيوية.





ثالثا: فادعوه بها عبادة وعملا

١- ردّد اسم القدوس:

كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده:

«سُبُّوح قدوسٌ رب الملائكة والروح»(١).

وكان النبيُّ ﷺ يسبِّح الله بعد فراغه من صلاة الوتر كما في حديث أُبي بن كعب:

«كان رسولُ الله ﷺ يقرأ في الوتر بِسبِّح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، فإذا سلَّم قال: سبحان الملك القُدُّوس ثلاث مرات»(٢).

٢- ادع الله أن يطهِّر عيوبك:

وأن يطهِّرك من دنس آفاتك في جميع حالاتك، وأن يطهِّر قلبه من كل شهواته، ومن جوامع الأدعية النبوية الجديرة بأن يحفظها كل مسلم:

«اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء»(٣).

٣- طهِّر لسانك من الغِيبة:

لعلَّ الله أن يطهِّر قلبك عن الغيْبَة عنه.

---

(١) صحيح: مسلم رقم: ٤٨٧ كتاب الصلاة - باب ما يقول في الركوع والسجود.

(٢) صحيح: أخرجه الإمام أحمد ٥/ ١٢٣، وأبو داود ١٤٣٠، والنسائي في الوتر ٣/ ٢٤٤، وابن أبي شيبة في المصنف رقم: ٩٧٦٢ عن طلحة الأيامي عن زر عن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب مرفوعًا به.

(٣) صحيح: رواه الترمذي والطبراني والحاكم كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٩٨.

وكان من دعاء النبى ﷺ يقول: «اللهم طهِّرنى بالثلج والبَرَد والماء البارد، اللهم طهِّرنى من الذنوب كما يُطَهَّر الثوبُ الأبيض مِنَ الدَّنَس» [صحيح: رواه مسلم والنسائى كما في إرواء الغليل رقم: ٨].

ولاحِظْ كيف جمع النبى ﷺ بين سؤال الله لطهارة البدن وسؤاله لطهارة القلب في دعاء واحد، (فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء، فلما اجتمع له الطُّهران صَلَحَ للدخولِ على الله تعالى، والدخول بين يديه ومناجاته) [إغاثة اللهفان ص ٦٠].

قال **ابن القيِّم** في تعليق بديع على الجمع بين الطهارتين: «والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفا على الطهارة، فلا يدخل المصلى عليه حتى يتطهر. وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفا على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر. فهما طهارتان: طهارة البدن، وطهارة القلب.

ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقيب وضوئه: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين». فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء. فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى، والوقوف بين يديه ومناجاته). [إغاثة اللهفان ١/ ٥٦]. واجعل دعاءك بطهارة القلب لك ولغيرك من المسلمين، كما دعا النبي ﷺ للشاب الذي جاءه يستأذنه في الزنا: «اللهم اغفِر ذنبه وطهِّرْ قلبه وحصِّن فَرْجه» [صحيح: رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٧٠].

عرف ربه القدوس من طهَّر قلبه من حب الدنيا والتعلق بها، وجعلهما في يده لا قلبه.

٤- طهِّر بصرك من النظرة المحرَّمة:

ليهب الله لك نور بصيرتك، فإن من أطلق بصره في الحرام حجب الله بصيرته عن تمييز الحلال من الحرام والحق من الباطل.

٥- طهِّر نفسك من الظلم:

لا تظلم أحدًا، وتبرَّأ من الظلم والظالمين، ولا تركن إليهم، ولترد المظالم إلى أهلها قبل أن ياتي يوم لا تملك هذه المزِيَّة، فلا دينا ولا درهم، ولا توبة ولا رجوع، بل حساب شديد على ما مضى من بغي أو عدوان.

رابعا: فادعوه بها مسألة وطلبا

نسألك باسمك القدوس..

«اللهم طهِّر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور».

نسألك باسمك القدوس..

(اللهم طهِّرني من الذنوب بالثلج والبرد والماء، اللهم طهِّرني من الذنوب كما يُطهَّر الثوب من الدنس).

نسألك باسمك القدوس..

أن تطهِّر باطننا من كل ما لا يرضيك كما طهَّرت ظاهرنا بكل ما يرضينا.

نسألك باسمك القدوس..

أن تطهِّر قلوبنا من حب الدنيا، وتجعل في قلوبنا بدلا منها حب الآخرة..

نسألك باسمك القدوس..

أن تطهِّر قلوبنا من كل شهوة تردينا، وهوى يُشقينا، وغنى يُطغينا، وخطايا تهدِم فينا.

نسألك باسمك القدوس..

أن تطهِّر قلوبنا من الكذب والخيانة، وأن تجعل مكانها الصدق والأمانة.

ما عرف ربه القدوس من تعلَّق بحب الدنيا فآثرها على آخرته.





خامسا: حاسب نفسك تعرف ربك

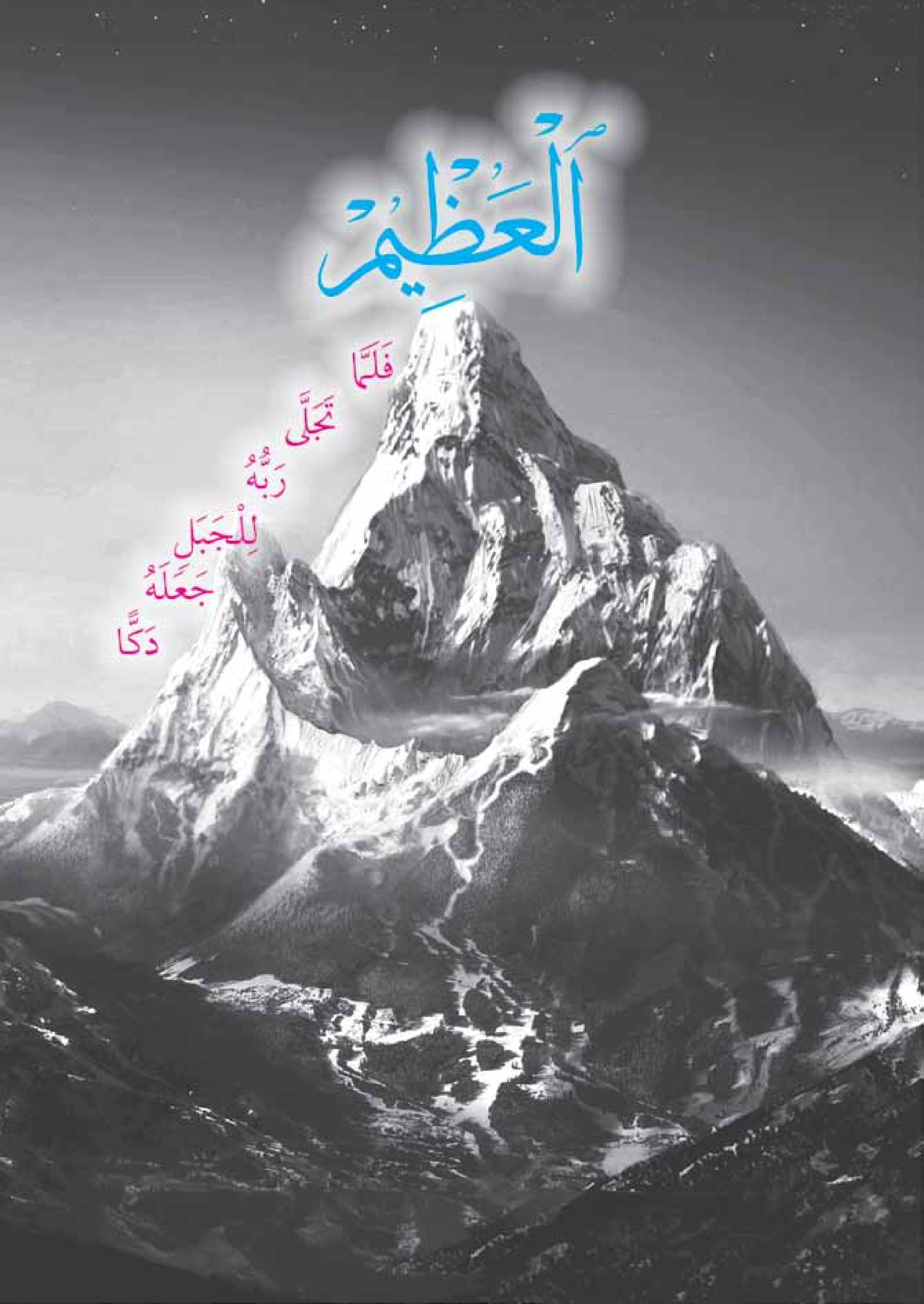
	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	كم مره تطهِّر نفسك بالاستغفار والتوبة يوميا - أسبوعيا - شهريا؟!			
٢	هل تتزين للقاء الله عند ذهابك غلى المسجد كنوع من استشعار زيارة الله في بيته، كما تتزين لمقابلة العبادِ؟			
٣	هل تحاسب نفسك على إخلاص النية لله والتطهر من مراءاة الناس؟!			
٤	هل تناجي الله وتدعوه مستحضرا تنزيهه عن العجز والبخل؟!			
٥	هل طهَّرت مالك من الرشوة أخذا ودفعا ومن الربا ومن صور اكل الحرام؟!			
٦	هل راقبت نفسك في عدم ظلم غيرك بجوارحك، وراقبت قلبك في عدم موالاة ظالم لكي لا تنزَع البركة من حياتك؟!			
٧	هل تنصر المظلوم إذا وقع ظلمه أمام عينيك، وذلك مخافة أن تنالك عقوبة الله؟			
٨	هل تدعو الله باسمه القدوس في الوتر والركوع والسجود؟!			

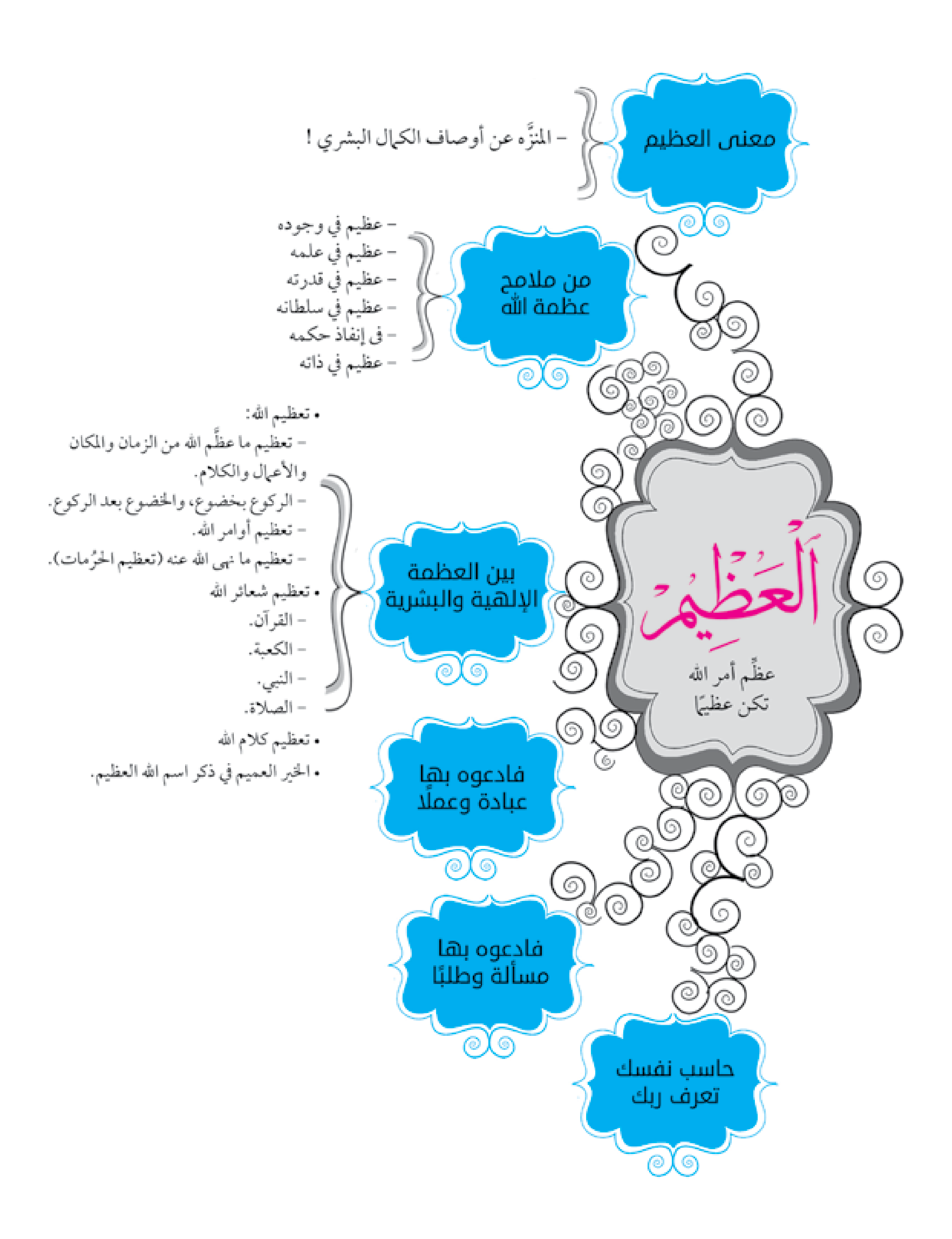
عرف ربه القدوس من حافظ على كل عبادة تكفِّر الذنوب وتطهِّر القلوب.



عظِّم أمر اللّٰه.. تكن عظيمًا

ذو العظمة، ومعناه: عظمة شأنه وجلال قَدْره الذي جاوز حدودَ العقل؛ حتَّى لا يتصوَّر الإحاطةَ بكُنْهِه وحقيقته أحد.


اَلْعَظِيمُ
فَلَمَّا
تَجَلَّى
رَبُّهُ
لِلْجَبَلِ
جَعَلَهُ
دَكًّا



العَظِيمُ
عظِّم أمر الله
تكن عظيمًا
معنى العظيم
- المنزَّه عن أوصاف الكمال البشري !
من ملامح عظمة الله
- عظيم في وجوده
- عظيم في علمه
- عظيم في قدرته
- عظيم في سلطانه
- فى إنفاذ حكمه
- عظيم في ذاته
بين العظمة الإلهية والبشرية
• تعظيم الله:
- تعظيم ما عظَّم الله من الزمان والمكان والأعمال والكلام.
- الركوع بخضوع، والخضوع بعد الركوع.
- تعظيم أوامر الله.
- تعظيم ما نهى الله عنه (تعظيم الحرُمات).
• تعظيم شعائر الله
- القرآن.
- الكعبة.
- النبي.
- الصلاة.
• تعظيم كلام الله
• الخير العميم في ذكر اسم الله العظيم.
فادعوه بها عبادة وعملًا
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرف ربك





أولاً: معنى العظيم

ورد اسم **العظيم** في القرآن (تسع مرات).

معنى **العظيم** في اللغة:

العظيم: خلاف الصغير، عَظُم يَعظُم عِظَمًا وعِظامَة: كَبُر.

ومعنى عَظَّم الأمر: كبَّره، ومعنى أعظمه واستعظمه: رآه عظيمًا.

والتعظيم: التبجيل، والعظمة: الكبرياء.

والتعظيم في النفس: هو الكبر والزهو والنخوة.

والعظمة والعظموت: الكِبر.

ويقال: عظيم لمن اتصف بالعظمة.. أي كبر واتسع وعلا شأنه وارتفع.

ويُقال: لفلان عظمة عند الناس أي حرمة يعظَّم من أجلها.

وفي الحديث: «من تعظَّم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»[(١)].

قال **الحليمي** في معنى **العظيم**، وأنه مختصٌّ بالله وحده، ولا يُطلق على غيره إلا مجازًا:

«إنه الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق، ولأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم الذي لا يقدرون على مقاومته ومخالفة أمره، إلا أنه وإن كان كذلك، فقد يلحقه العجز بآفات تدخل عليه في ما بيده، فيوهنه ويضعفه حتى يُستطاع مقاومته، بل قهره وإبطاله، والله تعالى جلَّ ثناؤه قادرٌ لا يعجزه شيء، ولا يُمكن أن يُعصى كرهًا، أو يُخالَف أمره قهرًا، فهو **العظيم** إذًا حقًّا وصدقًا، وكان هذا الاسم لمن دونه مجازًا»[(٢)].



ثانيا: من ملامح عظمة الله

١. عظيم في وجوده:

لا شيء قبله، ولا شيء بعده، فهو الحي الباقي على الدوام، فوجوده أزلي أبدي ذاتي، وإذا كان الفناء صفة الخلق، فإن البقاء صفة الخالق، والحداثة من صفات الخلق، لكن القِدَم من صفات الخالق.

(١) صحيح: رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر رقم: ٦١٥٧

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٩٤ - مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية

عرف ربَّه العظيم من قدَّم أمره على أمر المخلوق، فلم يطع المخلوق في معصية الخالق.

وما بين وجودك ووجود الله بون شاسع! فشتان بين الوجودين، فوجود الإنسان يسبقه عدم وينتهي إلى عدم، فهو حادث فانٍ؛ ولذا قال الله لنبيه وأكرم خلقه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾، فمن يملك منا إذًا استمرار وجوده وعوامل بقائه؟!

إن وجود الإنسان في هذه الحياة متعلِّق بالأسباب، فلو مُنِعَت عنه لمات، فانقطاع الهواء أو الماء أو الطعام يؤدي إلى الموت، بل وتبرز هنا كذلك أهمية الناحية النفسية وليس البدنية فحسب، فلو حرمتَ زوجًا من زوجته لاختل توازنه، ولو حرمت والدًا من أولاده لشعر بالقلق والوحشة، فوجود الإنسان في هذه الحياة قائم على غيره، وبأسباب لا يملكها.

أما الله العظيم فلا يحتاج لأحد، حاشاه، ويحتاجه كلُّ أحد.

٢- عظيمٌ في علمه:

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾.

إن علمنا محدودٌ بحدود ما نرى ونسمع، لكنَّ علم الله يشمل كل شيء.. ما ظهر وما خفي، وما برز وما استتر.

سبحانه.. علِم ما كان، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فأي عظمة تدانيه؟! وأي شريك أعظم منه تُواليه؟!

٣- عظيم في قدرته:

يصاب أحدنا بمرض عضال لا شفاء منه، فيتوجه إلى العظيم بالدعاء، ويُلقي بنفسه على أعتاب ربه، فتقع العجائب وتحدث الخوارق، ويتوقف نشاط الخلايا السرطانية، وينحسر المرض؛ لأن العظيم أمر بهذا.

فسبحان من قهر عباده بالمرض، وقهَر المرض، وقهر بالجبابرة والطغاة عصاة خلقه، وقهر الجبابرة والطغاة بالموت، فلم يقبض ملَك الموت إلا من أذن الله له به.

٤- عظيم في سلطانه:

سلطانه ممتد في كل مكان وأي زمان ومع سائر الخلق، وإن الإنسان ضعيفٌ مقهورٌ بسلطان الله العظيم، فكلُّ أجهـــزته بيد الله وحده، ولو أمرها الله أن تتوقف لمات في الحال، وحواسه بيد الله، فلو تعطَّلت لتحوَّل صخرة جامدة.

٥.عظيم في إنفاذ حكمه:

ما عرف ربَّه العظيم من قدَّم أمر الخلق على أمر الخالق؛ خوفًا أو طمعًا.





العظيم فعَّال لما يريد، يقول للشيء كن فيكون، فكل شيء وقَع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع؛ ولو كره الله وقوعه وحدوثه ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، ولذا لا يليق للإنسان أن يكون عبدًا لغير الله.

وحين يحكم بالحياة أو الموت، أو النفع أو الضر، فليس للزمن اعتبار في أفعاله؛ لذلك لم يقل سبحانه: إن أجل الله سيأتي، بل قال ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] على وجه التحقيق، فالله تعالى يحكم على المستقبل، وكأنه ماضٍ مُحقَّق؛ لأن العظيم لا يمنعه عن مراده مانع، ولا يحول دونه حائل.

٦- عظيم في ذاته:

العظيم عظيم لأن العقول لا تصل إلى كنه صمديته، وتعجز الأبصار عن أن تدرك سرادقات عزته، فكل ما خطر ببالك فالله أعظم وأجل من ذلك، فلا حدود لعظمته.

ثالثا: بين العظمة الإلهية والبشرية

العظيم سبحانه: هو الذي ليس لعظمته بداية، وكل عظمة بشرية لها بداية.. فالطبيب العظيم لم يولد عظيمًا، والفنان العظيم والكاتب العظيم كذلك..

ومن تمام معرفة النبي ﷺ بالعظمة الإلهية أنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة؛ لأنه يتجلى له من عظمة الله كل يوم ما لم يعرف من قبل، وهذه خاصة برسول الله ﷺ: كلما عرف جانبًا من عظمة الله استحيا من معرفته السابقة، وكلما ارتقت معرفته بربه رأى كأنه أذنب في حقه.

يقول **ابن القيم**:

وهو العظيم بكل معنى يوجِب التـ عظيـمَ لا يحصيـه مـن إنســان

ومعنى يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده.

ومن عظمته:

أن لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظَّم كما يُعظَّم الله، فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظِّموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته والذل له والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

عرف ربه العظيم من عظَّم شعائر الله كالمصحف والنبي ﷺ وعظَّم أمر الصلاة.



رابعاً: فادعوه بها عبادة وعملاً

الواجب الأول: تعظيم الله

يروي الشيخ **محمد الغزالي** في مذكِّراته تحت عنوان (ذكريات طفولة):

«سألني مدرس النحو وأنا طالب في المرحلة الابتدائية: أعرِب يا ولد: "رأيت الله أكبر كل شيء"، فقلت على عجل: رأيت فعل وفاعل، والله منصوب على التعظيم.

وحدثت ضجَّة من الطلبة، ونظرت مذعورًا إلى الأستاذ، فرأيت عينيه تذرفان!

كان الرجل من القلوب الخاشعة، وقد هــزّه أني التزمت الاحتــرام مع لفظ الجلالة - كما علَّموني - فلم أقل إنه مفعــول أول، ودمعت عينــاه تأدُّبًا مع الله! كان ذلك من ستيــن سنة أو يزيد. رحمه الله وأجزل مثوبته».

علامات تعظيم الله

١- تعظيم ما عظَّم الله من الزمان والمكان والأعمال والكلام

فالزمان: عظَّم الله شهر رمضان، والعشر الأُوَل من ذي الحجة، وشهر الله المحرَّم، وعظَّم يوم الجمعة من أيام الأسبوع، وعظَّم ساعة السَّحَر من ساعات اليوم.

والمكان: عظَّم الله البيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، وعظَّم قدر مكة والمدينة، وعظَّم قدر بيوت الله.

والأعمال: عظَّم الله قدر الصلاة «الصلاة خير موضوع»[(١)]، وفاوت بين الصلوات، فجعل أفضل الصلاة: صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة، وأفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح، وجهد المُقِلّ، وأفضل الصوم صوم داود: يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأفضل الصوم بعد رمضان شهر الله المحرم.

وعظَّم قدر الجهاد، وجعل أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

والكلام: عظَّم الله قَدر القرآن على سائر ألوان الذكر، وفضَّل الذكر على سائر الكلام، وجعل أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله، وأفضل الدعاء: دعاء يوم عرفة.

٢- الركوع بخضوع، والخضوع بعد الركوع

والركوع علامة الخضوع للعظيم، وأوضح ما يكون الخضوع لله ظاهرًا عند الركوع، وقد كان الانحناء

(١) حسن: رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٨٧٠.

ما عرف ربه العظيم من لم يخف بطشه وعقوبته فاجترأ على معاصيه.



علامة خضوع العوام للملوك والعظماء، فلا يدخلون عليهم في مجالسهم إلا في هيئة الانحناء، ولا ينصرفون إلا وهم على نفس الحال: الانحناء.

يصف الإمام **ابن القيم** الركوع في الصلاة، فيقول:

«ثم يرجع جاثيًا له ظهره؛ خضوعًا لعظمته، وتذللاً لعِزَّته، واستكانة لجبروته، مسبِّحًا له بذكر اسمه العظيم، فنزَّه عظمته عن حال العبد وذلِّه وخضوعه، وقابل تلك العظمة بهذا الذُّلِّ والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأطأ رأسه وطوى ظهره، وربُّه فوقه يرى خضوعه وذُلَّه، ويسمع كلامه، فهو ركنُ تعظيمٍ وإجلالٍ، كما قال ﷺ: **أما الركوع، فعَظِّموا فيه الربَّ**»(1).

وقد أمر النبي ﷺ باستعمال هذا الاسم في الركوع، وذلك في قوله ﷺ:

«... فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب -عز وجل- وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم».

والكل في الصلاة خاضعٌ في الظاهر، لكنَّ كثيرين يتمرَّد على الله في الباطن.

قليلٌ من يظل على خضوعه للعظيم بعد فراغه من ركوعه، وانتقاله من محراب المسجد إلى محراب الحياة، فلا يكون خضوعه إلا بضع دقائق في المحراب، ثم يخضع لغير الله سائر يومه؛ مقدِّمًا غير الله عليه.

٣- تعظيم أوامر الله

وعدم التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ برأي أو اجتهاد ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥].

لقد ذمَّ الله واستقبح وتعجَّب من مجرَّد إرادة التحاكم إلى غيره، فما ظنك بالتحاكم نفسه؟!

بل التحكيم نفسه لا يصح أن يكون التحكيم صوريا، بل لا بد مع التسليم في الظاهر من الانقياد والإذعان في الباطن، فالإيمان ليس كلمة تُقال إلا أن يتم ترجمته إلى واقع عملي، وهذا الواقع كان دائما موضع الاختبار الإلهي، وقد اختار الله لاختبار الإيمان أعنف ساعات الحرج في النفس البشرية، وهي ساعة الخصومة التي تولِّد الأنانية والأَثَرة والميل عن الحق، وجعل من شرط الإيمان: التحكيم أولا، وعدم ضيق الصدور بحكم الله ثانيًا، والتسليم ثالثًا، فإذا وجدتَ من نفسك عيبًا يتعلق بأحد هذه الأمور الثلاثة، أو تلكؤا في الانقياد التام لحكم الله تعالى الشرعي من الحلال والحرام، أو القدَري كالسلب والعطاء والشدة والرخاء، فراجع إيمانك قبل فوات الأوان، فهو مؤشِّر على ضعف تعظيم الله في قلب العبد.

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١/ ٢٣٨.

عرف ربه العظيم من عظَّم كتابه، وكان وقَّافًا على كتاب الله، مُنَفِّذًا أمره ونهيه.

وما أروع قول **سيد قطب** في الظلال:

«ومرة أخرى نجدنا أمام شرط الإيمان وَحَدِّ الإسلام؛ يقرره الله سبحانه بنفسه، ويُقسِم عليه بذاته، فلا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحدِّ الإسلام، ولا تأويل لمؤوِّل.. اللهم إلا مماحكة لا تستحق الاحترام.

وهي أن هذا القول مرهونٌ بزمان، وموقوف على طائفة من الناس! وهذا قول من لا يُدرِك من الإسلام شيئًا، ولا يفقه من التعبير القرآني قليلاً ولا كثيرا، فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام جاءت في صورة قسَم مؤكَّد مطلقة من كل قيد، وليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم رسول الله ﷺ هو تحكيم شخصه، إنما هو تحكيم شريعته ومنهجه، وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله مكان بعد وفاته ﷺ، وذلك قول أشد المرتدين ارتدادًا على عهد **أبي بكر** رضي الله عنه، وهو الذي قاتلهم عليه قتال المرتدين؛ بل قاتلهم على ما هو دونه بكثير، وهو مجرد عدم الطاعة لله ورسوله في حكم الزكاة، وعدم قبول حكم رسول الله فيها بعد الوفاة!

وإذا كان يكفي لإثبات (الإسلام) أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله، فإنه لا يكفي في (الإيمان) هذا، ما لم يصحبه الرضا النفسي والقبول القلبي وإسلام القلب والجنان، في اطمئنان!

هذا هو الإسلام، وهذا هو الإيمان، فلتنظر كل نفس أين هي من الإسلام وأين هي من الإيمان! قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان!»(1).

وله علامات، منها ما قاله **ابن القيم** في الصلاة على سبيل المثال:

«فعلامة التعظيم للأوامر:

رعاية أوقاتها وحدودها.

والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها.

والحرص على تحينها في أوقاتها.

والمسارعة إليها عند وجوبها.

والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه تقبلت منه صلاته منفردًا، فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا.

ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا، فكيف وكلُّ ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٦٩٦، ٦٩٧.

ما عرف ربه العظيم من هجر كتابه تلاوة وتدبرًا، فكان أسمع لكلام البشر من رب البشر.





وألف ألف وما شاء الله تعالى.

فإذا فوَّت العبد عليه هذا الربح قطعًا -وكثير من العلماء لا صلاة له وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها- فهذا عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه»[١].

ومن علامات تعظيم الأمر أن لا يربط طاعته لأمر الله بفهم الحكمة من الأمر، بل شعاره التسليم، واسمه في البطاقة مسلم أي مستسلم! وشعار الإسلام: الاستسلام، فإن ظهرت له الحكمة حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم.

٤- تعظيم ما نهى الله عنه (تعظيم الحرُمات)

كالربا والزنا وشرب الخمر وسائر الكبائر والمحرمات، فاجتناب محارم الله تعالى دليل على تعظيم العظيم وتوقيره، فإذا ارتقى درجة؛ اجتنب المكروهات، ولتعظيم أوامر الله تعالى ومناهيه علامات؛ يشرح بعضها الإمام **ابن القيم**، فيقول:

«تعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر والناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة؟!

فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالًّا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق، فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع على المناهي، فهذا.. فعله وتركه ليس صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي، ولا تعظيم الآمر والناهي»[٢].

ولتعظيم ما نهى الله عنه علامات:

- الحرص على التباعد من مظان المُحَرَّمات وأسبابها وما يدعو إليها، وهجر كل وسيلة تقرِّب منها، كمن يهرب من أماكن العري أو التي تحوي الصور العارية خشية الافتتان بها.
- أن يدع العبد ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، فيتورَّع عما لا يتورَّع عنه غيره.
- مقاطعة وهجر من يجاهر بارتكاب المحارم ويستحسنها ويدعو إليها، فإن مخالطة مثل هذا مجلبة لسخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط تعظيم الله تعالى من قلبه.

(١) الوابل الصيب ١/ ١٠.
(٢) الوابل الصيب ١/ ١٠.

عرف ربه العظيم من أكثر ذكره باسم الله العظيم كما ورد في المأثور مطلقًا ومقيَّدًا.

ﮃ أن يغضب إذا انتُهِكت محارم الله أكثر مما يغضب لنفسه، فحق الله عنده أعظم من حقه، وفي مختصر الشمائل المحمدية **للترمذي** في صفات النبي ﷺ:

«... ولا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا ولا ما كان لها، فإذا تُعُدِّيَ الحَقُّ لم يَقُمْ لِغضبه شيْءٌ حتَّى ينتصِر له، ولا يغْضب لِنَفْسه، ولا ينتصر لها»[1].

ﮃ أن لا يربط انتهاءه عما نهى الله عنه بفهم الحكمة من النهي مما قد يُضعِف انقياده وتسليمه، بل يستسلم لأمر الله وحكمه، سواء ظهرت له الحكمة منه أم لم تظهر، فإن ظهرت له الحكمة حمله ذلك على مزيد الاجتناب والتسليم، فترى بعضهم مثلا يربط تحريم أكل لحم الخنزير بوجود الدودة الشريطية فيه، وهي ضارة بصحة لإنسان، فيعلِّل النهي بالضرر، وهذا خطأ، ولو زال الضَّرَر لاستمر التحريم.

وقرأت رأيا عجيبًا لسفير أوروبي في دولة عربية مسلمة اعتنق الإسلام أواخر عمره، ثم ذهب إلى أن شعر المرأة اليوم ليس بعورة، لأن شعرها كان قديما يثير الشهوة، واليوم رؤيته لا تثير الشهوة، فلا بأس لها إذن بخلع الحجاب، وهو منطق فاسد.

ﮃ أن لا يتتبع رُخَص العلماء، فهذا **سليمان التيمي** يقول:

«إن أخذتَ برُخصة كلِّ عالم اجتمع فيك الشر كله»[2].

وقال الإمام **أحمد**:

«لو أن رجلاً عمل بقول أهل الكوفة في النبيذ -يعني المُسْكِر-، وأهل المدينة في السماع -يعني سماع المعازف- وأهل مكة في المتعة كان فاسقًا»[3].

ويقول الإمام **إسماعيل** القاضي المالكي:

«دخلت على **المعتضد** في أيام خلافته فرفع إليّ كتابًا لأنظر فيه، وقد جمع فيه المؤلف الرخص من زلل العلماء، وما احتج به كل منهم، فقلت: مصنِّف هذا زنديق! ثم قال: لم تصح هذه الأحاديث. فقلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء والمسكر، وما من عالم إلَّا وله زلة، ومن جمع زلل العلماء، ثم أخذ بها ذهب دينه، فأمر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب»[4].

---

(١) الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية ١/ ١٨- الترمذي - ط المكتبة التجارية.
(٢) جامع بيان العلم وأهله ٢/ ٩٢٧ - ط دار ابن الجوزي.
(٣) إرشاد الفحول للشوكاني ١/ ٢٥٣.
(٤) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول ٢/ ٢٥٣، ٢٥٤ - الإمام الشوكاني - دار الكتاب العربي.



عدم تعظيم الله من أسباب دخول النار

قال تعالى عن أهل النار:

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

هؤلاء قومٌ دخلوا النار حين سوَّوا بالله غيره.

والنتيجة أنهم في النار.

وما المطلوب منك حتى تدخل الجنة؟!

والجواب: أن يكون الله أكبر وأعظم في صدرك من كل شيء.

ووظيفة المجرمين ومهمة الشياطين في هذه الدنيا أن يوهِنوا تعظيم أمر الله في قلبك؛ حتى يكون لتعظيم الخلق الغلبة عليه!

فغَرَض شياطين الإنس والجن: أن لا تعظِّم الله وتعظِّم الخلق، وأن يكون خوفك من الخلق أكبر من خوفك من الخالق، فإن أصابوا ذلك منك، فقد أصابوك في مقتل، ونالوا كلَّ مأرب!

- يخاف -إن قصَّر- من مديره في العمل، وأقصى ما يقوى عليه المدير أن يخصم جزءًا من راتبه أو يطرده من عمله، ولا يخاف عُشْر هذا الخوف من تقصيره في حق الله، وهو الذي يملك طرده من جنة عرضها السماوات والأرض ليلقي به في دركات النار!
- يحرص على رضا زوجته، ويتجنَّب ما يُغضِبها، ولو راعى حق الله كما راعى حق الزوجة لربح الجنة من زمن.
- يخاف بطش الظالمين، فلا يتعرَّض لأذاهم، ولا يجاهِر بمخالفتهم، لكنه يتعرَّض لعذاب الله ولا يخافه.

قال **سفيان الثوري** يومًا لأصحابه: أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟! قالوا: لا. قال:

«فإنَّ معكم من يرفع الحديث إلى الله عز وجل»[(1)].

ثانيًا: تعظيم شعائر الله

قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/ ٢٥٥- دار الكتب العلمية.

قال الإمام **الدهلوي**، وهو يحدِّد ملامح الشعائر التي يعظِّمها من آمن بالله **العظيم**:

«اعْلَم أَن مبْنى الشَّرائع على تَعْظيم شَعائِر الله تعالى، والتقرب بها إليه تعالى، ومعظم شعائر الله أربعة: القرآن، والكعبة، والنَّبيّ، والصَّلاة.

أما القرآن، فكان الناس شاع في ما بينهم رسائل الملوك إلى رعاياهم، وكان تعظيمهم للملوك مساوقًا لتعظيمهم للرسائل، فاستوجب النَّاس عند ذلك أن تظهر رحمة الله في صورة كتاب نازل من رب الْعَالمين، وَوَجَب تَعْظِيمه، فَمِنْهُ أن يستمعوا لَهُ، وينصتوا إِذا قرئَ، وَمِنْه أَن يبادروا لأوامره كسجدة التِّلَاوَة وكالتسبيح عِنْد الْأَمر بذلك، وَمِنْه أَلا يمسوا المصحف إِلَّا على وضوء.

وأما الكعبة، فكان النَّاس في زمن **إِبْرَاهيم** عليه السَّلام توغلوا في بناء المعابد والْكَنَائِس باسم روحانية الشَّمْس وَغَيرهَا من الْكَوَاكِب، فاستوجب أهل ذَلِك الزَّمَان أَن تظهر رَحْمَة الله بهم فِي صُورَة بَيت يطوفون بِهِ، ويتقربون بِهِ إِلَى الله، فدعوا إِلَى الْبَيْت وتعظيمه، ثمَّ نَشأ قرن بعده قرن على علم أَن تَعْظِيمه مساوقٌ لتعظيم الله والتفريط فِي حَقه مساوق للتفريط فِي حق الله، فَعِنْدَ ذَلِك وَجب حجه، وَأمرُوا بتعظيمه، فَمِنْهُ أَلا يطوفوا إِلَّا متطهرين، ومِنْه أَن يستقبلوها في صلاتهم، وكراهية استقبالها واستدبارها عِنْد الْغَائِط.

وأما النَّبي، فلم يُسَمَّ مُرْسَلاً إِلَّا تَشْبيها برسل الْمُلوك إِلَى رعاياهم مخبرين بأمرهم ونهيهم، ولم يُوجب عليهم طاعتهم إِلَّا بعد مساوقة تعظيمهم لتعظيم الْمُرْسل عِنْدهم، فَمن تَعْظِيم النَّبِي وجوب طَاعَته، والصَّلَاة عليه، وترك الْجَهْر علَيه بالْقَوْل.

وأما الصَّلاة، فيقصد فيها التَّشْبِيه بِحال عبيد الْملك عند مثولهم بين يديه، ومناجاتهم إِيَّاه وخضوعهم له؛ ولذلك وجب تَقْدِيم الثَّنَاء على الدُّعَاء، ومؤاخذة الْإِنْسَان نَفسه بالهيئات الَّتِي يجب مراعاتها عند مُنَاجَاة الملوك من ضم الْأَطْرَاف وترك الِالْتِفَات، وَهُوَ قوله ﷺ: **إِذا أحدكُم صلى فَإِن الله قِبَل وَجهه**»[1].

ثالثًا: تعظيم كلام الله

عدم التقدم بين يدي كتاب الله، بحيث ينقاد العبد ويسلِّم له، ويحكِّمه في الصغير والكبير، ويتحاكم إليه، ويرضى بحكمه، وبذلك يكون العبد وقَّافًا على كتاب الله، فلا يصدر إلَّا عن أمره ونهيه.

رابعًا: الخير العميم في ذكر اسم الله العظيم

معك خمس مفاجآت سارة وفرص ثواب عليك مارَّة:

- ففي دعاء الكرب ومن كلمات الفرج ترى اسم الله **العظيم** حاضرًا بارزًا، فهو الذي لا تعظم عليه

(١) حجة الله البالغة ١/ ١٣٤- الشاه ولي الله الدهلوي - دار الجيل.

ما عرف ربه العظيم من أجاب مديره حين ناداه، ولم يجب «حي على الصلاة».





شدة أن يكشفها، ولا كربٌ أن يرفعه.

قال رسول الله ﷺ: «كلمات الفرَج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب العرش الكريم»[1].

وفي مغفرة الذنوب مهما عظمت وتكرَّرت يتجلى اسم ربنا **العظيم**، فهو الذي لا يَعْظمه ذنبٌ أن يغفره، وهو درسٌ عظيمٌ علَّمه رسول الله ﷺ **لعلي بن أبي طالب** رضي الله عنه حين قال له: «ألا أُعَلِّمك كلماتٍ إذا قلتَهن غَفَر الله لك، وإن كنتَ مغفورًا لك؟

قُل: لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحكيم الكريم، لا إله إلا الله، سبحان الله، رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين»[2].

وفي كشف البلاء عن المريض، ورفع الآلام عن أي مصاب يتجلى اسم الله **العظيم**، فبعظمته يزول كل مرض وينمحي كل ألم مهما كان في أعين الخلق عظيمًا، فهو أهون ما يكون على الله **العظيم** رب الخلق؛ ولذا شرَع لنا رسول الله ﷺ أن نتوسَّل إلى الله باسمه **العظيم** عند عيادة المرضى، ونكرِّر ذلك سبع مرات! ووعدَنا أن هذا المرض زائلٌ بعدها بإذن الله، وأن العافية حاصلة إلَّا أن يشاء الله، فقال ﷺ:

«ما من مسلمٍ يعود مريضًا لم يحضر أجله، فيقول سبعَ مرات: أسأل الله العظيم، ربَّ العرشِ العظيم، أن يشفيَك إلَّا عوفيَ»[3].

وعند كل دخولٍ للمسجد شرع لك الله رحمة بك أن تستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم، وذلك خمس مرات كل يوم:

«كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، وقال: إذا قال ذلك حُفِظَ منه سائر اليوم»[4].

وما أعظم وعده!

وَعَدَك أن يوفِّر لك عصمة شاملة تغطّي سائر يومك، وذلك من جرَّاء محافظتك على هذا الذكر العظيم عند زيارة بيت **العظيم**، وهو كرمٌ ما بعده كرم، أن يكافئك مكافأة تستغرق اليوم كله على ذكرٍ لا يستغرق غير دقيقة واحدة مع حضور قلب!

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في الفرج عن ابن عباس كما في صحيح الجامع: ٤٥٧١، ومثله حديث **ابن عباس** الذي ينبغي لكل مكروب أن يحفظه ويترنم به: «كان يدعو عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم» صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ٤٩٤٠.

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب كما في صحيح الجامع رقم: ٢٦٢١.

(٣) صحيح: رواه الترمذي عن ابن عباس كما في المشكاة رقم: ١٥٥٣.

(٤) صحيح: رواه أبوداود عن ابن عمرو كما في صحيح أبي داود رقم: ٤٨٥ وصحيح الجامع رقم: ٤٧١٥.

عرف ربه العظيم من طلّق اليأس وعانق الأمل مهما اشتدت المِحن.

ﭏ ومنه الذكر المطلق باسم الله العظيم، وهو غير مقيَّد بالزمان والمكان، وفي مقابل ذلك: الأجر العظيم: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرِسَت له نخلة في الجنة»(١).

فهل لك أن تغرس الآن في الجنة عشر أو مائة نخلة أو أكثر بحسب يقينك بعظمة العظيم وقدر عطائه الجليل!

ﭏ ثم أطلَقَ لك سقف الذكر مفتوحًا لتستزيد منه كما تريد، وكلما زِدْتَ أغراك بالمزيد، وفتح لك بابًا لا ينضب مهما أخذ منه السادة والعبيد، وهو ما يشير إليه هذا الحديث المنسيُّ وسط زحام الأعمال والأقوال:

«من قال حين يُصبِح وحين يُمسي: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ قال مثل ذلك، وزاد عليه»(٢).

لماذا (العلي العظيم)؟

«ولله ﻷ صفة كمال من اسمه (العلي)، وصفة كمال من اسمه العظيم، وصفة كمال ثالثة من اجتماعهما، فقد حاز العلو بكل أنواعه، وجمع العظمة بكل صورها، فهو عظيم في علوه، عالٍ في عظمته سبحانه، ولعل تقديم اسم (العلي) على العظيم من تقديم السبب على المسبِّب؛ لأنه ﻷ عظم لعلوه على كل شيء».

لماذا (العظيم الحليم)؟

«كان يدعو عند الكرب:

لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم»(٣).

فإياك أن تستعظم همًّا أن يزيله الله عنك بأهون الأسباب!

ألم تلحظ أن اسم العظيم تكرَّر في دعاء الكرب مرتين!

ووجه الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين (العظيم والحليم) أن الله مع أنه العظيم الجبار، فإنه سبحانه الجليل الرحيم الرؤوف بعباده، والجمع بين هذين الاسمين الجليلين يدل على صفة كمال وجمال، فلم تمنعه عظمته سبحانه وقدرته على خلقه من أن يحلم عنهم، ويصفح ولم يكن حلمه سبحانه عن ضعف وعجز، بل عن عظمة وقدرة وقهر.

(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في المصنف والترمذي كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٦٤.
(٢) صحيح: رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الترغيب رقم: ٦٥٠ وصحيح الجامع رقم: ٦٤٢٥.
(٣) صحيح: رواه أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ٤٩٤٠.

ما عرف ربه العظيم من تهاون في الصغائر فكانت جسرًا إلى الكبائر.





خامسًا: فادعوه بها مسألة وطلبا

«أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم».

نسألك باسمك العظيم..

أن تفرِّج عنا كل كرب عظيم لا يعظم عليك أن تكشفه..

نسألك باسمك العظيم..

أن تغفر لنا كل ذنب عظيم لا يعظم عليك أن تغفره..

نسألك باسمك العظيم..

أن تغرس في قلوبنا تعظيم قدرك، حتى لا نخالف شيئا من أمرك ونهيك.

نسألك باسمك العظيم..

أن تعصمنا من الافتضاح العظيم يوم العرض العظيم فى ذلك الملأ العظيم.

سادسًا: حاسب نفسك تعرف ربك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل تغضب لله.. لانتهاك محارمه كما تغضب لنفسك؟!			
٢	هل تعظِّم قدر الصلاة، فتحرص على تلبية النداء فور سماع الأذان؟!			
٣	عند الكرب.. هل تدعو باسم الله (العظيم) كما في دعاء الكرب؟!			
٤	هل تجتنب الشبهات، وتبتعد عن المكروهات، وتحذر من اتباع خطوات الشيطان؟!			
٥	هل تعظِّم أمر الله، فتكون وقَّافًا على كتاب الله، لا تصدر إلَّا عن أمره ونهيه؟!			
٦	هل تتبع في فتاواك رخص العلماء، أو تحرص على الجمع بينها؟!			

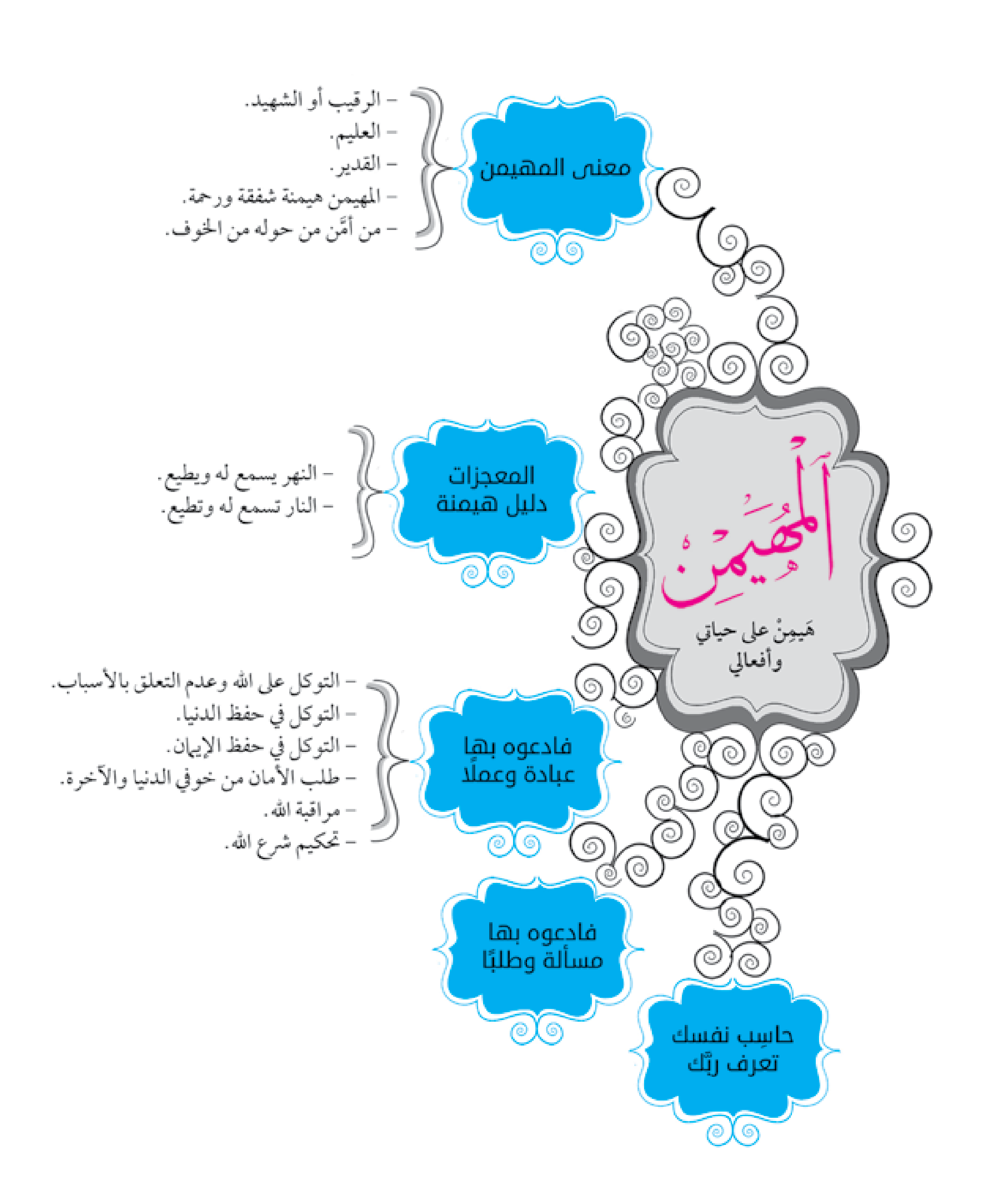
عرف ربه العظيم من كان أطوع لأمر الخالق من طاعته لأمر الخلق.



هَيمِنْ على حياتي وأفعالي

الرقيب المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، أو الشاهد على الخلق بأعمالهم، أو من هَيْمَن هِيمنة رحمة وشفقة، أو مَنْ أمَّن خلقه من كلِّ ما يخيفهم.


المُهَيمِنْ
ناصيتي
بِيَدِكَ

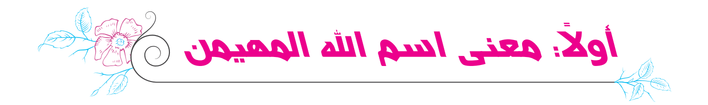

المُهَيمِنُ
هَيمِنْ على حياتي وأفعالي
معنى المهيمن
- الرقيب أو الشهيد.
- العليم.
- القدير.
- المهيمن هيمنة شفقة ورحمة.
- من أمَّن من حوله من الخوف.
المعجزات دليل هيمنة
- النهر يسمع له ويطيع.
- النار تسمع له وتطيع.
فادعوه بها عبادة وعملًا
- التوكل على الله وعدم التعلق بالأسباب.
- التوكل في حفظ الدنيا.
- التوكل في حفظ الإيمان.
- طلب الأمان من خوفي الدنيا والآخرة.
- مراقبة الله.
- تحكيم شرع الله.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسِب نفسك تعرف ربَّك



لم يرِد هذا الاسم في القرآن الكريم إلَّا في موضع واحد، في قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣]

ولم يرِد في السُّنة قط!



أولاً: معنى اسم الله المهيمن

معنى المهيمن لغةً:

المعاني الشرعية لاسم المهيمن:

١- الرقيب أو الشهيد

ما المهيمن؟

قال **أبو عبيد**: يقال: المهيمن: الرقيب، يقال: قد هيمن الرجل يهيمن هيمنة: إذا كان رقيبًا على الشيء.

«المُهَيْمن: الرَّقيب المُسيطِر على كلِّ شيء، الشهيد على كلّ نفس بما كسبت؛ ولذا فهوالقائمُ على خلقه، والحافظ لهم.

الشَّركة المُهَيْمنة: أي تملك جُزءًا أو جميع أسهم شركات أخرى.

دولة مُهَيْمنة: دولة تسيطر على الشُّئون الخارجيّة لدول أخرى في ما يسميه علماء السياسة بالقوة الناعمة»[(١)].

والمهيمن في قول الإمام **الغزَّالي** -وهو من أشمل ما قيل في هذا الاسم الجليل-:

«أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه، والإشراف (الاطلاع) يرجع إلى العلم، والاستيلاء إلى كمال القدرة، والحفظ إلى العقل»[(٢)].

٢- العليم

يعلم كل شيء، فهو سميع، بصير، يعلم ما غاب عنك، يعلم السريرة، ويعلم العلانية.. يعلم ما في خلوتك وجلوتك.. يعلم ما تُخفي وما تعلن، وما تنوي، وهذا كله من لوازم اسم المهيمن: أن يحوز العلم

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ٢٣٨٧ بتصرف - أحمد مختار عبد الحميد عمر - عالم الكتب.
(٢) المقصد الأسنى ص ٦٩.

المطلق.

٣ - القدير

ومن لوازم اسم المهيمن القدرة، مع العلم، فقد تعلم وأنت ضعيف، ولا تملك من الأمر شيئًا، أو قد تكون قويًّا لكن بلا معلومات، فمن البشر من يعلم لكنه لا يقدر، ومنهم القوي الذي يقدر لكن لا يعلم، لكن المهيمن لا حدَّ لعلمه، ولا منتهى لقدرته.

ختم الله سورة الطلاق بهذه الآية العظيمة:

﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾.

آية واحدة تصبُّ الطمأنينة في قلبك صبًّا:

الله عليمٌ بحالك، وقديرٌ على أن يغيِّر هذا الحال إلى أحسن حال، ففيم القلق والاضطراب؟!

المهيمن وحده أحاط علمًا بما تقوم به مصلحتك، والمهيمن وحده القادر على تحقيق هذه المصلحة.

والإحاطة هي تطويق المحيط للمُحاط، بحيث لا يستطيع أن يفلت منه علمًا بحاله التي هو عليها، ولا قدرة على أن يفلت مِنْه مآلاً وعاقبة، فهو محيطٌ علمًا بكل التفاصيل الدقيقة، فلا تخفى عليه خافية، ومحيطٌ قدرةً، فلا يستطيع أن يفلت أحد منه دنيا وآخرة.

والارتباط بين العلم والقدرة جِدُّ وثيق، فأعظم الدول وأشدها قوة هي من تمتلك أجهزة مخابرات قوية، تتعرف بها على مواطن ضعف عدوها فتهزمه، ولله المثل الأعلى، هو بكل شيء عليم، وهو على كل شيء قدير.

ومن ملاح هذه القدرة الإلهية وارتباطها بالعلم أن الله يرعى الكل كأنهم واحد، ففي دعاء السفر:

«اللهم أنت الصاحبُ في السفر، والخليفة في الأهل والمال».

وهي صفة لا يمكن أن تكون في بشر، أن يكون معك في السفر وفي الوقت نفسه تستخلِفه في بيتك وأهلك ومالك، فالبشر إما أن يكون معك في سفرك، أو يكون في بيتك، لكن المهيمن وحده من وصف نفسه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾.

٤ - المهيمن هيمنة شفقةٍ ورحمةٍ

هيمن الطائر إذا رفرف على عشه شفقة على أفراخه، فرعاهن وأحسن حفظهن والقيام عليهن، فهي هيمنة حب وشفقة، وليست هيمنة سيطرة من أجل السيطرة.

وحتى لو حرمك مما تتمناه؛ فلعلمه أنه يطغيك، ولو أعطاك إياه؛ فلعلمه أن الحرمان يُفسِدك ويُشقيك.

ما عرف ربه المهيمن مَنْ لم يلجأ إليه عند المخاوف، فاضطربت أحواله وخانته قواه.



٥- مَنْ آمَنَ غيرَه مِنَ الخوف

وأصله: أأمن فهو مُؤَأمن، بهمزتين، ثم قُلِبَت الهمزة الثانية ياءً كراهةً لاجتماعهما، فصار مأيمن، ثم قلِبت الهمزة الأولى هاءً، كما قال نبينا: أهريقوا على بوله سِجِلًّا من ماء: أي أريقوا.

ولأنه المهيمن فقد أمَّن مَن حوله من الخوف.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾.

أمٌّ تلقي رضيعها بين أمواج البحر وأهواله ومع ذلك لا تخاف ولا تحزن!!

لا يستطيع أن يفعل هذا إلا المهيمن الذي نزع من قلبها الخوف وسكب بدلاً منه السكينة، ومن يمنح الشعور بالأمن غير الله؟!

وما لم يربط الله على قلب العبد، فإنه سيظل خائفًا قلقًا مهما كانت أسباب الأمن المادية محيطة به.

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾.

وكما يطْمَئِنُّ الولد الصغير بجوار أمه ويشعر معها بالأمان، لعلمه بحرص أمه عليه حرصًا غير محدود، فالله كذلك هو خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين.

شبهة...

ترَك ربنا المهيمن بعضَ المؤمنين عُرضةً للبلاء، أو لعدوٍّ غاشم، أو ظالم، فلِمَ؟!

والجواب:

لحكمة بالغةٍ بالغة، عِلمها مَن عِلمها، وجهلها مَن جهلها، واسمع الآية:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

لكن.. الإمهال ليس للإغفال، و فارق شاسع بين الإمهال والغفلة، فالله عز وجل يقول:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا ﴾.

ويقول في سورة الأنعام يطمئن النبي ﷺ لكي لا يستبطئ وعد الله بالنصر:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾.

وفي سورتي هود والنمل:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

فقد نفى الغفلة عن نفسه في ثلاث آيات بصيغ مختلفة ليفيد العموم وينفي الأوهام والشكوك والظنون

عرف ربَّه المهيمن من صدق في التوكل عليه في كل أفعاله وأحواله.

التي يضرب بها الشيطان قلب المؤمن، فكيف تتوهمه غافلاً عما يجري!!.. حاشاه.

ومعلومٌ أن من لوازم النهي أن يكون المنهي عنه قابلاً للحدوث، والله ﷻ يقول:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾.

لأن معظم الناس -مِنْ ضعف معرفتهم بربِّهم- يتوهَّمون الله غافلاً، فيقول لك: أين الله؟! وشعوبنا تُقتل، وثرواتها تُنهَب، وأعراضنا تُنتَهك!

فتأتي الإجابة:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾.

فما يجري إنما هو لحكمة بالغة؛ لأن الله عز وجل خلقنا ليمتحننا ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾، وبحسب نتيجة الامتحان يكون اقتسام الدرجات في الجنة أو النار.

كما قال سبحانه:

﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٤].



ثانيًا: المعجزات.. دليل هيمنة

النهر يسمع له ويطيع!

هيمنة الله على كونه تسمع أمر الله تعالى للنهر حين كان الصندوق يسبح فوق مياهه حاملاً الطفل الرضيع **موسى**، فقال الله النهر.. وهو خلقٌ من خلقه:

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه ٣٩]

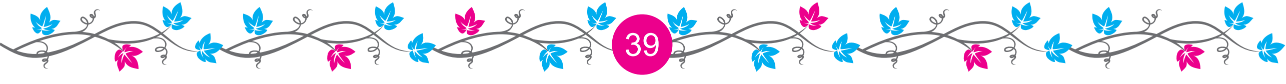
فيخضع النهر لأمر ربه سامعًا ومطيعًا، ويقوم بزحزحة الصندوق حتى يرسو على شاطيء النهر، ويصل تمامًا أمام قصر الفرعون، فيمتثل لهيمنة المهيمن.

ملمح الهيمنة الثاني:

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

يأمر الله قلب امرأة **فرعون** أن يلين لمشهد الطفل الصغير، ثم يكون من أثر ذلك أن تأمر **فرعون** أن لا يقتل الطفل، فيمتثل السفاح على بطشه وقوته (لأمر) المرأة الضعيفة، ويُلبِّي طلبها مع أنه كان يقتل كل الذكور من قبل! وهذا في حقيقته امتثال لأمر المهيمن.

ما عرف ربه المؤمن من توكَّل على غيره، واستعان بقوته وسلطانه في قضاء حاجاته.





الملمح الثالث:

ثم يأمر المهيمن الرضيع أن يرفض كل المرضعات من حوله، ويشيع الخبر في الأرجاء أن الطفل الملَكي لا يرضع، فتذهب أخته التي كانت تتحسس خبره، وتعرِض عليهم مرضعة يسعد بها الطفل، فيصدر الأمر الملكي بإحضارها على الفور؛ تنفيذًا لأمر المهيمن، والذي هيمن على كل القلوب حتى قلوب عتاة الكفار والصغار، ورجع **موسى** إلى أمه بأمر المهيمن على خلقه، وكان الأمر كما وعد: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

فما اعظم هذه الهيمنة وما ألطفها بالعبد.

النار تسمع له وتطيع

أراد قوم **إبراهيم** إحراقه بالنار، لكن المهيمن أراد أمرًا آخر.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾، فبردت على أهل المشرق والمغرب، فما أُنضِجَ بها يومئذ طعام.

قال **كعب**: «ما حرقت النار يومئذ إلا وثاقه»[١].

وقال **ابن عبَّاس**: «لو لَمْ يُتْبِعْ بردَها سلامًا لَمَاتَ إبراهِيم مِنْ شِدَّةِ بَرْدِها»[٢].

وقال **أبو العالية**: «ولو لم يقُلْ ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لكان بردها أشد عليه من حرها، ولو لم يقُل ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لكان بردها باقيًا على الأبد»[٣].



١. التوكل على الله وعدم التعلق بالأسباب..

وذلك في مصالح حياتك ومصالح آخرتك..

في دنياك ودينك..

❍ التوكل في حفظ الدنيا:

في قصة ضعيفة سندًا، قوية لفظًا ومتنًا:

جاء رجل إلى **أبي الدرداء** رضي الله عنه فقال: يا **أبا الدرداء**، احترق بيتك. فقال: ما احترق بيتي، ثم جاء آخر

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٧/ ٢٧٦ - أبو إسحاق الثعلبي - دار إحياء التراث العربي.
(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٦/ ٢٨١.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٤٥٤- الماوردي - دار الكتب العلمية

عرف ربَّه المهيمن من جعل شرع الله مهيمنًا على كل تصرفاته وأفعاله.

فقال: يا **أبا الدرداء**، احترق بيتك. فقال: ما احترق بيتي، ثم جاء آخر فقال: يا **أبا الدرداء**، إن النار حين دَنَتْ من دارك طُفِئت، فقال: قد علمت، فقيل له: ما ندري أيَّ قوليك أعجب!

قَوْلُكَ ما احْتَرَق، أو قولك قد عَلِمْتُ أَنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يكُن لِيَفْعَل.

قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن، وهي:

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت..

عليك توكلت وأنت ربُّ العرش العظيم..

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن..

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

أعلم أن الله على كل شيء قدير..

وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا..

اللهم إني أعوذ بك من شرّ نفسي..

ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها..

إن ربّي على صراط مستقيم»[1].

فذهبوا إلى الدار، فوجدوا السور قد احترق والدار سليمة!

وهو ما يسكب السكينة والطمأنينة في قلب كل مؤمن آمن بالله المهيمن.

وآيات القرآن هي أفضل ما يسكب السكينة في قلب كل مؤمن، فمن تدبَّرها فقد أُعطي مفاتيح السعادة.

قال عامر بن عبد قيس :

«أربع آيات من كتاب الله تعالى إذا ذكرتُهن لا أبالي على ما أصبحت وأمسيت:

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢]

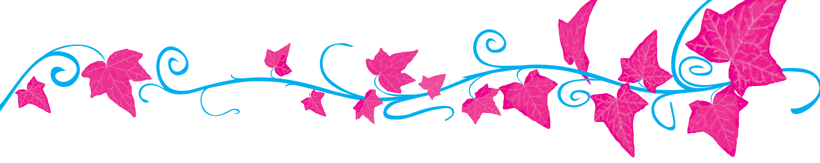
﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧]

﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧].

(١) ضعيف: الدعاء للطبراني رقم: ٣٤٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم: ٥٧، وحكم عليه الألباني بالضعف في السلسلة الضعيفة رقم: ٦٤٢٠.

ما عرف ربه المهيمن من لم يجعل شرع الله حاكمًا لأقواله وأفعاله.





﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]»[١].

وقد علَّمنا النبي ﷺ أن نرى في الأسباب المسبِّبَ دائما، فقال في الحديث:

«لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ».

أي لا يُعدي المريضُ السليمَ إلا بتقدير الله، ولذلك قال في الحديث: فمن أعدى الأول؟! يعني أول بعير أصابه الجرب من الإبل، لم يكن قبله بعير أجرب فيعديه، وإنما ظهر الجرب في أول بعير بقضاء الله وقدره، ثم انتشر الجَرَب في سائر الإبل بعدها.

وحديث آخر في صحيح **البخاري**: عن **أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه قال:

كان رسول ﷺ إذا جاءه السائل أو طُلِبتْ إليه حاجة، قال:

«اشفعوا تُؤجروا، ويَقضي الله على لسان نبيِّه ما شاء»[٢].

فالشفاعة منزوعة الأثر إلَّا أن يقضي الله ما شاء من إنفاذها أو عدم إنفاذها.

وهي تربية يومية نبوية تصحبك كل ليلة وتحرسك، فمن الدعاء بمقتضى اسم المهيمن ما صحَّ من حديث **البراء** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له:

«إذَا أتيْت مضْجَعكَ فتوَضَّأ وُضُوءَكَ لِلصَّلاة، ثم اضْطَجعْ على شِقكَ الأيْمنِ، ثم قلِ: اللهم أسْلمْت وَجْهِي إليْكَ، وَفوَّضْت أمْرِي إليْكَ، وَأَلجَأت ظَهْري إليْكَ، رَغبَة وَرَهْبَة إليْكَ، لاَ ملجَأ وَلاَ منجَا منكَ إلاَّ إليْكَ، اللهم آمنت بِكِتابِكَ الذي أنزَلت، وَبِنبِيِّكَ الذي أرسَلت، فإن مِتَّ من ليْلتِكَ فأنت على الفِطرَة، واجْعلهُن آخِرَ ما تتكَلم به»[٣].

❍ التوكل على الله في حفظ الإيمان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾..



والقادر على إمساك السماوات والأرض..

ألا يقدر على أن يُمسِك قلبك من أن يزيغ عن الحق؟!

ألا يقدر على أن يُمسِك عقلك أن يضل مع الأفكار الزائغة؟!

ألا يقدر على أن يُمسِكَ عليك عافيتك في دينك ودنياك؟!

بلى والله! وهو على كل شيء قدير.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٢٢ – ط دار الحديث.
(٢) صحيح: رواه الشيخان عن أبي موسى كما في صحيح رقم: ١٠٠٧.
(٣) صحيح: صحيح البخاري عن البراء بن عازب كما في صحيح البخاري رقم: ٢٤٤.

عرف ربه المهيمن من وثق في إحاطته وقدرته في كل الأحوال فبات هادئ البال.



٢. طلب الأمان من خوفي الدنيا والآخرة:

من مظاهر هيمنته سبحانه وتعالى أنها تمتد لتشمل قلوب العباد، فالقلوب بين أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء.

في الدنيا:

من يسيطر على القلوب، ويملك أن ينقلها من الخوف إلى الأمن؟!

ومن الاضطراب إلى السكينة؟!

ومن الفزع إلى الطمأنينة؟!

ومن الشك إلى اليقين؟!

ومن الضعف إلى القوة إلَّا المهيمن على قلوب عباده سبحانه!

وفي الآخرة:

حين ينقسم الناس إلى فريقين: فريقٍ تبلغ القلوب منهم الحناجر من الخوف والرعب، وفريقٍ هم من فزعٍ يومئذ آمنون.

٣. مراقبة اللّه:

طالما أن الله هو المهيمن أي الشاهد على خلقه بما صدر منهم، فإن عين الله ناظرة.. تبصر أحوالك في سرك وعلانيتك، فلا يراك بعد اليوم إلَّا على خير.

٤. تحكيم شرع اللّه

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾.

نزل الكتاب مصدِّقًا لما قبله من الكتب، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله.

قال **عبد الله بن الزبير**: «القَاضِي عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُب»[1].

ولأنه هيمن على ما قبله من الكتب، فليهيمن على حياتك ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾

ولذا كان عهد المؤمن مع ربه أن يطيعه في كلِّ شؤون حياته:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ٣/ ١٧٦٦ - أبو محمد القرطبي المالكي - جامعة الشارقة.

ما عرف ربه المهيمن من استهان بحقه في الخلوات ولم يُراعه في الجلوات.





الله تعالى هو المهيمن على كل سكناتي وحركاتي، وأقوالي وأحوالي، وحِلّي وترحالي، وسري وعلانيتي.



رابعًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

أسألك باسمك المهيمن..

أن تجعل شرعك مهيمنًا على حياتنا، وسرِّنا وجهرنا، وقولنا وعملنا، وأمر خاصتنا وعامتنا.

أسألك باسمك المهيمن..

أن تؤمِّنني من كل خوف، وتؤمِّن قلبي من كل ريبة وشك، وتؤمِّن عقلي من كل ضلال وزيغ.

أسألك باسمك المهيمن..

أن ترزقني الثقة بهيمنتك على الأمور كلها؛ حتى أتوكل عليك وحدك، وألتجأ إليك، وأعتصم بك دون أحد من خلقك.

أسألك باسمك المهيمن..

يا من بيده الأمر كله، وإليه يُرجَعُ الأمر كلُّه.. أن تحفظ عليَّ ديني ودنياي بما تحفظ به عبادك الصالحين.

خامسًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

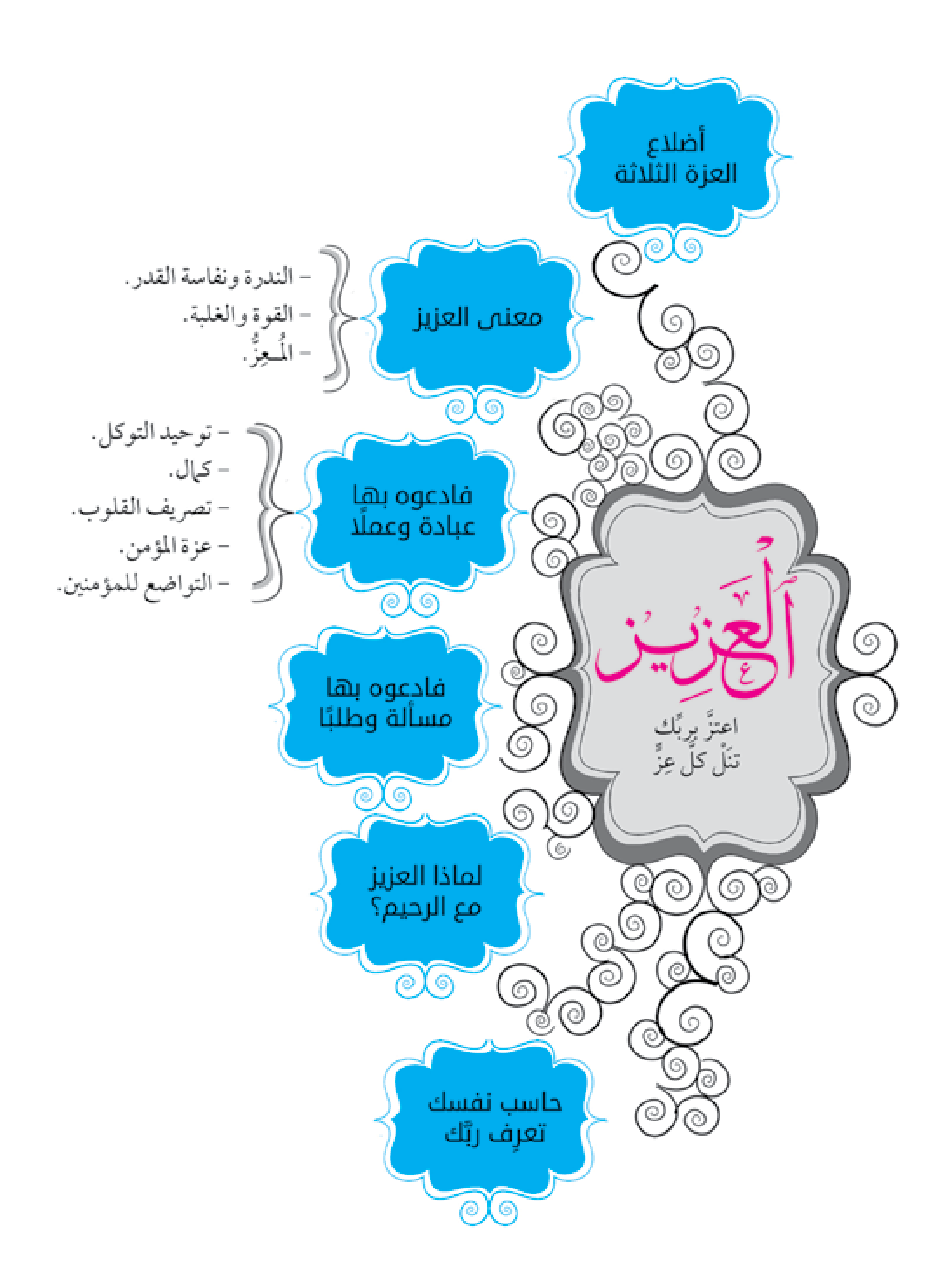
	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل دعوت الله باسم المهيمن؟!			
٢	هل تفعل ما تستطيع، وتدع النتائج لله في الدنيا؟!			
٣	هل توكَّلتَ على المهيمِن في كافة أمورك الحياتية والإيمانية؟!			
٤	هل تحرص على السؤال عن الحكم الشرعي في كل ما خفي عليك؟!			
٥	هل تحكِّم شرع الله وتجعله مهيمنًا في معاملاتك المادية (لا ربا ولا رشوة ولا شُبهة)؟			

عرف ربه المهيمن من انقاد له في كل شيء.



«العزيز: هو الخطير الذي يقلُّ وجود مثله، وتشتدُّ الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز»


تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ



أضلاع
العزة الثلاثة
معنى العزيز
- الندرة ونفاسة القدر.
- القوة والغلبة.
- المُعِزُّ.
فادعوه بها
عبادة وعملًا
- توحيد التوكل.
- كمال.
- تصريف القلوب.
- عزة المؤمن.
- التواضع للمؤمنين.
الْعَزِيزُ
اعتزَّ بربِّك
تنَلْ كلَّ عزٍّ
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
لماذا العزيز
مع الرحيم؟
حاسب نفسك
تعرِف ربَّك





أولاً: أضلاع العزة الثلاثة

العزيز: الذي له العِزَّةُ كُلُّها بأضلاعها الثلاثة:

١- **عِزَّةُ القُوَّة.**

٢- **عِزَّةُ الامتناع**: الذي لا يُنَال جانبه، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضُرَّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه.

٣- **عِزَّةُ الغَلَبَة**: قَهَرَ جميعَ الكائنات ودانت له الخلائق وخَضَعَتْ لعظمته.

ورد هذا الاسم في القرآن بصيغة التعريف العزيز أربعا وستين مرة.

وبصيغة التنكير عزيز أربعًا وعشرين مرة.

وهو الاسم الذي كلم الله به **موسى** أول ما كلَّمَه ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

هذا الاسم له أهمية عظيمة اليوم في ظل حال الذُّل الذي خيَّم على حياة الناس في ظل جهلهم باسم الله العزيز، وما يتطلبه إيمانهم بهذا الاسم من أسمال الجلال.

فأنت عبد العزيز لا عبدٌ مأمور، ولا عبد المال، ولا عبد الشهرة، فمن أراد العزة فلابد أن يعرف العزيز، ويتعرف على هذا الاسم.



ثانيًا: معنى اسم الله العزيز

واسم الله العزيز له ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: الندرة ونفاسة القدر

قال **الغزالي**:

«العزيز: هو الخطير الذي يقلُّ وجود مثله، وتشتدُّ الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز.

فكم من شيء يقلُّ وجوده، ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه، لم يُسَمَّ عزيزًا.

وكم من شيء يعظم خطره ولم يكثر نفعه، لم يسمَّ عزيزًا.

وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره، ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه، لم يسمَّ

عرف ربه العزيز من اعتز بطاعة الله والتزم شرعَه.

عزيزًا، كالشمس مثلاً، فإنه لا نظير لها، والأرض كذلك، والنفع عظيم في كلٍّ منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكن لا يوصفان بالعزَّة لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما.

فلابدُّ إذًا من اجتماع المعاني الثلاثة (ليصحَّ الوصف بالعزَّة).

والكمال في قلَّة الوجود أن يرجع إلى واحد، إذ لا أقلَّ من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله، وليس هذا إلا الله تعالى، أما الشَّمس فإنها وإن كانت واحدة في الوجود فليست واحدة في الإمكان، فيمكن وجود مثلها في الكمال والنَّفاسة.

أما شدة الحاجة فهي أن يحتاج إليه (أي إلى العزيز) كلُّ شيء في كلِّ شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته، وليس ذلك على الكمال إلا لله عز وجل.

وفيما يتعلَّق بالمعنى الثالث وهو صعوبة الوصول إلى العزيز، فالكمال في ذلك يتمثَّل في استحالة الوصول إليه، على معنى الإحاطة بكنهه، وليس ذلك على الكمال إلا لله عز وجل، فالله عز وجل بذلك هو العزيز المطلق الحق، لا يوازيه في ذلك الاسم غيره»[1].

المعني الثاني: القوة والغلبة

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾

يقول **القرطبي**:

«العزيز معناه المنيع الذي لا يُنال ولا يُغالَب»[2].

فلا أحد يستطيع أن يُغالِب الله ﷻ، فعزَّ بمعنى: غلب، وفي المثل العربي: (من عزَّ بزَّ) أي: مَن غلب أخذ المتاع، فالعزة بمعنى: الغلبة.

وقول: «لا يُغالَب» أكمل في المعنى من: «لا يُغلَب»؛ إذ قولنا: «لا يُغالَب» بمعنى أنه لا يُتَصَوَّر أن يطلب أحدٌ غلبة الربَّ عز وجل، مثل قولنا: «لا يُقاتَل» تعني أنه لا يتطلَّع أحد إلى قتاله فضلاً عن قتله؛ فليس هذا ممكنًا، فالله تعالى لا يُغلَب ولا يُغالَب.

وهذه العزة والقوة لا يقف في وجهها شيء، ولو كان ذلك مرضًا عضالاً حار فيه الأطباء وأعيا الأذكياء، فهذا **عثمان بن أبي العاص** رضي الله عنه يقص علينا خبره مع الله العزيز، فيقول:

أتيت النبي ﷺ وبي وَجَع قد كاد يُهلِكني، فقال رسول الله ﷺ:

«ضَعْ يمينك على المكان الذي تشتكي، فامسح بها سبع مرات، وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما

(١) روح البيان ١/ ٢٣٤، ٢٣٥ بتصرف يسير- إسماعيل حقي- ط دار الفكر.
(٢) تفسير القرطبي ٢/ ١٣١- ط دار الفكر.

ما عرف ربه العزيز من لم يجعل مصدر عزَّته في دينه والتزامه.



أجِد، في كل مسحة».

قال: ففعلت ذلك، فأذْهَبَ الله ما كَان بي، فلمْ أزَل آمرُ به أهلي وغيرَهم[1].

وهذه القوة الإلهية في مقابل الضعف البشري، وقد ضرب الله لهذا الضعف الشديد مثلاً عجيبًا، فقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾.

فأعظم الخلق قدرًا لا يمكنه الاحتراز من أحقر الخلق قدرًا ليعلم بذلك المخلوق عجزه وضعفه وذله، ولئلا يفتخر على أحدٍ من أبناء جنسه بما حازه من الدنيا، وهذا من علامات عزة العزيز وقوته وغلبته، ولذا أتبع الله هذا المثل باسمين من أسمائه في غاية المناسبة لهذا المعنى، وهما (القوي) والعزيز، فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

وقع الذباب على **المنصور** يوما، فذبَّه عنه، فعاد فذبَّه حتى أضجره، فدخل **جعفر بن محمد**، فقال له **المنصور**: يا أبا عبد الله.. لم خلق الله عز وجل الذباب؟! قال:

«ليُذِلَّ به الجبابرة»[2].

المعنى الثالث: المُعِزُّ

العزيز هو المعز أي مصدر العزة كما نقول: الأليم بمعنى المؤلم. قال تعالى:

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران ٢٦].

فمن طلب العز فليطلبه من رب العزة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر ١٠].

ومن أحبَّ أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة من يملك وحدَهُ العِزَّة.

فكلما زادت الطاعة زادت العزة؛ ولذا فأعز الناس هم الأنبياء ثم الذين يلونهم ممن اتبعهم من المؤمنين، وعزة كلِّ واحد بقدر علو رتبته في الطاعة، فكلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان أعظم عزة وأكمل رفعة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون ٨].

قال **قتادة** في تفسيرها:

«من كان يريد العِزَّة، فليتعزَّز بطاعة الله تعالى»[3].

(١) صحيح: رواه أبوداود عن عثمان بن أبي العاص كما في سنن أبي داود رقم: ٣٨٩١.
(٢) صفة الصفوة ١/ ٣٩٢.
(٣) صفة الصفوة ١/ ٣٩٢.

عرف ربه العزيز من عاش عزيزًا بدينه، فلم يُذِلَّ نفسه لأحد.

وقد تساءل الشيخ **الشِّرباصي** عن إشكالٍ، قائلاً:

«قد يعترض معترِضٌ فيقول:

كيف نجمع بين قول الحقِّ سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر ١٠]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون ٨]؟!

والجواب:

أنه لا تنافي بين الآيتين؛ لأنَّ العزَّ الذي هو للرسول ﷺ والمؤمنين هو في الحقيقة مِلْكٌ لله ومخلوق له، وعزُّه سبحانه هو المصدر لكلِّ عزٍّ، ومن ثَمَّ يكون عزُّ الرسول ﷺ والمؤمنين مستمدًّا من الله، على هذا فالعزُّ كلُّه لله، والعزَّة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلا إذا استظلَّت بظلِّ الله، واحتمت بحماه، أما عزة الكفار المشار إليها في الآية الكريمة ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص ٢] فهي تعزُّز، وهو في الحقيقة ذلٌّ؛ لأنه تشبُّع من الإنسان بما لم يُعطَه، وقد تُستعَار العزة للأنفة والحميَّة المذمومة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة ٢٠٦]، وكلُّ ذلك ليس من العِزِّ الحقيقيِّ في شيء»[1].

الإسلام مصدر العزة

روى **الحاكم** وغيره قصة **أسامة بن زيد** رضي الله عنه، حينما ذهب **حكيم بن حزام** إلى السوق فوجد حلةً تباع، فقال **حكيم**: لمن هذه؟ فقالوا: هذه حلة ذي يزن ملك من ملوك اليمن، فاشتراها بخمسين دينارًا، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وأهداها إليه، فلبسها ﷺ، وصعد المنبر بها، فما رُؤي من ذي حلة أجمل منه ﷺ يومئذٍ، ثم خلعها لأنه معرضٌ عن الدنيا، وألبَسَها حِبَّه وابن حِبَّه **أسامة بن زيد**، فمشى بها في السوق، فرآه **حكيم بن حزام**، وكان ذلك قبل إسلامه، فتعجَّب **حكيمٌ** من **أسامة** الرجل الأسمر الصغير، أبوه مولًى لرسول الله، ومع ذلك يلبس حلة ذي يزن!

فقال **أسامة بن زيد**:

نعم والله.. لأنا خيرٌ من ذي يزن، وأمي خيرٌ من أمه، وأبي خيرٌ من أبيه!!»[2].

فأسامة.. الشاب الصغير الذي استصغره الناس سنًّا ونسبًا وشكلاً، شعر أنه أعظم منزلةً من ملك اليمن ذي يزن، لا لشيءٍ إلا لأنه مسلمٌ! وهذا مصدر العزة الحقيقي والفخر الإيماني، فإذا أيقن المؤمن بذلك عانقه شعور الرفعة والقوة والفخر ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾، ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾.

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٧/ ٢٨٢٢.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٨/ ٧٣ وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٠٤.



قال **ابن القيِّم** وهو يشرح سر عزة **أسامة**، ويرسم لنا خريطة للعزة الإيمانية المفتقدة اليوم:

«العِزَّة والعُلُوُّ إنَّما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو عِلمٌ وعملٌ وحالٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فللعبد من العُلُوِّ بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، فله من العِزَّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظٌّ من العُلُوِّ والعِزَّة، ففي مُقَابَلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملاً، ظاهرًا وباطنًا»(١).

فلتعلم مصدر العِزَّة، فمَنْ طلبها من الله وجدها عنده غير ممنوعة عنه ولا محجوبة، ومن طلبها من غيره، وَكَلَه الله إلى من طلبها عنده، فوجد السراب.

وقد علَّمنا هذا الدرس أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه لما قدِم الشام، وعليه ثياب مرقَّعة، وهو آخذٌ برأس راحلته يخوض في مخاضة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، يلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالتك هذه، فقال:

«إنا قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام، فلن نطلب العِزَّ في غيره»(٢).

العزيز..

لا عزيز عنده إن خالف أمره، ولو كان خيرَ الخلق وشامة الرُّسُل؛ لأن العزيز لا يقبل خروج أحدٍ على طاعته، ولو كان من كان: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ والوتين عِرق الرقبة، وهذا التهديد فيه شدة بلا شك ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾، ولن ينفعه أحد منكم.

وقضى العزيز أن الذل مصير من عصاه! فمن عصى العزيز أذله ولابد.

عزة عالم وذِلَّة آخر

لما عاد **طه حسين** من بعثته إلى أوروبا أراد السلطان **حسين** أن يُكرمه فاستقبله في قصره استقبالاً حافلاً، وكان خطيب المسجد الذي كان السلطان مواظِبًا على صلاة الجمعة فيه هو **محمد المهدي** أحد أشهر خطباء وزارة الأوقاف حينها، فأراد أن يمدح السلطان بما فعل من تكريم **طه حسين**، فصلى الجمعة يوما بمسجد المبدولي القريب من قصر عابدين، ولكن خانته فصاحته، وغلبه الغلو في المدح، فقال في خطبته: «جاءه الأعمى، فما عبس في وجهه وما تولَّى»!

وكان من شهود هذه الصلاة الشيخ **محمد شاكر** -وكيل الأزهر ووالد العلامتين أحمد ومحمود شاكر-

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/ ١٨١ - ابن قيم الجوزية - ط مكتبة المعارف بالرياض.
(٢) الإحياء ٣/ ٣٥٧.

عرف ربه العزيز من اعتز بإسلامه وأبرز شعائر دينه.

الذي لم يتمالك نفسه مما عَرَض به **المهدي** جناب النبي ﷺ، فقام بعد الصلاة مباشرةً ونادى في الناسِ في المسجد أن صلاتهم باطلة، وأن خطيبهم قد كفر بما عَرَّض بالمقام النبوي في تملقه السلطان بإظهار منقبة له فاتت النبي ﷺ!

وأمرهم أن يعيدوا الصلاة فأعادوها، وذهب فورا إلى قصر عابدين، وقابل رئيس الديوان **محمود شكري** باشا، وطلب منه أن يرفع الأمر إلى عظمة السلطان، وأن يبلِّغه حكم الشرع في هذا بوجوب إعادة الصلاة التي بطلت بكُفر الخطيب.

فما كان إلا أن انقلبت الدنيا على **الشيخ شاكر** رأسًا على عقب، وكثُر اللغط، ونال منه كل من أراد أن يتقرب إلى السلطان، وقرَّر **المهدي** لجرأته أن يُقيم ضد الشيخ **محمد شاكر** دعوى بما ناله منه، وكان رأي الشيخ **شاكر** أنه لن يحتكم في حكم الشرع في هذا المجرم إلى علماء الأزهر، لأن حكم المساس برسول الله ﷺ ولو تعريضا معروفٌ للدهماء، لا ينكره إلا جاهل أو متعنِّت أو غبي، وإنما نقطة البحث الصحيحة فيها عربية لغوية صرفية: هل هذا تعريض بمقام الرسول الكريم بدلالة اللغة والاستعمال أم ليس بتعريض؟

ولا يحتاج الفصل في هذا إلى علماء الأزهر خشية أن يُظَنَّ بهم التعصب للدين، بل هي نقطة لغوية يكفي فيها رأي بعض المستشرقين الإفرنج، ممن لا يُظنُّ بهم العصبية لرسول الله ﷺ، وأصرَّ الشيخ (محمد شاكر) على موقفه غير عابئٍ بشأن **المهدي** ولا بمن وراءه من الصحفيين وكبار المسؤولين، فشاء الله أن تتدخل الحكومة في القضية خوفًا من الفتنة، فطُوِي بساطُها قبل أن ينظرها القضاء.

لكن.. أين صار أمرهما وإلى أين وصل ذكرهما؟! أمر **شاكر** وأمر **المهدي**؟!

❍ أما **شاكر** فقد اختير لعضوية (هيئة كبار العلماء)، بعد أن ولي منصب (قاضي القضاة) في السودان كأول مصري يتولى هذا المنصب، كما اختير كعضو في (الجمعية التشريعية) التي شكلتها الحكومة المصرية سنة ١٩١٣م.

❍ وأما **المهدي** فما كان الله ليدعه وجرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الأُخرى. يقول العلامة **أحمد شاكر**:

(فأُقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين، وبعد أن كان مُتعاليًا منتفخًا، مُستعزًا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء، رأيته مهينًا ذليلاً، خادمًا على باب مسجد يتلقى نعال المصلين في ذلةٍ وصَغار، حتى لقد خجلت أن يراني وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقةً عليه؛ فما كان موضعًا للشفقة، ولا شماتةً فيه فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن لما رأيت من عبرة وموعظة)[1].

(١) شذرات البلاتين من سير العلماء المعاصرين ص ٤٨-٥١ بتصرف - أحمد سالم المصري - ط دار الكيان بالرياض.



فانظر في من حولك، واعتبر بمن قبلك!



ثالثًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

الأول: توحيد التوكل

عن **عبد الله بن مسعود** ﷺ قال:

«إذا كان على أحدكم إمام يخاف تغطرُسه، أو ظلمه، فليقل:

اللهم ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم، كن لي جارًا من فلان بن فلان وأحزابِه من خلائقك، أن يفرُطَ عليَّ أحدٌ منهم، أو يطغى، عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله إلا أنت»(١).

ولنتعلم التعزز بالعزيز من **عثمان بن مظعون** ﷺ.

لما رأى **عثمان بن مظعون** ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من **الوليد بن المغيرة**، قال: والله إن غدوي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي.

فمشى إلى **الوليد بن المغيرة**، فقال له: يا أبا عبد شمس، وَفَت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له: (لم) يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره؟ قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية.

قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا **عثمان** قد جاء يرد عليّ جواري، قال: صدق، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف **عثمان، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب** في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم **عثمان**، فقال **لبيد**:

ألَّا كل شيء ما خلا الله باطل.

قال **عثمان**: صدقت.

قال **لبيد**:

وكل نعيم لا محالة زائل.

---

(١) الأدب المفرد رقم: ٧٠٧.

عرف ربه العزيز من استعاذ بعزته من أن يضل أو أن يغوى.

قال **عثمان**: كذبت، نعيم الجنة لا يزول.

قال **لبيد بن ربيعة**: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟

فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه **عثمان** حتى شري أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضَّرها، **والوليد بن المغيرة** قريب يرى ما بلغ من **عثمان**، فقال: أما والله يا ابن أخي، إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة. قال: يقول **عثمان**:

بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس.

فقال له **الوليد**: هَلُمَّ يا ابن أخي، إن شئت فعُدْ إلى جوارك، فقال: لا»[١].

وفي ذلك يقول الإمام **ابن القيم**:

«وهذه العِزَّة مستلزمةٌ للوحدانية؛ إذ الشركة تُنقص العِزَّة، ومستلزمةٌ لصفات الكمال؛ لأن الشركة تُنافي كمال العِزَّة، ومستلزمةٌ لنفي أضدادها»[٢].

الثاني: كمال التنزيه

ومن كمال العزة تنزيهه سبحانه عن كل سوء وشرٍّ ونقص، وفي ذلك يقول **ابن القيم**:

«اسمه العزيز الذي له العزة التامة. ومن تمام عزته: براءته عن كل سوء وشر وعيب، فإن ذلك ينافي العزة التامة»[٣].

الثالث: تصريف القلوب

ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه، وهو يجعل العبد خائفًا من ربه سبحانه، لائذًا بجنابه معتصمًا به، متبرئًا من حوله وقوته، سائلاً ربه حفظ قلبه وصلاح دينه ودنياه، وفي هذا يقول الإمام **ابن القيم**:

«... وأنه لكمال عزته حكم على العبد، وقضى عليه بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء وحال بين العبد وقلبه، وجعله مريدًا شائيًّا لما شاء منه العزيز الحكيم، وهذا من كمال العزة، إذ لا يقدر على ذلك إلا الله، وغاية المخلوق أن يتصرف في بدنك وظاهرك. وأما جعلك مريدًا شائيًّا لما يشاؤه منك ويريده: فلا يقدر عليه إلا ذو العزة الباهرة.

(١) البداية والنهاية ٣/ ١١٦ - ابن كثير - دار إحياء التراث العربي.
(٢) شفاء العليل ٢/ ٥١١.
(٣) شفاء العليل ١/ ١٨٠.



فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه، وتمكن شهوده منه، كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له؛ لأنه يصير مع الله لا مع نفسه.

ومن معرفة عزته في قضائه: أن يعرف أنه مدبَّر مقهور، ناصيته بيد غيره. لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته، فهو ذليل حقير، في قبضة عزيز حميد»[1].

فوالله لولا الله يُسعد عبْدَه ... بتوفيقه، والله بالعبد أرحَمُ
لما ثَبَتَ الإيمان يومًا بقلبه ... على هذه العلّات والأمرُ أعْظمُ
ولا طاوَعَته النَّفس في تَركِ شهوة ... مخافةَ نارٍ، جمرها يَتَضرَّمُ
ولا خاف يومًا مِنْ مقام إلهه ... عليه بِحُكْم القِسْطِ إذ ليسَ يَظلمُ

ولذا كان من دعاء النبي ﷺ بعزة الله أن يعصمه من الزيغ والضلال، وهو المعصوم، لكنها الرحمة بأمته والنصح لها وإرشادها:

«أعوذ بعزتك أنت الذي لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[2].

الرابع: عزة المؤمن

مهما ابتغى العبد العزة عند غير العزيز تعالى وبغير دينه فلن يجد إلا الذل والهوان.

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]..

وقال سبحانه رادًّا على المنافقين الذين رأوا العزة عندهم:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وهو أسلوب قصر، أي العزة لله ولرسوله وللمؤمنين لا لكم كما تحسبون أيها المنافقون، وإعادة اللام في قوله ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ مع أن حرف العطف مُغْنٍ عنها لتأكيد عزة الرسول ﷺ، وأنها بسبب عزة الله ووعده إياه، وإعادة اللام أيضا في قوله وللمؤمنين للتأكيد على ذلك أيضا؛ إذ قد تخفى عزتهم، وأكثرهم في حال قلة وحاجة.

وهذا الشعور بالعزة يثمر التعالي على الباطل وأهله مهما تسلطوا على العبد، فغاية ما يقدرون عليه هو الأذى الظاهري، أما القلب فما دام مملوءًا بالإيمان والاعتزاز بالقوي العزيز، فلن يصلوا إليه أو يسيطروا عليه.

(١) مدارج السالكين ١/ ٢٢٢.
(٢) صحيح: رواه البخاري عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ١٠٧٥.

عرف ربه العزيز من استعاذ رأى على تقليب قلوب العباد فدعاه بالثبات.

قال إبراهيم الخواص:

«على قدر إعزاز المرء لأمر الله يُلبِسه الله من عِزِّه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين»[1].

قوة لا يوقظها إلا الإيمان

قال الشيخ **علي الطنطاوي** عن العِزَّة التي يوقِظها الإيمان:

«لما كانت موقعة ميسلون في الشام من سبع وأربعين سنة، ودخل الفرنسيون دمشق ظافرين، شهدتُ مشهدًا لا يزال منقوشًا في ذاكرتي. كنت ذاهبًا إلى المدرسة، وكنا في أوائل المرحلة الإعدادية، فوجدتُ ثلاثة من الجنود الفرنسيين المسلَّحين يلحقون امرأة مسلمة محجبة، يتحرشون بها ويمدون أيديهم إليها، وهي تصرخ مذعورة وهم يتضاحكون، والناس خائفون منهم وقلوبهم تتقطع ألمًا، وإذا بِسَمّان (بقّال) كهل يصرخ صرخة هائلة تخرج من أعماق قلبه كأنها ليست من أصوات البشر: ولك شو بِكُمْ؟ ما عاد في دين؟ ما عاد في نخوة؟

ويثب إليهم بأربع خطوات فيصير بينهم، يهجم عليهم بيديه بلا سلاح، وتسري عدوى الحماسة فيلحقه الناس.

وأذكر وأنا ولد أني رميت حقيبة الكتب وهجمت معهم، ولم يكن مع أحد من المهاجمين قطعة حديد، ومع الجنود البنادق المحشوة بالرصاص، ومع ذلك غُلِبوا وسقطوا على الأرض، ونزل عليهم الناس ضربًا وركلاً، فلم يخرجوا إلا بثياب ممزقة وأعضاء محطمة.

هذه القوة الكامنة هي مصدر العزة التي وصف الله بها المؤمنين. إنها موجودة في نفوسنا لا تزال، رغم الضعف والتفرق والانقسام، ولكنها تحتاج إلى مَن يوقظها، وهذه القوة لا يوقظها إلا الإيمان»[2].

الخامس: التواضع للمؤمنين

فمن عرف أن العزة لله وحده، ذلَّ لعباده المؤمنين، وقد وصف الله تعالى عباده الذين يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال الرسول ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه»[3]، فمن أسباب العزَّة: العفوُ والتَّواضع، فمن عفا مع قدرته على الانتقام منه، عظمت مكانته في القلوب في الدنيا، وعظم ثوابه في الآخرة.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٢٩٩.

(٢) نور وهداية ١/ ٦٧، ٦٨ – علي الطنطاوي – ط دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة.

(٣) صحيح: رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٨٠٩.

ما عرف ربَّه العزيز من لم يتذلل لمولاه، ولم يعتذر له مما جناه، فما قرَّبه ولا أدناه.





رابعًا: لماذا العزيز مع الرحيم؟!

جاءت اقتران (العزيز الرحيم) في القرآن (ثلاث عشرة مرة).

منها (تسع مرات) وحدها في الشعراء.

لِلإِشارة إلى أن الله بِعِزَّتِه قادِرٌ على نصر عبده على عدُوِّه وإن كان أقوى مِنْه، وأنه برحمته يَعْصِمه منهم.

وصفة الرحمة هنا لتنفي ما ظنه البعض أن العزة هنا تقتضي الجبروت أو القهر والظلم، فهو سبحانه في عِزَّته رحيم؛ لأن عزة العزيز على المتكبِّر هي في حقيقتها رحمةٌ بمن تكبَّر عليه.

وكأن الحق سبحانه وتعالى يُعلِّم خليفته في أرضه:

إياك أنْ تتوكَّل على عبد مثلك؛ لأنه عاجز مثلك، وما دام الأمر كذلك، فتوكَّل على العزيز الرحيم، فعِزَّته ورحمته لك.

خامسًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

أسألك باسمك العزيز..

اللهم أعزَّني بطاعتك ولا تذلني بمعاصيك، وانقلني من ذُلِّ المعصية إلى عزِّ الطاعة.

أسألك باسمك العزيز..

يا من لا يغلبه شيء.. أعِز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشِّرك والمشركين، ولا تجعل لأحدٍ منهم سلطانًا على عبادك المؤمنين.

أسألك باسمك العزيز..

ارزقني عزة المؤمن في غير كِبر، وغَلَبَة الحق من غير بغي.

أسألك باسمك العزيز..

كما جعلت العزة للمؤمنين على المنافقين، فاجعل العزة للمصلحين من عبادك، وأنزل الذلة على الجائرين والظالمين.

عرف ربه العزيز من لم يتذلل لأحدٍ مهما كانت قوته وسطوته.

سادسًا: حاسب نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل عفوت عن أحد أساء إليك؟!			
٢	هل تدعو الله أن يُعِزَّك بالإسلام ويُعِزَّ الإسلام بك؟			
٣	هل تدعو الله باسم الله العزيز أن لا يُذِلَّك لأحد؟			
٤	هل تدعو بالدعاء المأثور عند المرض والذي يحوي اسم الله (العزيز)؟			
٥	هل تعتز بالتزامك بدينك؟ وتفتخر بشعائره وتدعو إليها؟			

ما عرف ربه العزيز من تذلّل في مجالس الأغنياء وهو من الفقراء، وتذلّل للأقوياء وهو من الضعفاء.

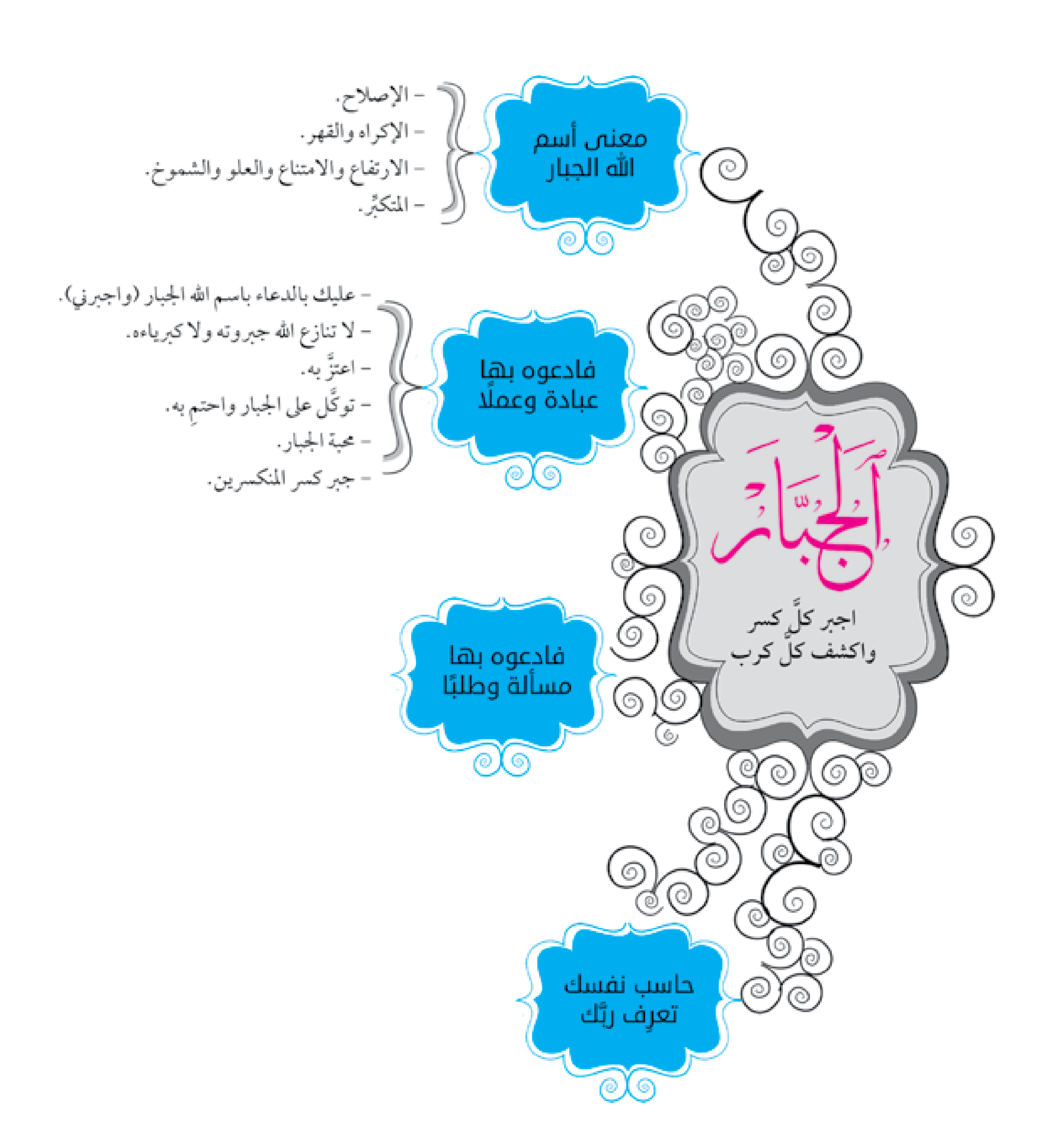


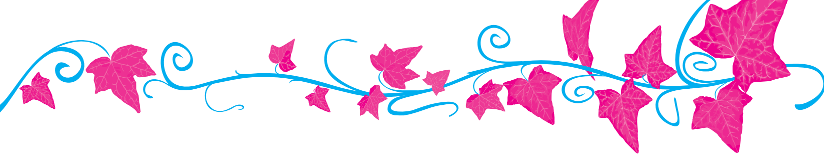
اجبر كلَّ كسر واكشف كلَّ كرب

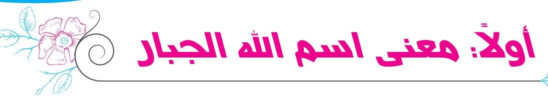
المُصلِح لأمور خلقه، وهو القاهر لهم على ما أراد منهم من أمرٍ ونهي، وكذلك هو الذي يجبر كسر عباده المادي والمعنوي.

يا جبار




الجبار
اجبر كلَّ كسر
واكشف كلَّ كرب
معنى أسم
الله الجبار
- الإصلاح.
- الإكراه والقهر.
- الارتفاع والامتناع والعلو والشموخ.
- المتكبِّر.
فادعوه بها
عبادة وعملًا
- عليك بالدعاء باسم الله الجبار (واجبرني).
- لا تنازع الله جبروته ولا كبرياءه.
- اعتزَّ به.
- توكَّل على الجبار واحتمِ به.
- محبة الجبار.
- جبر كسر المنكسرين.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرف ربَّك





أولاً: معنى اسم الله الجبار

لفظ الجبار مأخوذٌ من الجبر، ومعاني الجبر أربعة:

الأول: الإصلاح.

قال الطبري:

«الجبار: يعني المصلح أمور خلقه المصرفهم في ما فيه صلاحهم»[(١)].

أصل الجبر إصلاح الشيء بضربٍ من القهر، أي بنوع من القوة والقدرة.

ومنها: جَبَرَ العَظم إذا أصلَحَ كسره، وجَبَرَ الفقير يعني أغناه، وجَبَرَ الخاسر أي عوَّضه، وجَبَرَ المريض أي عالجه.

وفي الحساب: (جبر الكسر)، أي تكميله، وذلك بتحويل أي كسرٍ إلى واحد.

ولذا قالوا: «مَنْ جَبَرَ اللهُ مصيبتَه رَدَّ عليه ما ضاع منه وعَوَّضَه».

والمعنى الشامل هو الإصلاح.

الجبار..

صيغة مبالغة لفعل الجبر، أي متصف بكثرة جبر حوائج الخلق، فهو الذي..

يجبر الفقر بالغنى.

والمرض بالصحة.

والخيبة والفشل بالتوفيق والأمل.

والخوف والحزن بالأمن والفرَح.

الجبار..

يجبر أصحاب المصائب ويعينهم على الثبات، ويعوِّضهم بالحسنات، ويكافئهم في الدنيا على صبرهم بالنِّعَم السابغات.

الجبار..

يجبر كسر المظلوم بقَصْم ظَهْر الظالم، ويسترد للمظلوم حقَّه من بين فكَّي الظالم.

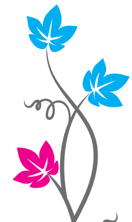
---

(١) تفسير الطبري ٢٨/ ٣٦.

عرف ربه الجبار من لم يتجبَّر ولم يتكبَّر، بل خفض جناحه للمؤمنين وتواضع للصالحين.

الجبار..

يجبر التوابين بالقبول، بل ويسخِّر لهم حملة العرش يدعون لهم ولوالديهم وأزواجهم وذرياتهم بالوقاية من الذنب في الدنيا، ودخول الجنة في الآخرة.



وإن تصوَّرتَ أحد الخلق قادرًا على إصلاح شيء مِن حياتك تكن عندها جاهلاً بربك وصفات خلقه، فلا يملك الناس إصلاح ما لا يُصلِحه الله، ولا جبر كسرٍ لم يأذن به الله، ولو كان ذلك في أهون الأمور كإصلاح بين زوجين متخاصمين!

قال تعالى:

﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾..

الآية تتحدَّث هنا عن الحكَمين: حكَمٍ من أهله وحكَمٍ من أهلها، لكن هل هؤلاء سَيُصلِحان ما فسد بين الزوجين؟!

كلا، بل فعل الإصلاح منسوبٌ هنا إلى الله عز وجل، فهو الذي يوفِّق بينهما.

قال **ابن القيم** وهو يعرِّفنا بربنا الجبار لنزداد له حبًّا:

«مِنْ كمال إِحْسَانِ الرَّبِّ تعالى أن يُذيق عبده مرارة الْكَسْرِ قبل حلاوة الْجَبْر، وَيُعَرِّفَهُ قدر نِعْمَته عليه بِأَن يَبْتَلِيَه بِضِدِّها، فما كسر عبده المؤمن إلا ليجبره، ولا منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا نغَّص عليه الدنيا إلا ليرغبه في الآخرة، ولا ابتلاه بجفاء الناس إلا ليرده إليه»[1].

الثاني: الإكراه والقهر

ومثال ذلك قولك: أجبرتُه على شيء.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ هو الذي يُجْبِر الناس على ما يريدون رغم أنفهم ويكرههم عليه، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ [ق: ٤٥]، أي: لست بالذي تُجبِرهم على الهداية.

فالجبار هنا بمعنى القهار الذي يقهر ولا يُقهَر، ويَغلِب ولا يُغلَب، وهو يُجير ولا يُجارُ عليه، وهو الذي دان له كل شيء، وخضَع له كل شيء، ولا يقع في هذا الكون تسكينة ولا تحريكة إلا بمشيئته سبحانه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يستطيع أحد مهما بلغت قوته وعظمته أن يخرج عن إرادة الله عزوجل، فإرادته فوق كل إرادة، فلا معقِّب لحكمه، ولا راد لقضائه؛ ولذا قال **أبو العتاهية**:

قد يُدرِك الراقدُ الهادي برَقْدته ... وقد يخيب أخو الرَّوْحات والدُّلَج

(١) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٣٠٦.

ما عرف ربه الجبار من تجبَّر وتكبَّر، وتفاخر بنَسَبِه أو قُوَّته أو ماله على من حوله.

أورد **البخاري** في كتاب الرقائق، باب (يقبض الله الأرض يوم القيامة) في حديث تتعرَّف به على الجبار، وما يكون منه يوم القيامة:

«تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُها الجُبَّار بيدِه كما يَكْفَأُ أحدُكم خُبْزَتَه في السَّفَر نُزُلاً لِأَهْل الجُنَّة».

«يَتَكَفَّؤُهَا» أي: يقلِّبها مِن كفأت الْإِنَاء إذا قلبته، وفي رواية مسلم: يكفؤها.

«كما يكفؤ أحدُكم خبزته في السَّفر» أي: أنه كخبزة المسافِر التي يجعلها في الرماد الحار، ويقلِّبها من يد إلى يد حتَّى تنضج وتستوي، والمعنى أن الله عز وجل يجعل الأرض كالرغيفَ العظيم؛ ليأكل المؤمن من تحت قدميه حتَّى يُفرَغ من الحساب.

«نُزُلاً لأهل الجنَّة»: ويُسْتَفاد من الحديث أنَّ المؤمنين لا يُعَاقَبُون بالجوع في طول زمان الموقف، بل يَقْلِب الجبار لهم بِقُدْرَته الْأَرْضِ حتَّى يأْكُلوا منها مِنْ تحت أقدامهم ما شاء الله.

الثالث: الارتفاع والامتناع والعلو والشموخ

فالنخلة الجبارة التي لا تُنال ثمارها بيد من فرط علوها، وهو بمعنى (العلي) على كل شيء، الذي له جميع أنواع العلو: علو الذات وعلو القدر وعلو القهر.

الرابع: المتكبِّر

فهو المتكبِّر بربوبيته عن كل سوء ونقص، وعن مماثلة أحد من خلقه، وعن أن يكون له كفوًا أو ضد أو سَمِي أو شريك في خصائصه وصفاته.



ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- عليك بالدعاء باسم الله الجبار (واجبرني)

وكلنا ذوو كَسْر بل كسور! فمن ذلك: كسر الفقد، وكسر الغربة، وكسر المرض، وكسر الفشل، وكسر الذنب، ولذا علَّمنا النبي ﷺ طريق الجبر الأمثل كما في حديث **ابن عباس** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يدعو بين السجدتين:

«اللهم اغفر لي وارحمني واجبُرني واهدني وعافني وارزقني»[1].

(١) صحيح: رواه أبوداود وابن ماجة والترمذي كما في تخريج الكلم الطيب عن ابن عباس رقم: ٩٨.

عرف ربه الجبار من رأى قصمه للجبابرة، فاحتمى به ضد من عاداه أو ظلمه.

وإذا قلت: اللهم اجبرني، فاقصد بهذا الجبر إصلاحك، ودفع جميع المكاره الإيمانية والدنيوية، والمادية والمعنوية عنك.

وفي حديث آخر عن **أبي أمامة** رضي الله عنه قال:

ما دنوت من نبيكم ﷺ في صلاة مكتوبة أو تطوُّع إلا سمعتُه يدعو بهؤلاء الكلمات لا يزيد فيهن، ولا ينقص منهن:

«اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي، اللهم أنعِشني، واجبُرني، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها، ولا يصرف سيئها إلا أنت»(١).

ومعنى **«أنعشني»**: ارفعني وقوِّ جأشي، وأنعَشَه: إذا تداركه وأنقذه من ورطته، وانتعش بعد أن تعثَّر أي نهض من عثرته.

فعامِل الله تعالى في كل نقص وعند كل عجز باسمه **الجبار**؛ لكي يجبر نقصك وعجزك، فإن فعلتَ لقيتَ من الجبر فوق ما تتمنى.

إيمانك باسمه **الجبار** يجعلك لا تَغتَرّ بالأسباب، بل يجعل قلبك من الأسباب يائسًا، وبحسن الظن بالله متعلِّقا.

لماذا لَمْ يجبر الله كسري؟

قد يقول قائل: أنا أسأل الله باسمه **الجبار** أن يعطيني ولكن لا أُعْطى.

أولاً:

عطاء الله تعالى وجبره لكسرك موافق لحكمته، فهو يجبر كسرك بحكمته البالغة، فيعطيك ما يناسبك في الوقت الذي يناسبك.

ثانيًا:

ربما كان الذي نقص عليك، في نقصه كمالٌ لك، والحديث يشهد بذلك:

«إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه؛ كما تحمون مريضكم الطعام والشراب، تخافون عليه»(٢).

فقد يفسد المال صاحبه، ويصرفه عن طاعة ربه، ويلهيه عن الصلوات بالصفقات، وعن الاستغفار في

---

(١) صحيح: رواه الطبراني وابن السني في عمل اليوم والليلة كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٦٦.
(٢) صحيح: رواه أحمد عن محمود بن لبيد كما في صحيح الجامع رقم: ١٨١٤.



الأسحار بالمضاربة في البورصة وفروق الأسعار؛ ولذا كان من أروع ما قال **محمود الوَرَّاق**:

قَـــدَرُ اللَّه كَائـــنٌ حين يقضـــي وُرودَه

قد مضى فيكَ علْمُه وانتهـى مـا يُريـدُه

فأَرِدْ مــا يكـون إنْ لـم يكُنْ مـا تُريدُه

وشاهدي من هذه الأبيات:

فأَرِدْ مــا يكـون إنْ لـم يكُنْ مـا تُريدُه

فإن لم يفعل الله ما يريده العبد جعل الله عبده راضيًا بما يفعل، وراحة الرضا في القلب أعظم وأتمُّ من راحة العطاء فيه.

ويأتي هنا سؤال:

هل كُلُّ جبرٍ يجب أن يكون من نفس نوع الكسر؟

والجواب:

قد يكون من نفس النوع وقد لا يكون، لكن كلما قوي إيمانك كلما كان جبر الله لكسرك أسرع وأكمل، فما تشعر معها بالنقص، بل يمتلئ قلبك بالرضا، ويفتح الله لك من محبته وتوفيقه وألوان معارفه ما ينسيك كل كسر، ويشغلك عن كل مُرٍّ.

واعلم كذلك أن الجبار حكيم، فلا تستعجل الجبر، فربما كان الخير في التأخير، ومزيد الأجر والفضل في إطالة أمد الكسر.

٢- لا تنازع الله جبروته ولا كبرياءه

في الحديث:

«قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»[١].

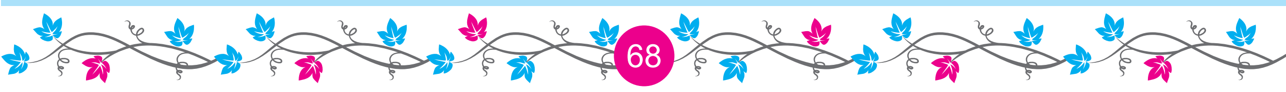
وفي الحديث:

(قال الله تعالى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِي رِدَائِي قَصَمْتُهُ)[٢].

أي أذللته وأَهَنْتُه أو قَرَّبْتُ هلاكه.

والكبرياء هو الترفع عن الانقياد، وذلك لا يستحقه إلا الله سبحانه؛ لأن كبرياء ألوهيته هو في استغنائه

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة وابن ماجة عن ابن عباس في صحيح الجامع رقم: ٤٣١١.
(٢) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣٠٩.



عما سواه، وأما كل عبد، فلا يستغني لحظةً عن بِرِّ مولاه.

وأما العظمة فهو أن يستعظمه غيره، وذلك إذا كثر ما تعلَّق به من الخدم والحشم، وإذا كان الأمر كذلك كانت صفة (الكبرياء) ذاتية، وصفة (العظمة) إضافية، والذاتي أعلى من الإضافي.

لكن لماذا شبَّه الكبرياء بالرداء، وشبَّه صفة العظمة بالإزار؟

الرِّداء: ما يلبسه الرجل على رأسه وكتفيه، وهذه الأعضاء مختصة بالترفع والتكبر والظهور، والإزار ما يلبسه الرجل من وسطه إلى قدميه، وهذه الأعضاء مختصة بالنزول والانحطاط والخفاء، ومعلوم أن الرِّداء أرفع درجة من الإزار، فوجب أن تكون صفة الكبرياء أرفع من العظمة.

ووجه آخرُ للتمييز بين الكبرياء والعظمة:

الكبرياء في حق البشر أشد قبحًا وأعظم جرمًا وبالتالي عقوبة؛ لأنه يستدعي متكَبَّرًا عليه؛ ولذلك فُسِّر الكبر بأنه بطر الحق وغمط الناس، فالمتكبَّر عليه هنا هو الحقُّ أو الخلق، وأما العظمة فلا تقتضي ذلك، فالمعظِّم لنفسه يلحظ كمال نفسه ولو لم يترفَّع على غيره.

قال الشيخ **محمد سعيد رمضان البوطي** في أحد خطبه عن أحد هؤلاء المتجبِّرين:

«مرض واشتد به المرض، ثم وقع في سياق الموت، فصاح يقول لمن حوله من أفراد أسرته: آتوني مسدسًا، أين المسدس؟! آتوني بالمسدَّس؛ لأقتل هذا الذي جاء! (يقصِد ملك الموت!)

وقضى نحبه وهو يصيح: آتوني المسدَّس».

وانظروا هذا الكِبْرَ الذي صاحَب صاحِبه حتى آخر لحظات حياته، فلم يفارقه، فأي شؤمٍ أعظم من هذا؟ وأي عقوبة أشَدُّ؟!

٣- اعتزَّ بالله

يا من ألـوذ بـه فيما أؤمِّلـه ... ومـن أعـوذ بـه مما أحـاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابـره

ما شاء الجبار كان، وما لم يشأ لم يكن!

يقول الشيخ **علي الطنطاوي**:

«حدَّثني بعض مشايخي عمَّن رأى بعينه وسمع بأذنه، قال:

وقعت الصيحة في [حي الميدان]، أجل أحياء دمشق وأكبرها، صبيحة يوم من أيام سنة ١٨٣١ بأن **إبراهيم** باشا قادم لزيارة عالِم الشام الشيخ **سعيد الحلبي** في مسجده.

ما عرف ربه الجبار من لم يحبه مع كثرة ما جبر من كسره وستر من عيبه.



وإبراهيم باشا مَن قد علمت في بطشه وجبروته، ومَن يدُه إلى السيف أسرع من لسانه إلى القول وعينه إلى النظر، ومَن كان جبارَ سورية وفاتحها وسيدها.

وقد لقي الشيخ **سعيد الحلبي** عالِمَ الشام في عصره، وقد كان في درسه مادًّا رجله، فدخل عليه **إبراهيم** باشا **ابن محمد علي** صاحب مصر، فلم يتحرَّك له ولم يقبض رجله، ولم يبدّل قعدته. وتألّم الباشا ولكنه كتم ألمه، وذهب فبعث إليه بصرَّة فيها ألف ليرة ذهبية، وكانت يومئذٍ تعدل مليون ريال الآن.

فردَّها الشيخ، وقال للرسول الذي جاءه بها: قل للباشا: إن الذي يمدُّ رجله لا يمدُّ يده»[1].

٤- توكل على الجبار واحتمِ به

فيعلم أنه يركن إلى ركن شديد، وأنه يلجأ إلى ربِّ نواصي الخلق كلهم بيده، وأنه لو اجتمعت عليه الأمة على أن ينفعوه بشيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، فلا يخاف من الخلق طغوا، فإن الذي عظَّمهم في قلبه إنما هو الشيطان: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾.

وكلما كان العبد أكثر افتقارًا إلى ربه وعبودية له كلما كان جبر الله لكسره أعظم، وكلما كان القلب ملتفتًا إلى الخلق كلما نَحَت ذلك من افتقاره إلى ربه وعبوديته، فكان جبره أقلَّ.

٥- محبة الجبار

جُبِلتْ القلوب على حب من أحسن إليها، فكيف وأنت ليس محسنٌ إليك على الحقيقة إلا الله، فهو الذي يصلح لك شأنك كله، وكل إحسان وصل إليك هو من الله، وما البشَر إلا وُسطاء في الطريق، لو لم يصل الخير لك عن طريقهم لوصل عن طريق غيرهم.

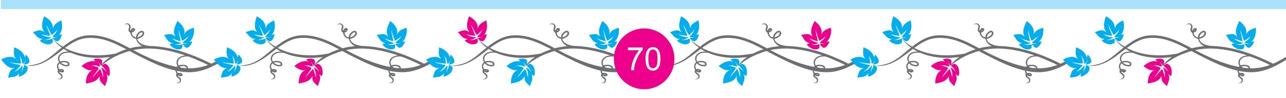
قال **ابن القيِّم**:

«من تدبَّر حكمته سبحانه ولطفه وبره بعباده وَأهل طَاعَته فِي كَسره لَهُم ثمَّ جبره بعد الانكسار، كَمَا يكسر العَبْد بالذنب، ويذله بِهِ، ثمَّ يجْبرهُ بتوبته عَلَيْهِ ومغفرته لَهُ.

وكما يكسرهُ بأنواع المصائب والمحن ثمَّ يجْبرهُ بالعافية وَالنعْمَة، انْفَتح لَهُ بَاب عَظِيم من أَبْوَاب مَعْرفَته ومحبته، وَعلم أنه أرْحَمْ بعباده من الوالدة بِوَلَدِهَا، وأن ذَلِك الْكسر هُوَ نفس رَحمته بِهِ وبره ولطفه، وهو أعلم بمصلحة عَبده مِنْهُ، ولكن العَبْد لضعف بصيرته ومعرفته بأسماء ربه وَصِفَاته لَا يكَاد يشْعر بذلك، ولا ينال رضَا المحبوب وقربه والابتهاج والفرح بالدنو مِنْهُ والزلفى لَدَيْهِ إلَّا على جسر من الذلة والمسكنة، وعلى هذا

(١) قصص من التاريخ ١/ ٢٦٧ بتصرف - علي الطنطاوي - دار المنارة للنشر والتوزيع.

عرف ربه الجبار من تقوّى به على ظلمه.



قام أمْر المحبة، فلا سَبِيل إلى الوصول إلى المحبوب إلا بذلك»[1].

٦- اجبر كسر المنكسرين

جبر الله كسرك، فأدِّ شكر هذه النعمة، واجبر كسر من حولك، وتلطَّف بمن كسرته محنة أو فقر أو مصيبة، وعامِله بما تُحِبُّ أن يعاملك الناس به إذا انكسرت.

قال **ابن عربي** وهو يشرح سِرَّ قرب العبد من ربه في سجوده في معنى بعيد، لكنه لطيف:

«لما جعل الله الأرض لنا ذَلولاً نمشي في مناكبها، فهي تحت أقدامنا تطؤها بها، وذلك غاية الذِّلة، فأَمَرَنا أن نضع عليها أشرف ما عندنا وهو الوجه، وأن نُمرِّغَه عليها جبرًا لانكسارها، فاجتمع بالسجود وجه العبد ووجه الأرض، فانجبر كسرها، وقد قال الله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»، فلذلك كان العبد في تلك الحالة أقرب إلى الله تعالى من سائر أحوال الصلاة؛ لأنه سعى في حق الغير لا في حق نفسه، وهو جبر انكسار الأرض من ذِلَّتِها»[2].

ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهم اغفِر لِي وَارحَمْني وَاجْبرني واهْدِني وارزُقني».

«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة».

«اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي، اللهم أنعشني، واجبرني، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها، ولا يصرف سيِّئها إلا أنت».

أسألك باسمك الجبار..

اجبر كسرنا، واكشف ضُرَّنا.. يا كريم يا رَحِيم

أسألك باسمك الجبار..

اجعل بعد الكسر جبرا، وبعد العُسر يسرا، وبعد الضيق والشدة سعة وفَرَجا.

أسألك باسمك الجبار..

أن تجعلني سببا في جبر كسر مريض أو يتيم أو مسكين أو مكروب أو أسير.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٤ - ابن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية.
(٢) فيض القدير ٢/ ٦٨.



رابعًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تدعو الله بالجبر كلما انكسرت؟			
٢	هل تثق في قدرة الله أن يقصم الظالم مهما علا وتجبَّر؟			
٣	هل ترضى بجبر الله لكسرك وإن لم يكن من جنس ما دعوتَ به؟			
٤	هل تتجبَّر أو تتكبَّر على أحد من خلق الله؟			
٥	هل تسعى بصدق في جبر كسر من عرفت من المكسورين والمكروبين؟			



من تكبَّر نعيناه وكبَّرنا عليه وبكيناه

المنزَّه عن صفات خلقه بما فيه من كل نقص وسوء ومن ذلك: الظلم، وهو كذلك المترفِّع عن الانقياد لأحد، فإن نازعه أحد من خلقه في سلطانه قصَمَه.

المُتَكَبِّرُ

الكبرياء

ردائي

والعظمة

إزاري

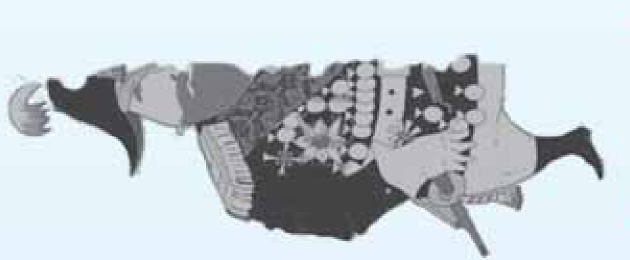
فمن

نازعني

فيهما

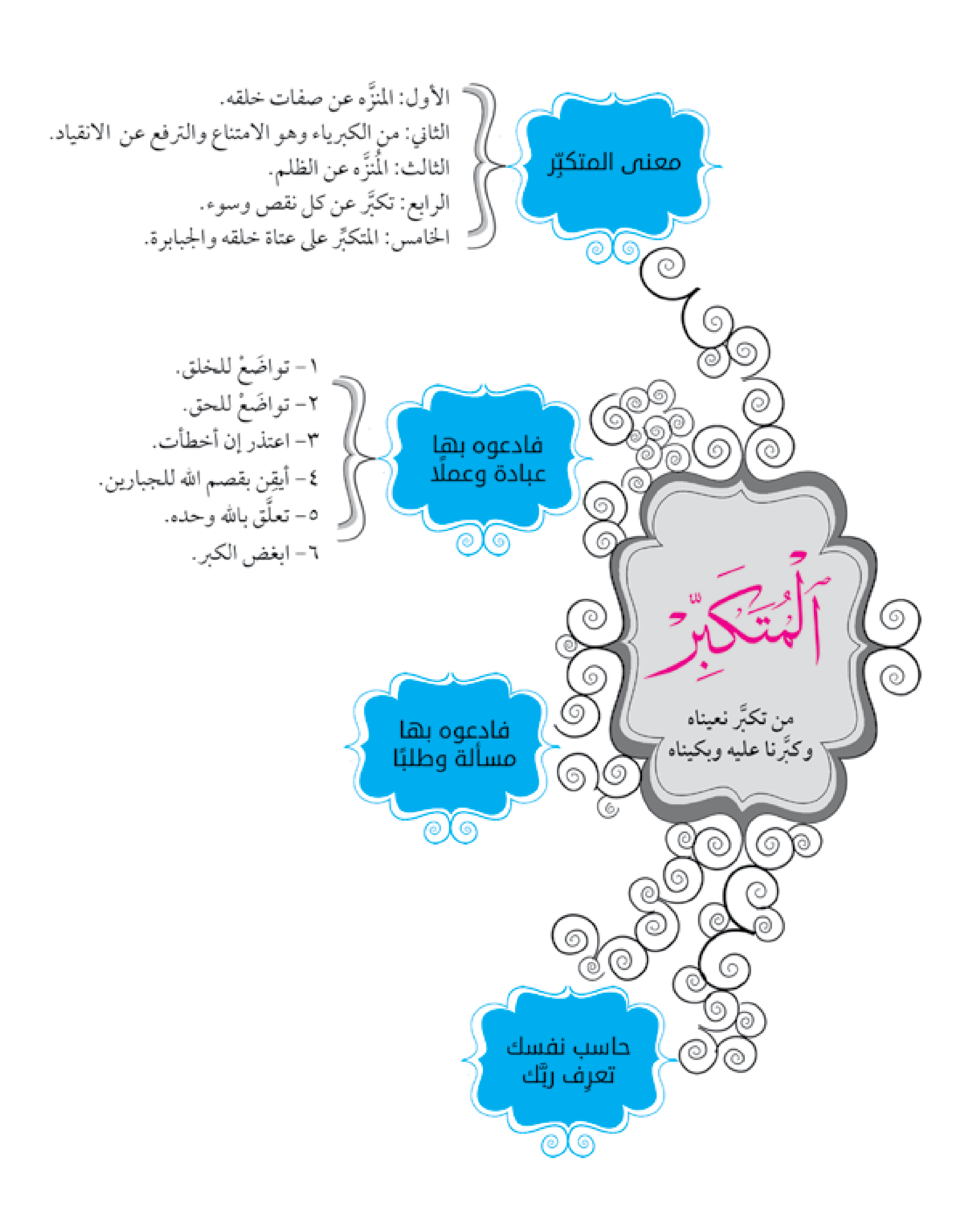


قصمته



ولا

أبالي



معنى المتكبِّر
الأول: المنزَّه عن صفات خلقه.
الثاني: من الكبرياء وهو الامتناع والترفع عن الانقياد.
الثالث: المُنزَّه عن الظلم.
الرابع: تكبَّر عن كل نقص وسوء.
الخامس: المتكبِّر على عتاة خلقه والجبابرة.
فادعوه بها عبادة وعملًا
١- تواضَعْ للخلق.
٢- تواضَعْ للحق.
٣- اعتذر إن أخطأت.
٤- أيقِن بقصم الله للجبارين.
٥- تعلَّق بالله وحده.
٦- ابغض الكبر.
المُتَكَبِّر
من تكبَّر نعيناه
وكبَّرنا عليه وبكيناه
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرف ربَّك



وهو اسم من أسماء الجلال، ولم يرد في القرآن إلا مرة واحدة.



أولاً: معنى اسم الله المتكبّر

الأول: المنزَّه عن صفات خلقه

«المتكبر: المتعالي عن صفات خلقه، المتكبِّر على عتاتهم. والكبرياء: العظمة والملك.

وقيل: هي عبارة عن كمال الذات، وكمال الوجود، ولا يوصف بها على وجه المدح إلا الله»(١).

فهو منزَّه عن كل صفات الخلق القاصرة من التعب والجهل والعجز.

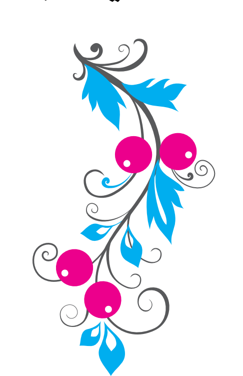
والتاء في المتكبر: تاء التفرد، والتخصص بالكِبر، لا تاء التعاطي والتكلف»(٢).

وشرح هذا أن التاء إذا دخلت على بعض الكلمات، فالمعنى أن الانسان الموصوف بهذا الوصف يفعل فعلاً غير لائقٍ له، ومثاله: تتفاخر، تتعالى، فالتاء هذه تدل على التكلف، فهذا الإنسان ليس أهلاً للفخر، ولا أهلاً للعلو لكنه يتعالى، فيلبس ثوبًا غير ثوبه، لكن التاء في اسم المتكبر في حق الله هي تاء التفرد والاختصاص.

التاء إذًا لها معنيان: إما التكلُّف أو التفرُّد، وهنا في اسم الله المتكبر هي تاء التفرد.

ومن هنا نخرج بنتيجة أن الكبرياء لا يليق إلا بالله وحده؛ ولذا توعد الله المتكبرين بالعقوبات المعجَّلة والمؤجَّلة.

الثاني: الكبرياء: الامتناع والترفع عن الانقياد.



العوام يقولون: اللي مالوش كبير.. يشتري له كبير.

يميل أي إنسان إلى التعلق بمن هو أقوى منه أو أعلم منه أو أكبر منه، وعلى هذا جُبِلت النفوس البشرية، بل وغير البشرية كالأجرام الكونية، فالإلكترونات تدور حول النواة، والقمر يدور حول الأرض، والأرض حول الشمس، وعلى هذا فالصغير يدور حول الكبير، والضعيف حول القوي، والجاهل حول العالم، فمن أكبر من الله!، ومن أقوى من الله!، ومن أعلم من الله؟!

والجواب: لا أحد، ولهذا فهو سبحانه وحده المتكبر.

(١) لسان العرب ٣/ ٢١٠.
(٢) شأن الدعاء ص ٤٨.

عرف ربَّه من لم يتكبَّر على أحد من خلقه.

الثالث: المتكبر: المنزَّه عن الظلم

فقد قال الله تعالى:

«يا عبادي، إني حرَّمْتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا»(١).

فلا يظلم ربُّك أحدًا. حاشاه، ولو كان مثقال ذرة، لا بعقوبة على سيئاتٍ لم يعملها العبد، ولا بهضم ثواب حسناتٍ عَمِلها، بل جزاء ربي دائرٌ بين الفضل والعدل.

الفضل هو معاملة من عمل الحسنات؛ لأن الله يجازيه بها كما قال: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ﴾ [التوبة: ١٢١] أي: بأحسن ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١]، فيكمل جزاء عملهم الأدنى بحيث يلحقه بالأعلى بكرمه وجوده.

والعدل لمن اقترف السيئات، وليس هناك احتمال ثالث (الظلم).. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الرابع: تكبَّر عن كل نقص وسوء

قال قتادة:

«المتكبر أي: تكبَّر عن كل شر»(٢).

وقال أيضًا:

«المتكبِّر هو الذي تكبَّر عن السوء والسيِّئات»(٣).

فلا يصدر عنه إلا الخير، ولهذا اشتُهر على ألسنة العوام وأقوالهم: كل اللي يجيبه ربنا كويس..

وقولهم: ربنا مبيجيبش حاجة وحشة.

ولنا وقفة مع اسم الرب وعلاقته باسم المتكبر.

الرب يعني المُرَبي لعباده المصلح لأحوالهم، يربيهم بما يجري عليهم من أقدارٍ حلوة أو مُرة، ووظيفة هذه الأقدار أن ترتقي بدرجاتهم عند الله، فلو نزل مثلاً بك قدرٌ مُرٌّ لا يوافق هواك، فهنالك احتمالان:

إما أن يكون عقوبة على ذنب، وإما أن يكون رفعة لدرجتك في الجنة.

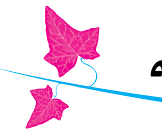
الاحتمال الأول: عقوبة على الذنب

ويكون هدف هذه العقوبة هو بناء (الذاكرة الإيمانية).

(١) صحيح: رواه مسلم عن أبي ذر كما في صحيح مسلم رقم: ٢٥٧٧ - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم.
(٢) تفسير الطبري ٢٨/ ٣٧.
(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١/ ١٨٠ - ابن قيم الجوزية - ط دار المعرفة.

ما عرف ربه من تكبَّر بعلمه أو ماله أو سلطانه، ولم يتواضع للخلق.





ولك أن تسائل نفسك:

أذاقك المتكبر بعض قدره المُرِّ كعقوبة على ذنبٍ سلف.. لماذا؟!

والجواب:

لتكون أكثر حذرًا في المرة القادمة، بعد أن اكتسبتَ ذاكرة إيمانية قوية، فلا تسقط في هذا الذنب مرة أخرى بسهولة؛ لأنه سيتكوَّن في ذهنك ارتباط شرطي بين وقوع العقوبة الربانية والوقوع في هذا الذنب، فتتوقّى السقوط فيه في المرة المقبلة، ولا يستزلك الشيطان بالغد كما استزلك بالأمس.

والاحتمال الثاني لسبب وقوع البلاء: رفعة الدرجات.

فإذا نزل بك شيء من الأقدار المُرَّة وأنت مستقيمٌ على أمر الله، فتفسير هذا الفعل من المتكبر –وهو المنزَّه عن كل شر– أنه يريد أن يرفع درجتك، ويُعلي منزلتك عن طريق ثواب الصبر اللا محدود، وفي الحديث:

«إن العبد إذا سبقَت له من الله منزلة، لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده»(١).

وهكذا ترى أن كلًّا من القدرين الحلو والمُرِّ يلتقيان في هدف واحد وهو إيصال الخير إليك، إما بعقوبة لتنتبه أو رفعة درجة لترتقي.

وحكمة ثالثة من أقدار الله المُرَّة..

من سنن الله في الكون: النمو والكِبَر، فكل صغير سيكبر، ويبدأ ناقصًا ثم يكمل، والأرض يستصلحها الفلاح في عدة سنوات دون أن ينتظر منها ثمرة واحدة خلال فترة الاستصلاح، ويظل يروي الأرض الجرداء موسمًا كاملاً قبل أن تطرح ثمارها، فهكذا يجب أن تكون نظرتك لأقدار الله، أن تفكِّر في نهاياتها ومآلاتها، ولا تنظر عند نزولها لما تحت قدميك، وفي الحال الحاضرة دون الحال الآتية.

وما أجمل قول أديب الإسلام الفذُّ **مصطفى صادق الرافعي**:

«ما أشبه النكبة بالبيضة تحسب سجنًا لما فيها، وهي تحوطه وتُرَبّيه وتعينه على تمامه، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة، والرضا إلى غاية، ثم تنقف البيضة فيخرج خلقًا آخر.

وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته، عمله أن يتكون فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل، فيخرج إلى عالمه الكامل»(٢).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في سننه رقم: ٣٠٩٠ باب الأمراض المكفِّرة للذنوب، وقال الألباني: صحيح.
(٢) وحي القلم للرافعي ٢/ ٩٧ – ط دار االكتب العلمية.

عرف ربه المتكبِّر من اعترف بجهله واستفاد من غيره.

الخامس: المتكبر على عتاة خلقه والجبابرة

قال الله تعالى:

«الكبرياء رِدائي والعِزُّ إِزاري، فمن نازعني في شيءٍ منهما عَذَّبْتُه»(١).

قال ابن عربي:

«عجبًا للمتكبِّر! وهو يعلم عجزه وذِلَّته وفقره لجميع الموجودات، وأن قرصة النملة والبرغوث تؤلمه، والمرحاض يطلبه لدفع ألم البول عنه، ويفتقر إلى كسرة خبز يدفع بها ألم الجوع عن نفسه، فمَنْ صفته هذه كل يوم وليلة كيف يصِحُّ أن يدخل قلبه كبرياء؟! ما ذاك إلا للطبع الإلهي على قلبه»(٢).

فالتكبر كما ترى لا يليق إلا بالله وحده، فهو الرب وكل الخلق مربوبون، وهو الكامل المتفرد بصفات الجمال والجلال والكمال، وكل الخلق نقص وعجز وجهل، ولهذا كان النبي ﷺ يسبِّح ربه سبحانه ويثني عليه في ركوعه وسجوده بهذا الدعاء:

«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»(٣).



ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- تواضَع للخلق:

من عرف ربه المتكبر تواضع لعباده وخلقه، فلم يفخر على أحد.

يقول ابن القيم:

«لو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال، وعرف نفسه بالنقائص والآفات؛ لم يتكبَّر ولم يحسد أحدًا على ما آتاه الله»(٤).

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بما أمره به ربه:

«إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد»(٥).

(١) صحيح: رواه سمويه عن أبي سعيد وأبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣١٠.
(٢) فيض القدير ٤/ ٤٨٤.
(٣) صحيح: رواه النسائي في الصلاة باب أذكار الركوع، وصححه الألباني في صحيح النسائي رقم: ١٠٠٤.
(٤) أخرجه وكيع في الزهد ٢/ ٤٦٧.
(٥) صحيح: رواه مسلم في صحيحه رقم: ٢٨٦٥ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.



وقد سمَّت **عائشة** التواضع أفضل العبادة، فعنها رضي الله عنها أنها قالت:

«تغفلون أفضل العبادة: التَّواضع»(١).

ومكافأة هذه العبادة الرفعة في الدنيا والآخرة، والتكبر سبب لضد ذلك من الذل والمهانة. قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه:

«من تواضع لله تخشُّعًا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظُّمًا وضَعَه الله يوم القيامة»(٢).

علامات!

- سُئل **الحسن البصري** عن التواضع، فقال:

«التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلا رأيتَ له عليك فضلاً»(٣).

- وسُئل **الفضيل بن عياض** عن التواضع؟ فقال:

«يخضع للحق، وينقاد له ويقبله ممَّن قاله، ولو سمعه من صبيٍّ قبله، ولو سمِعَه من أجهل الناس قبله»(٤).

- وسُئل **أبو وهب المروزي عبدَ الله بن المبارك**: ما الكِبر؟ فقال: أن تزدري الناس، ثم سأله عن العجب، فقال: أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك، ثم قال:

«ولا أعلم في المصلين شيئًا شرًّا من العُجْب»(٥).

- قال **أيوب بن المتوكل**: كان **الخليل بن أحمد** رحمه الله إذا أفاد إنسانًا شيئًا، لم يُرِهِ بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئًا، أراه بأنه استفاد منه.

قال **الذهبي** متحدِّثًا عن زمانه وما ساء فيه:

«صار طوائف في زماننا بالعكس»(٦).

٢- تواضع للحق

رفض الحكم الشرعي ما هو إلا لونٌ من ألوان التكبر البشري على الحكم الإلهي.

وللإمام **ابن القيم** كلام نفيس عن التواضع للحق وصوره وأصناف الناس في تكبرهم على الحق فيقول:

(١) رواه وكيع في الزهد ٢/ ٤٦٣ ورجاله ثقات وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه وكيع في الزهد ٢/ ٤٦٧.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٤٢.
(٤) شعب الإيمان ١٠/ ٥١٤.
(٥) مدارج السالكين ٢/ ٣٤٢.
(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٣١ – ط الرسالة.

عرف ربه المتكبِّر من خضع لحكمه وشرعه لا للأهواء ولا الشهوات.

«التواضع للدين هو: الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ، والاستسلام له، والإذعان. وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يعارض شيئًا مما جاء به بشيء من المعارضات الأربعة السارية في العالم، المسماة بالمعقول، والقياس، والذوق، والسياسة.

فالأول: للمنحرفين -أهل الكِبْر من المتكلمين- الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة، وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وعزلنا النقل، إما عَزْل تفويض، وإما عَزْل تأويل.

والثاني: للمتكبرين -من المنتسبين إلى الفقه- قالوا: إذا عارض القياس النصوص، قدَّمْنا القياس على النص ولم نلتفت إليه.

والثالث: للمتكبرين المنحرفين -من المنتسبين إلى التصوف والزهد- فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر، قدَّموا الذوق والحال ولم يعبؤوا بالأمر.

والرابع: للمتكبِّرين المنحرفين -من الولاة والأمراء الجائرين- إذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة، قدَّموا السياسة ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة.

فهؤلاء الأربعة: هُم أهل الكبر.

والتواضع: التخلص من ذلك كله»[1].

إن المتكبر يأنف من قبول الحق، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم؛ ولذا جاء في الحديث عن أبغض كلمة إلى الله عز وجل:

«وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك»[2]

والمتكبِّر عن اتباع الحق مستوجِبٌ لدعاء النبي ﷺ عليه! ففي حديث **سلمة بن الأكوع** رضي الله عنه أن رجلاً أكَل عند رسول الله ﷺ بِشِماله، فقال له النبي ﷺ: **«كُلْ بِيمينك»**.

قال: لا أستطيع.

قال: **«لَا استطعْتَ»**، ما منَعه إِلَّا الكِبْرُ.

قال: فما رفعها إلى فيه[3].

وإنما قال الرجل ذلك تكبُّرًا وعنادًا؛ ولذلك دعا عليه النبي ﷺ، فاستجاب الله دعاءه، فشُلَّتْ يمين الرجل!

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣١٨.
(٢) صحيح: أخرجه البيهقي في الشعب ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٥٩٨.
(٣) صحيح: رواه مسلم في صحيحه حديث رقم: ٢٠٢١ في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها.

ما عرف ربه المتكبِّر من أُعجِب برأيه واتبع هواه وتهرَّب من حكم الشارع الحكيم.





العلم من أسباب الكِبْر

كثيرًا ما يكون العلم سببًا للكبر، وقليلاً ما يكون سببًا للتواضع!

قال **أبو حامد الغزالي**:



«وقد ضرب وهب لهذا مثلاً، فقال: العلم كالغيث ينزل من السماء حلوًا صافيًا، فتشربه الأشجار بعروقها، فتحوِّله على قدر طعومها، فيزداد المُرُّ مرارة، والحُلو حلاوة، فكذلك العلم تحفظه الرجال، فتحوِّله على قدر هممها وأهوائها، فيزيد المتكبر كبرًا، والمتواضع تواضعًا، وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل، فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به، فازداد كبرًا، وإذا كان الرجل خائفًا مع جهله فازداد علمًا؛ علم أن الحجة قد تأكدت عليه، فيزداد خوفًا وإشفاقًا وذلاً وتواضعًا، فالعلم من أعظم ما يُتَكَبَّر به»[1].

وما أحلى قول الشاعر:

العلم للرجـل اللبيب زيـادةٌ ... ونقيصةٌ للأحمـق الطيّـاش

مِثْلَ النهار يزيد أبصار الورى ... نورا ويُعشي أعيـنَ الخُفَّـاش

ومن هنا كان الجاهل العامي -إذا تواضع لله وذَلَّ هيبة وخوفًا منه- أطوعَ لله من العالم المتكبِّر والعابد المُعْجَب.

٣- اعتذر إن أخطأت

لأنك لست معصومًا من الخطأ، فوجب عليك الاعتذار عند الخطأ في حق غيرك، لكن المتكبِّر ليس في قاموسه كلمة آسف، ولا يعرف سِكَّة الاعتذار.

- وكم من زوجٍ في قلبه كِبر، لم تطاوِعه نفسه على الاعتذار لزوجته إذا أخطأ في حقها.
- كم من مديرٍ في قلبه كِبر، لم يقدِّم اعتذارًا واجبًا لعامل لديه أساء إليه دون وجه حق.
- كم من أبٍ في قلبه كِبر، ترفَّع عن الاعتذار لابنه عن فورة غضب أو كلمة قاسية أمام أصحابه.

يا كل هؤلاء المتكبِّرين: أين أنتم من قدوة الإنسانية وأستاذ البشرية؟!

أين أنتم من المعصوم الذي لا يخطئ، ومع ذلك أعلن اعتذاره على الملأ، فقال ﷺ:

«إنما أنا بشر! وإني اشترطت على ربي عز وجل: أيُّ عبدٍ من المسلمين شتَمتُه أو سببَتُه أن يكون ذلك له

---

(١) الإحياء ٣/ ٣٤٨.

عرف ربه المتكبِّر من زاده علمه خضوعًا لله وخشية له وتواضعًا للخلق.

زكاة وأجرًا»[1].

٤- أيقِنْ بقَصْم الله للجبابرة

قال الله ﷻ:

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦].

وأما في الآخرة فينتظرهم أشد العذاب وأعظم الهوان: ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقال الرسول ﷺ:

«يُحشَر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس»[2].

وهذا يثمر في قلب المؤمن عدم الاغترار بقوة الكافر وجبروته؛ فإن الله عز وجل فوقهم وقاصمهم إذا أخذ المؤمنون بأسباب النصر وشروطه.

٥- تعلَّق بالله وحده

حين يلوذ الإنسان بالمتكبر سبحانه وتعالى، ويكون عنده هذا النوع من الثقة واليقين به سبحانه وتعالى، تجده لا يخضع لأحد، ولا يصيبه الانهزام مهما لقي وواجه.. قلوب كهذه لا يتسلل إليها الانهزام.

ألست تسمعها كل يوم وترددها في الآذان: الله أكبر الله أكبر.

الله الأكبر من كل كبير.

إن الله أمرك بترديدها حتى تتملك نفسَك هذه المعاني، وتتشربها وتحيا بها، فلا تُعظِّم شيئًا حقَّره، ولا تحقِّر شيئًا عظَّمه.

٦- ابغض الكِبر

ويشهد لما ذكره **ابن القيم** من أن معاصي القلوب في الجملة أعظم من المعاصي الظاهرة قوله ﷺ:

«لو لم تذنبوا، لخِفْتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك، العُجْب»[3].

(١) صحيح: رواه أحمد ومسلم عن جابر كما في صحيح الجامع رقم: ٢٣٤٣.
(٢) مسند أحمد رقم: ٦٦٧٧، والبخاري في الأدب المفرد رقم: ٥٦٨، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم: ٤٣٤.
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وهو في السلسلة الصحيحة رقم: ٦٥٨.

ما عرف ربه المتكبِّر من زاده علمه تمردًا على الله وجرأة عليه وتكبُّرًا على الخلق.



ومن الأحاديث النبوية في هذا قول النبي ﷺ:

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[١].

يقول **ابن القيم**:

«وأكثر المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات في كبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها، ولا يخطر بقلوبهم أنها ذنوب، ليتوبوا منها!. فعندهم من الإزراء على أهل الكبائر، واحتقارهم، وصوله طاعاتهم ومنتهم على الخلق بلسان الحال، واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعاتهم، اقتضاء لا يخفى على أحد غيرهم، وتوابع ذلك ما هو أبغض إلى الله وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك»[٢].

فالكبر ذنب إبليس الذي أخرج به من الجنة، وورثة إبليس على الطريق يقتفون الأثر. قال **سفيان بن عيينة**:

«من كانت معصيته في الشهوة فَارْجُ له التوبة، فإن **آدم** عليه السلام عصى مشتهيًا فغفر له، وإذا كانت معصيته في كبر فَاخْشَ على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرًا فلُعِن»[٣].

وكلما نقص مقام العبد الدنيوي، وفقد مقوِّمات التكبر كلما كان الكِبر في حقه أشنع وأقبح، والدليل حديث **أبي هريرة** أن رسول الله ﷺ قال:

«أربعة يبغضهم الله عز وجل: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشّيخ الزّاني، والإمام الجائر»[٤].

وما أصدق القائل المتعجِّب من أمثال هؤلاء:

فخرٌ بلا حسَب، عُجْبٌ بِلا أدبِ ... كِبْرٌ بِلا سبَبٍ، هذا من العَجَبِ



ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

أسألك باسمك المتكبِّر..

أن أكون في عينك كبيرًا، وفي عيني صغيرًا.

أسألك باسمك المتكبِّر..

أن تجيرَني من الكِبر بالحق أو بالباطل.

(١) رواه مسلم رقم: ١٤٧.
(٢) مدارج السالكين ١/ ١٨٦.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٥٤٠.
(٤) صحيح: رواه ابن حبان والنسائي واللفظ له كما في صحيح الجامع رقم: ٨٩٣.

عرف ربه المتكبِّر من كره الكِبر وأبغَض المتكبِّرين.

أسألك باسمك المتكبِّر..

أن ترزقني شجاعة الاعتذار عن الخطأ إن أخطأت، ولا تجعلني متكبِّرًا عن الاعتراف بإساءتي إن أسأت.

أسألك باسمك المتكبِّر..

أن أتواضع للحق ولو بلغني ممن هو أصغر مني.

أسألك باسمك المتكبِّر..

أن تغمر سيئاتنا بإحسانك، وتسترَ خطايانا بغفرانك، وتُذهِبَ ظُلْمَة ظُلمِنا بأنوار رضوانك، وتقهر عدونا بِعزِّ سلطانك، فما عوَّدتَنا إلا لذيذ إحسانك ولطيف إنعامك.

رابعًا: حاسب نفسك تعرف ربك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل ترى للناس أيًّا كان قدرهم الفضل عليك؟			
٢	هل يستقبل قلبك الابتلاء موقنًا أنه خيرٌ من (المتكبِّر) عن كل سوء في أفعاله وصفاته؟			
٣	هل تنظر إلى الأصغر منك على أنه أقل منك ذنوبًا، وعلى الأكبر على أنه أكثر منك في العمل الصالح؟			
٤	هل تخضع لحكم الشرع في كل معاملاتك؟			
٥	هل تملك شجاعة الاعتذار عن الخطأ، ولو كان ذلك لمن هو أصغر أو أضعف منك؟			



لمن المُلك اليوم؟ لله

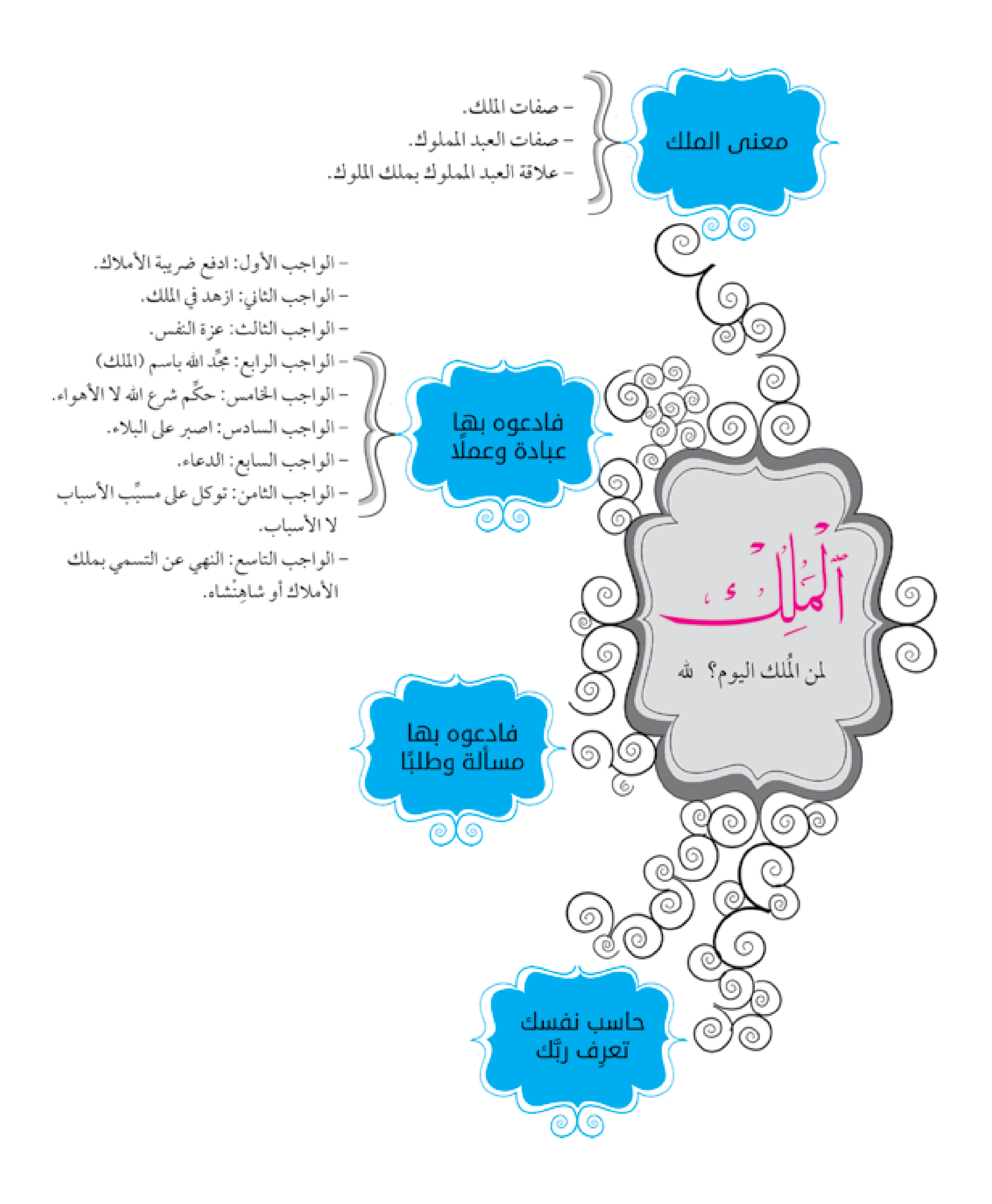
القادر على التصرف استقلالًا، فلا يرجع إلى جهة، ولا يستشير أو يستأذن أحدًا في فعل من أفعاله، فهو الفعّال لما يريد، والمِلكُ أَعَمُّ من المالك؛ فالمُلك صفةٌ لذاته، والمالكُ صفةٌ لأفعاله.



لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ

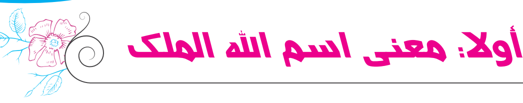
أَنَا **الْمَلِكُ**

أَنَا الْجَبَّارُ



ٱلْمَلِكُ
لمن المُلك اليوم؟ لله
معنى الملك
- صفات الملك.
- صفات العبد المملوك.
- علاقة العبد المملوك بملك الملوك.
فادعوه بها عبادة وعملًا
- الواجب الأول: ادفع ضريبة الأملاك.
- الواجب الثاني: ازهد في الملك.
- الواجب الثالث: عزة النفس.
- الواجب الرابع: مجِّد الله باسم (الملك)
- الواجب الخامس: حكِّم شرع الله لا الأهواء.
- الواجب السادس: اصبر على البلاء.
- الواجب السابع: الدعاء.
- الواجب الثامن: توكل على مسبِّب الأسباب لا الأسباب.
- الواجب التاسع: النهي عن التسمي بملك الأملاك أو شاهِنْشاه.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرِف ربَّك





أولا: معنى اسم الله الملك

ورد اسم الملك (خمس مرات) في القرآن، وورد اسم المليك في موضع واحد وهو سورة القمر: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾.

والملك هو القادر على التصرف استقلالاً، فلا يرجع إلى أي جهة، ولا يحتاج أن يستشير أو يستأذن أحدًا في فعل من أفعاله، فهو الفعّال لما يريد، والمِلكُ أَعَمُّ من المالك؛ فالمُلك صفةٌ لذاته، والمالكُ صفةٌ لفعله.

والذي يوصَف أنه مَلِكٌ يرجع وصفه إلى ثلاثة أمور:

١. صفات الملك:

قال الزجاج:

«المَلِك: النافذ الأمر في مُلكِه، إذ ليس كل مالِكٍ ينفُذ أمره وتصرفه في ما يملكه، فالملك أعم من المالك، والله تعالى مالك المالكين كلهم، والمُلَّاك إنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى»[1].

فأما غير الله، فيُسمّى مالكًا وملكًا على المجاز، والمراد بذلك: أنك مأذون لك في التصرُّف في مُلكِ الله، وأنه عارية مؤداة إليك بصورة مؤقَّتة.

والمِلك الحق لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، ولا ينازعه في ملكه أحد، وهذا الملك يشمل الملك الظاهر والملك الخفي (وهو ما يسمى بالملكوت)، كما يغطي الدائرة الزمانية الأوسع: الدنيا والآخرة.

لو كنت واحدًا من أعظم ملوك أهل الأرض، فهل تستطيع أن تتحمل مسائل مليون شخص مرة واحدة! خاصة لو كانت كل مسألة مختلفة عن الأخرى؟!

قطعًا لن تتحمل ذلك لأن ملكك ناقص؛ ولأنك لو أعطيت كلَّ واحدٍ غرَضَه فإن مُلكَك سينفد، فقارِن هذا بِقُدرة الله الخارقة، وهو الذي قال عن نفسه: ﴿ يَسْأَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

في صحيح مسلم:

«يا عِبادِي لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُم وإنسَكُمْ وجِنَّكُمْ قاموا في صعيدٍ واحِد، فسألوني فأعْطَيتُ كلَّ إنسانٍ مسْألته ما نَقَص ذلك مِمَّا عِنْدي إلَّا كما ينقص الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِل البحر».

قال السعد:

«وقيَّد السؤال بالاجتماع في صعيد واحد؛ لأن تزاحم الأسئلة، وترادف الناس في السؤال مع كثرتهم،

(١) تفسير أسماء الله الحسنى ص ٣٠ - الزجاج - ط دار الثقافة العربية.

عرف ربه الملك من رآه وحده صاحب المُلْك، فما أذلَّ نفسه لغيره، ولا وقف إلا ببابه.

وكثرة مطالبهم بما يُضجِر المسؤول منه، ويدهشه، وذلك يوجب حرمانهم، وتخييبهم، أي: تعسُّر إنجاح مطالبهم، وإسعاف مآرابهم.

وليس كذلك في حقه سبحانه وتعالى، وفيه إشارة إلى كمال قدرته سبحانه وتعالى، وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد، ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد»[١].

«وفي قوله «مسألته» إشارة إلى أنها مسألة خاصة لكل سائل، وأنهم لم يجتمعوا على مطلوب واحد»[٢].

مسائل لا تُعَدُّ ولا تُحصى..فهو يغفر ذنبًا، ويكشف كربًا، ويجيب داعيًا، ويفرِّج غمًّا، وينصر مظلومًا، ويفُكُّ عانيًا، ويغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا، ويشفي مريضًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويُعِزُّ ذليلاً، ويُذِل عزيزًا، ويُعطي سائلاً، ويَردُّ غائبًا، ويقصم ظالمًا.

لقد بلغ من عظمة هذا الحديث أن راوي الحديث **أبا إدريس الخولاني** كان إذا حدَّث به جثا على ركبتيه، وقد رواه عن **أبي ذر** رضي الله عنه الذي رواه كذلك جاثيًا على ركبته! فهو حديث مسلسل بالجثو على الرُّكب! ومِن فضله أن قال فيه الإمام **أحمد**:

ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

المتفرِّد بالسلب والعطاء

ومن صفات **الملك** أن يختص وحده بالسلب والعطاء، فإن إعطاء كل ملك أرضي أو نزعه لا يكون إلا لله.. قال **ابن القيم**:

«إن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاءِ والمنع..

والإِكرام والإِهانة.. والإِثابة والعقوبة.. والغضب والرضا.. والتولية والعزل..

وإِعزاز من يليق به العز، وإِذلال من يليق به الذل»[٣].

قال الله عز وجل:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.

(١) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ١/ ٦١ - عبد الرؤوف المناوي - ط دار ابن كثير دمشق- بيروت.
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير ٧/ ٥٩٦ - الصنعاني - ط مكتبة دار السلام، الرياض.
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/ ١٢٣ - ابن قيم الجوزية - ط دار السلفية.

ما عرف ربه الملك من أذلَّ نفسه للخلق، وتعلَّق بأبواب العبيد طمعًا ورغبًا.





وقد كرَّر ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ المشيئة في آية واحدة أربع مرات؛ لينزع الوهم الذي يعتري البعض أن مالكًا غير الله يتحكم في الأقدار!

بل الله وحده يتصرف في ملكه كيف ما يشاء، إيجادًا وإعدامًا وإحياء وإماتة وتعذيبًا وإثابة، من غير مشارك له ولا منازع ولا ممانع.

وكلمة ﴿تُؤۡتِي﴾: تدل على أن ملكية غيره ما هي إلا بطريق المجاز، كما ينبئ عنه لفظ (الإيتاء) الذي هو مجرد إعطاء على سبيل (الإعارة)، أما الملكية المطلقة فلله وحده.

وإياك أن تظن أن أحدًا قد ملك من الدنيا شيئًا إلا بمشيئة الله، ولكن الناس إذا خرجوا عن طاعة الله سلَّط عليهم من يسومهم سوء العذاب عقوبةً لهم ليتوبوا، والأمر كما قال **الحسن البصري**:

«الحَجَّاج عقوبة من الله لكم، فلا تقابلوا عقوبته بالسيف، وقابلوها بالاستغفار»(١).

وقال **مالك بن دينار**:

«كلما أحدثتم ذَنبًا أحدث الله لكم من سلطانكم عُقوبة»(٢).

ثم جاءت الآية التي تليها لتدلل على ملك الله بمعالم واضحة محددة: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾.

وذكر إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل، ومسألة الحياة والموت التي يعايشها الناس كل يوم أمام أعينهم بوضوح كامل، لتقول: من استعظم على قدرة الله أن يؤتي الملك وينزعه، ويُعِز ويُذِل، فليراجع هذه الآيات المتكررة يوميًّا والمشاهَدة لكل ذي عينين ليعتبر ويتعظ، ويعلم حقيقة المُلك الإلهي.

ولذا فالله وحده هو الملك الحق: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦] يعني: الذي يتصرَّف في مُلْكه كيف يشاء لا ينازعه فيه أحد، إنْ شاء بسط، وإنْ شاء نزع، فهو وحده الملك الحق.

ونفس لفظ (الإيتاء) جاء على لسان نبي الله **يوسف** ﷺ الذي فهم علاقته بالمُلك، وأنه ما هو إلا مستخلف فيه، فقال:

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]

من حقائق يوم القيامة

وهناك من العباد من يجهل حقيقة المُلْك، وسيظل يجهلها طوال حياته حتى يموت ويبعثه الله يوم القيامة،

(١) صيد الخاطر ١/ ٤٠٥ - ابن الجوزي - ط دار القلم.
(٢) الدر المنثور للسيوطي ٤/ ٦١٨ - ط دار الفكر.



فيسمع الله ﷻ بنفسه يقرِّر الحقيقة الخالدة أمام الخلائق:

﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾.

وفي الآخرة.. يعرف الناس كلهم حقيقة المُلك، والمُلكَ الحقيقي.. المؤمن والكافر.. البر والفاجر: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ليس فقط لأنهم سمعوا الملك ينادي، بل ولأنه يُنزَع منهم يوم القيامة كلُّ ما يملكونه، ويفقدون القدرة على التحكم في ما يملكون، وحتى جوارحهم يفقدون السيطرة عليها، فتشهد عليهم وتُحاجُّهم أمام الله.

وإليكم حديثين صريحين عن مشهدين من مشاهد القيامة، ويتجلى فيهما اسم الملك أمام الخلائق أجمعين في ساحة الحشر.

الحديث الأول:

في صحيح مسلم عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ:

«يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول:

أنا الملك..

أين الجبارون؟!

أين المتكبرون؟!

ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول:

أنا الملك..

أين الجبارون؟!

أين المتكبرون؟!»(١).

الحديث الثاني:

عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: «جاء حَبْرٌ من اليهود إلى النبي ﷺ فقال:

يا محمد، إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أُصْبُع، والأرضين على أُصْبُع، والجبال والشجر على أُصْبُع، والماء والثرى على أُصْبُع، وسائر الخلق على أُصْبُع، ثم يهزُّهن، فيقول: أنا الملك، أنا الله.

(١) صحيح: رواه مسلم عن عبد الله بن عمر كما في صحيح مسلم: ٢٧٨٨.

ما عرف ربه الملك من رأى نفسك مالكًا حقيقيًّا للمال، فاختال به على الخلق.



فضحِك رسول الله ﷺ؛ تعجبًا مما قال الحبر تصديقًا له، ثم قرأ:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]».

ولهذا قال الله عن يوم القيامة:

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾.

ومع أن الملك دائمًا هو للرحمن، فلم خصَّ يوم القيامة بهذه الحقيقة؟!

والجواب: لأن قلوب كثير من الغافلين لا تستيقظ إلا بعد فوات الأوان! وعند رؤية هذه المشاهد فقط تنكشف الحقائق الغائبة للقلوب الغافلة.

٢. صفات العبد المملوك

العبد لا يملك شيئًا على الحقيقة؛ لأن استقلاله بالتصرف في مُلك غيره يستلزم استقلاله بتصرفه في مُلكِهِ الشخصي، وهو لا يملك من ذاته ولا أعضائه ولا أجهزته ولا أنسجته شيئًا، فكيف يملك شيئًا مما حوله؟! إن كان عاجزًا عن ملك نفسه فهو عن امتلاك غيره أعجز.

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.

وتعريف الناس في الآية بأنهم الفقراء -وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إلى الله- للمبالغة في فقرهم؛ وكأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم إلى ربهم هم الفقراء وحدهم، وكأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى افتقار الناس غير مُعتَدٍّ به.

ولهذا قال **ذو النون**:

«الخلق محتاجون إليه في كل نَفَسٍ وخطرة ولحظة، وكيف لا! ووجودهم به وبقاؤهم به»[1].

وقال **ابن القيم** وهو يشرح معنى الفقر:

«(الفقر اسم للبراءَة من رؤية الملكة):

يعنى أن الفقير هو الذى يجرِّد رؤية الملك لمالكه الحق، فيرى نفسه مملوكة لله لا يرى نفسه مالكًا بوجه من الوجوه، ويرى أعماله مستحقة عليه بمقتضى كونه مملوكًا عبدًا مستعملاً في ما أمره به سيده، فنفسه مملوكة، وأعماله مستحقة بموجب العبودية، فليس مالكًا لنفسه، ولا لشيء من أعماله، بل كل ذلك مملوكٌ عليه،

(١) تفسير النسفي ٣/ ٨٢.

عرف ربه الملك من أدى عبودية الضراء بالصبر كما يؤدي عبودية السَّراء بالشكر.

مستحَقٌّ عليه، كرجلٍ اشترى عبدًا بخالص ماله، ثم علَّمه بعض الصنائع، فلما تعلمها قال له: اعمل وأَدِّ إليَّ، فليس لك في نفسك ولا في كسبك شيء.

فلو حصل بيد هذا العبد من الأموال والأسباب ما حصل لم ير له فيها شيئًا، بل يراه كالوديعة فى يده، وأنها أموالُ أُستاذِه وخزائنه ونعمُه بيد عبده، مستودعًا متصرفًا فيها لسيده لا لنفسه، كما قال **عبد الله** ورسوله وخيرته من خلقه: (والله إني لا أُعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا، وإنما أنا قاسم أضع حيث أُمِرْتُ)، فهو متصرِّف فى تلك الخزائن تصرُّف العبد المحض الذي وظيفته تنفيذ أَوامر سيده، فالله هو المالك الحق، وكل ما بِيَد خلقه إنما هو من أَمواله وأَملاكه وخزائنه أفاضها عليهم؛ ليمتحنهم فى البذل والإِمساك»[1].

ولاحظ قوله (رؤية المَلَكَة) لأن الإِنسان قد يكون فقيرًا لا مُلكَ له فى الظاهر، لكنه غير متحقِّق بوصف الافتقار الممدوح هنا، والذي لا يرى المُلك إلا لله الملك الحق، وقد أوتي سليمان مُلكًا لا ينبغى لأَحَدٍ من بعده، ومثله أغنياءُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذلك أغنياءُ الصحابة، فكانوا أصحاب مُلكٍ ظاهر، لكنهم سلِموا من رؤية المُلْك لنفوسهم، فلم يروه إلا عارِيَّة ووديعة فى أيديهم ابتلاهم الله بها؛ لينظر هل يتصرَّفون فيه تصرف العبيد أم تصرف المُلّاك، وهل يعطون لهواهم ويمنعون لهواهم أم يعطون لله ويمنعون لله، فوجود المال فى يد العبد لا يقدح فى افتقاره إلى ربه، وإنما الذي يقدح فى صحة افتقاره: رؤيته لمُلكِه.

٣. علاقة العبد المملوك بملك الملوك

لكن ما حال هؤلاء الخلق مع الله؟

ما علاقتك بمن يملكك؟

إنها علاقة (العبودية).

قال ابن تيمية:

«ولفظ العُبُوديَّة يتضَمَّن كمال الذل وكمال الحُبِّ»[2].

قال ابن القيِّم:

«ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين، وهما مشاهدة المِنَّة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام»[3].

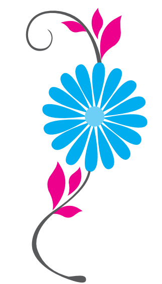
(١) طريق الهجرتين ١/ ١٠، ١١ بتصرف يسير.
(٢) العبودية لابن تيمية ١/ ١٠٧ – ط المكتب الإسلامي.
(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب ١/ ٨ – ط دار الحديث.

ما عرف ربه الملك من كان عبدًا في السراء بالشُّكر دون الضراء بالصبر.



وأشرف صفات العبد: صفة العبودية، وأحبُّ أسمائه إلى الله اسم العبودية كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:

«أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن»[1]..



والعبودية هي العملة الوحيدة الصالحة للتداول في سوق الآخرة، وذلك في الدور الثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار؛ ولذا تنقطع فيها كل الأسباب والعلاقات التي كانت بين الخلق في الدنيا، فكل من تعلَّق بغير الله انقطع به أحوج ما يكون إليه، كما قال تعالى:

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

فلا تبقى إلا الصلة التي بينك وبين ربك.. وهي صِلَة (العبودية).

ولن تحقِّق العبودية بحق حتى تكون عبد السراء وعبد الضراء، وعبد المنع وعبد العطاء.

قال **ابن القيِّم**:

«فإن لله تعالى على العبد عبودية الضراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون.

والشأن (أي علو شأن العبد) في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى، فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية.

هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية..

ولكن فرق عظيم بين العبوديتين.

فمن كان عبدًا لله في الحالتين، قائمًا بحقه في المكروه والمحبوب، فذلك الذي تناوله قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، فالكفاية التامة مع العبودية التامة»[2].

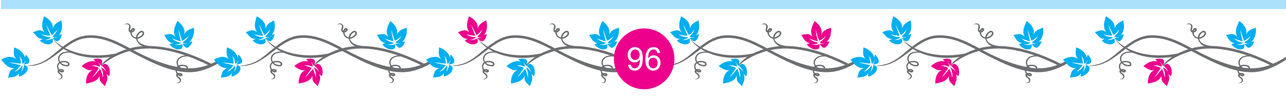
وكل الإشكال إنما يقع حين ينسى العبد أنه عبدٌ، أو لا يصف مالكه بصفات الكمال، فيعترض على قضائه وقدَرِه.

والله تعالى يقول:

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

(١) صحيح: رواه مسلم وأبوداود والترمذي عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ١٦١.
(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ١/ ٥، ٦ - ط دار الحديث.

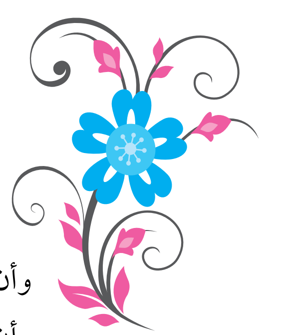
عرف ربه الملك من أدى حق الله عند السلب والعطاء والشدة والرخاء.





قال الإمام **النسفي**:

«لأنه المالك على الحقيقة، ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستُقبِح ذلك، وعُدَّ سفَهًا، فمَنْ هو مالك الملوك ورب الأرباب وفعله صواب كله؛ أوْلى بأن لا يُعتَرَض عليه»[1].



وإذا كانت القاعدة الإدارية تقول: المدير دومًا على حق، فإنه من القبيح أن يكون هذا سلوكنا مع البشر مع ما فيهم من الجهل والنقص، ولا يكون هذا حالنا مع الملك الحق.

فالله تعالى لا يُسأل عما يفعل؛ لأن العادة أن يسأل الكبير الصغير عن فعلِه، ولا أكبر من الله..

وأن يسأل الجليل الذليل عن عملِه، ولا أجلَّ من الله..

وأن يسأل الأعلى مقامًا الأدنى، ولا أحدَ أعلى من الله في أي شيء حتى يسأله.

شبهة سائل

سألني سائل:

ظللت ستة شهور أدعو لوالدي المريض أن يعافيه الله ويشفيَه، لكنه مات!

أليس هذا عجيبًا؟!

فقلت له:

بل شأنك هو العجيب، فهل أنت عبدٌ أم سيِّد!

هل أنت شريك لله في ما خلق!

أأنت الأعلم بما ينفعه وما يضره أم الله!

أأنت الأرحم به أم الله!

أأنت الأحكم أم الله!

وهل عقد عبوديتك معه نصَّ على أن يتعبَّدك بالعطاء دون المنع، وبالنفع دون الضُّر؟!

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ٢/ ٣٩٩ - ط دار الكلم الطيب، بيروت.

ما عرف ربه الملك من اعترض على حكمه وجزع من قضائه.



وشبيه ذلك:

أن يقول قائل: لم لا يعاقب الله الكفار؟

ولماذا لا يقع العذاب على المجرمين؟

ولم أمهل الله الظالمين؟!

فمِثل هذا الكلام يخطر على بال الكثيرين، وأورث بعضهم: الاعتراض على الأقدار، والتسخُّط على العزيز الجبار، وهو يدل على أنهم لا يعلمون طبيعة العلاقة بين (الملك) و(العبد المملوك).

فاعتقادك بالملك إذن يتعلَّق بمثلث له أضلاع ثلاثة:

١. أنه ملك كامل الصفات منزَّهٌ عن الآفات.

٢. أنك عبدٌ مملوك، وما تصرفك في ملك الله إلا تصرف في ما أعاره الله لك.

٣. أن علاقتك به علاقة العبودية التامة، والرضا الكامل بتدبيره سبحانه.



ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

الواجب الأول: ادفع ضريبة الأملاك

كل مُلكٍ ملَّكك الله إياه ما هو إلا ابتلاء:

﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾.. ولاحظ قوله: ﴿ءَاتَىٰكُمۡ﴾ لا (ملَّككم).

فماذا ملَّكك الله؟!

ابدأ بما اشترك فيه كل الناس: فقيرهم وغنيهم، عزيزهم وذليلهم، سيدهم وخادمهم: سمعك وبصرك، ومواهبك وقدراتك.

هذه كله أملاكٌ ملَّكك الله إيّاها، فهل تستطيع أن تحفظ أيًّا منها، فلا تُسلَبها؟!

والجواب: كلا.

قال ابن الجوزي:

«قرأتُ هذه الآية: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٤٦]، فلاحَت لي منها إشارة كِدْتُ أطيش منها:

وإن عنى معنى السمع والبصر؛ فذلك يكون بذهولهما عن حقائق ما أدركا شُغْلاً بالهوى، فيُعاقَب

عرف ربه الملك من كان عبدا لله وحده، فصار سيِّدا الكون بلا سُلطَة أو عشيرة.

الإنسان بسلب معاني تلك الآلات، فيرى وكأنه ما رأى، ويسمع وكأنه ما سمع، والقلب ذاهل عما يتأذى به؛ فيبقى الإنسان خاطئًا على نفسه، لا يدري ما يُراد به، لا يؤثر عنده أنه يبلى، ولا تنفعه موعظة تجلى، ولا يدري أين هو، ولا ما المراد منه، ولا إلى أين يُحمل؛ وإنما يلاحظ بالطبع مصالح عاجلته، ولا يتفكر في خسران آجلته، لا يعتبر برفيقه، ولا يتعظ بصديقه، ولا يتزود لطريقة، وهذه حالة أكثر الناس، فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات، فإنها أقبح الحالات»[(١)].

فانظر دائمًا لكل ما ملَكته اليوم بنظرتين:

الأولى:

أنه لا يمكنك التصرف فيه مطلقًا كيف شئت، بل قد تُسلَبه في أي لحظة.

الثانية:

أن تصرفك فيه ابتلاء وفتنة، وكلما زاد ملكك زادت فتنتك، وكلما اتسع سلطانك تضاعفت أعباؤك، وكلما طاب نعيمك زادت مسؤولياتك.

الواجب الثاني: ازهد في الملك

قال **عبد الله بن مسعود**:

«ما أحد أصبح في الدنيا إلا وهو ضيف، وماله عارِيَّة، والضيف مرتحل، والعارِيَّة مردودة»[(٢)].

وقال **الراغب الأصفهاني**:

«فأعراض الدنيا عارية في أيدي الناس مستردة، كما قيل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يومًا أن ترد الودائع

وهي من وجه منيحة: منحت الإنسان لينتفع بها مدة، ويذرها لينتفع بها من بعده.

ومن وجه وديعة في يده: رُخِّص له في استعمالها والانتفاع بها بعد أن لا يسرف فيها، لكن الإنسان لجهله ونسيانه لما عهد إليه بقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ اغتر بها، فظنَّ أنها قد جعلت له هبة مؤبدة، فركن إليها واعتمد عليها، ولم يؤدِ أمانة اللهَّ تعالى فيها، ثم لما طُولب بردِّها تمنع منه وضجر، ولم ينزع عنها إلا بنزع روحه أو كسر يده، وبعضهم -وهم الأقلون- حفظوا ما عهد إليهم، فتناولوها تناول العارية والمنيحة والوديعة، فأدوا فيها الأمانة، وعلموا أنها مسترجعة، فلما استُرِدَّت منهم لم

(١) صيد الخاطر ١١٩-١٢٠.
(٢) الزهد للإمام أحمد ١/ ١٣٥- ط دار الكتب العلمية.





يغضبوا ولم يجزعوا، وردوها شاكرين لما نالوه منها، ومشكورين لأداء الأمانة فيها»[1].

وهذا ما فهمته امرأة **أبي طلحة** لما قُبِضَ ولدُها، فصبرت حتى فاض صبرها على زوجها، وانقلب رضًا وسكينة فقالت له:

إن الله عزوجل كان أعارَك ابنك عاريَّة، ثم قبضه إليه، فاحتسِب واصبِر.

الواجب الثالث: عزة النفس

لأنه لا يخرج عن سلطان الملك أمر من الأمور، ولا فعل من الأفعال، وإلا لم يثبت له المُلك على الحقيقة.

وهو ما يجعل المؤمن عفيفًا عما في أيدي الناس، طامعًا بما في يد الملك الحق.

قال **خليد بن عبد الله العصري** عن المؤمن الحق:

تلقاه عفيفًا عن الناس، سؤولاً لربه عزَّ وجلَّ، ذليلاً لربه، عزيزًا في نفسه، غنيًّا عن الناس، فقيرًا إلى ربه.

وقال **قتادة** معقِّبًا:

«تلك أخلاق المؤمن، هو أحسن معونة، وأيسر الناس مؤونة»[2].

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدين

واسترزق الله مما في خزائنه ... فإنما هي بين الكاف والنون

وهي عزة أوجب ما تكون للعلماء العارفين بمقام الله أكثر من غيرهم، فعن **سفيان بن عيينة** قال:

دخل **هشام بن عبد الملك** الكعبة، فإذا هو **بسالم بن عبد الله**، فقال له:

يا **سالم** سَلْني حاجةً..

فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله.

فلما خرج في أثره، قال له: الآن قد خرجتُ، فسلني حاجةً، فقال له **سالم**:

حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟!

فقال: بل حوائج الدنيا.

فقال له **سالم**: ما سألتُ من يملكها، فكيف أسأل من لا يملكها؟!»[3].

المؤمن الصادق غناه من أن ثقته بما في يد الله أوثق منه بما في يد الناس؛ ولذا قال **أبو سليمان الداراني**:

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ١/ ٢٧٨ - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - ط دار السلام - القاهرة.
(٢) الزهد للإمام أحمد ١/ ٤١٠.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٤٤٦.

عرف ربه الملك من استرزقه وسأله إذا ضاق ملكه.

«لا خير في قلب يتوقَّع قرع الباب، يتوقع إنسانًا يجيء يعطيه شيئًا»[١].

والإيمان بالله **الملك** يعلِّمك أنه لا أحد يملك من أمر ضرك أو نفعك شيئًا إلا **الملك**، فتقوى على النطق بكلمة الحق، ولا تجبن في مواجهة من لا يملك من أمرك فضلاً عن أمر نفسه شيئًا.

هذا **عمر بن هبيرة** والي **يزيد بن عبد الملك** على العراق يستفتي **الحسن البصري** في مسألة، فيقول:

إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه، فأقبض طائفة من عطائهم، فأضعه في بيت المال، ومن نيتي أن أرُدَّه عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو، فيكتب إلي أن لا ترُدَّه، فلا أستطيع رَدَّ أمره، ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمورٌ على الطاعة، فهل عليَّ في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور، والنية فيها على ما ذكرت؟!

فأجابه **الحسن**:

«حق الله ألزم من حق أمير المؤمنين، والله أحق أن يطاع، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل، فإن وجدته موافقًا لكتاب الله فخذ به، وإن وجدته مخالفًا لكتاب الله، فانبذه يا **ابن هبيرة**!

اتق الله، فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك، وتقدم على ربك، وتنزل على عملك..

يا **ابن هبيرة**.. إن الله ليمنعك من يزيد، ولا يمنعك يزيد من الله، وإن أمر الله فوق كل أمر، وإنه لا طاعة في معصية الله، وإني أحذرك بأسه الذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين»[٢].

الواجب الرابع: مجِّد الله باسم (الملك)

وقد جاءت الأدعية والأذكار صحيحة متضمنة لهذا الاسم الجليل، والتوسل به إلى الله رب العالمين كما في دعاء الاستفتاح لصلاة التهجد منه:

«ولك الحمد، أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن»[٣].

وما ورد في دعاء استفتاح الصلاة وفيه:

«اللَّهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[٤]..

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٩/ ٢٦٤ - أبو نعيم الأصبهاني- ط دار الكتاب العربي - بيروت.
(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٧.
(٣) صحيح: البخاري رقم: ١١٢٠.
(٤) صحيح: صحيح أبي داود عن علي بن أبي طالب رقم: ٧٣٨.

ما عرف ربه الملك من لم يُحكِّم شرعه وأمره.





وكان النبي ﷺ يقول في دُبُر كل صلاة إذا سلَّم:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»[١]..

وفي الحديث الرائع الماتع:

عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكُتِبَت له مائة حسنة، ومُحِيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»[٢].

الواجب الخامس: حكِّم شرع الله لا الأهواء..

ألا له الخلق والأمر..

فلأن الله هو الذي خلق، فله الأمر في ما أراد وحكم، وإذا كان الملك المطلق إنما هو لله وحده لا شريك له، فالطاعة المطلقة إنما هي له وحده لا شريك له، فتُقدَّم طاعته على طاعة من سواه، وحكمه على حكم غيره، بل لا طاعة لأحد إلا في حدود طاعته، ولا طاعة لمخلوق في معصية الملك.

ولما كان من لوازم الملك لله تعالى الحكم والتشريع كان لزامًا على العباد قبول حكم الله تعالى وشرعه، ورفض ما سواه، والإعراض عن التحاكم لغيره، فالحكم لله وحده.

وهذا معناه التزام الحكم القدري والشرعي الجزائي..

الحكم القدري: وهو الذي يجري على العبد بغير اختياره، ولا طاقة له بدفعه، ولا حيلة له في منازعته، فالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والرزق بنوعيه المادي والمعنوي، وغيرها تجري على مقتضى قضائه وقدره، فهذا حق الله فيه أن يتلقاه العبد بالاستسلام وترك المخاصمة والاعتراض.

والحكم الشرعي: بالحِلِّ والحُرمة، فقد أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه؛ ليسير الخلق على حكم الله في عقائدهم وأخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم وظاهرهم وباطنهم، ونهاهم عن مجاوزة حكمه.

والحكم الجزائي: أي هو الذي له الحق أن يقول لك: لو فعلت كذا تؤجر بكذا، ولو فعلت كذا عوقِبتَ بكذا، فمن تمام مُلكِهِ أن له الأحكام الجزائية من إثابة الطائعين، وعقوبة العاصين، وكل هذه الأحكام تابعة لعدله وحكمته، وكلها من معاني ملكه.

(١) صحيح البخاري في الدعوات باب الدعاء بعد الصلاة رقم: ٦٣٣٠.
(٢) صحيح: رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٤٣٧.

عرف ربه الملك من نفى عن قلبه الشكوك وفوَّض أمره إلى ملك الملوك.



الواجب السادس: اصبر على البلاء

حين يتحقق العبد أن نفسه وأهله وماله وولده مِلكٌ لله على الحقيقة، وأن الله جعلهم عنده عارِيَّة، فإذا أخذها منه فهو كالمعير يسترد عاريَّته من المستعير، وإنما هو متصرف في ما يملك تصرف العبد المملوك لا تصرُّف المالك، ولهذا لا يجزع لفقد ما حازه ولا يتسخَّط، وينجح في اختبار السلب كما نجح في اختبار العطاء.

وفي الحديث:

«ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.. اللهم أجُرْني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف الله له خيرًا منها»[(١)].

الواجب السابع: الدعاء

كل ما أردت وتمنَّيت حقر أو عظم، من شفاء وصحة، أو أولاد وزوجة، أو مال وسعة رزق، أو نجاح في حياة عملية أو زوجية، أو صلاح في دين مع ثبات ويقين.. كل هذا من يملك خزائنه إلا الله؟! فكيف تترك من يملك كل شي لتقف على باب من لا يملك أي شيء!

هذا حديث **عائشة** رضي الله عنها موقوفًا:

«سلوا الله كل شيء حتى الشِّسْع، فإن الله عز وجل إن لم يُيَسِّرْهُ لم يَتَيَسَّر»[(٢)].

وكان بعض السلف يسأل الله في صلاته كل حوائجه حتى ملح عجينه وعلف شاته.

وفي الإسرائيليات أن **موسى** عليه السلام قال:

«يا رب، إنه لَتَعرِض لي الحاجة من الدنيا، فأستحي أن أسألك، قال: سَلْني حتى مِلحَ عجينك وعَلَفَ حمارك»[(٣)].

فاطلب من ملك الملوك ولا تكن ... يا ذا الضراعة طالبًا من طالبِ

الواجب الثامن: توكل على مسبِّب الأسباب لا الأسباب

اعلم أنه وحده سبحانه وتعالى الذي يسبب الأسباب، فمرادك يتحقق بالأسباب الأرضية، لكن من

(١) صحيح: رواه مسلم وابن ماجة عن أم سلمة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٧٦٤.
(٢) مسند أبي يعلى رقم: ٤٥٦٠، وصحَّحه حسين سليم أسد، وأخرجه ابن السني رقم: ٣٤٩ بسند حسن، وله شاهد من حديث أنس في الترمذي وضعَّفه.
(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم ٢/ ٣٩- ابن رجب الحنبلي - ط مؤسسة الرسالة - بيروت.

ما عرف ربه الملك من رفع شكواه إلى عبد مملوك بدلاً من ملك الملوك.



يملك هذه الأسباب إلا الملِك؟!

والأسباب مطلوبة منك بل مفروضة عليك على أن لا تقف حاجزًا بينك وبين الله، وقد تملك أسبابًا لكن يُعطِّلها الله كما حدث مع نار **إبراهيم** عليه السلام لأن الله أمرها بذلك.

وراجع شريط ذكرياتك:

- كم عملٍ سعيتَ إليه حثيثًا ثم ندِمت عليه!
- كم من ساعٍ لسعادة بالزواج من حبيبة، فانقلبت حياته بها جحيمًا!
- كم من طالب رزق اتسع في جانب، لكن ضاق عليه في جوانب!
- كم طالبِ ولدٍ وذرية رُزِقَ بهم، ثم أرهقوه طغيانًا وكفرًا!

وهذا يدلُّ على أن وجود الأسباب تحت يديك لا يضمن لك بلوغ مرادك كما كنت ترجو، إلا أن يطرح المَلِك فيها البركة، فتنتفع بها، فالذي ملَّكك السبب هو وحده القادر على أن ينفعك به أو يسلب فائدته عنك؛ لذا فإياك أن يتعلق قلبك بالسبب بل تعلَّق بالمسبِّب.

ولذا في صحيح **مسلم** جاء في الرقية:

«بِاسْمِ الله أَرْقيك، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذيك، مِنْ شرِّ كُلِّ نَفْسٍ أو عينِ حاسِدٍ، الله يَشْفيك، باسم الله أرقيك»[1].

فواضح هنا تمام الوضوح أن النبي ﷺ يرقي، لكن الله هو الذي يشفي

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾..



وتأمَّل:

عصا كانت سببًا في ثلاثة:

إسلام سحرة **فرعون**، وتفجير الماء من الصخرة، وشق البحر **لموسى**.

وقميصٌ كان سببًا في ثلاثة:

كشف كذب إخوة **يوسف**، ونجاته من كيد امرأة **العزيز**، ورد بصر **يعقوب**.

سبحانه!! إذا قضى نصْرَك، نَصَرَك بأهون الأسباب، فتعلَّق به لا بالأسباب!!

---

(١) صحيح: صحيح مسلم رقم: ٢١٨٦ باب الطب والمرض والرقى.

عرف ربه الملك من استخاره في أهون الأمور وأجلّها.



الواجب التاسع: النهي عن التسمي بملك الأملاك أو شاهِنْشاه

ونحوها من الأسماء التي تدل على التكبر والعلو في الأرض.

قال ﷺ:

«إن أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله، رجلٌ تسمى ملك الأملاك»[1].

قال ابن حجر:

«واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء»[2].

قال ابن القيم:

«ولما كان الملك الحق لله وحده، ولا ملك على الحقيقة سواه، كان أخنع اسم وأوضعه عند الله، وأغضبه له اسم (**شاهان شاه**) أي: ملك الملوك، وسلطان السلاطين، فإن ذلك ليس لأحد غير الله، فتسمية غيره بهذا من أبطل الباطل، والله لا يحب الباطل.

وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا (قاضي القضاة) وقال: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين، الذي إذا قضى أمرًا فإنما يقول له: كن فيكون»[3].

ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطَلَبًا

«اللهُم أنت المِلكُ لاَ إلهَ إلاّ أنت، أنت رَبِّي وأنا عبدك، ظَلَمْت نفسي وَاعْترَفت بِذَنبِي، فاغفِر لي ذُنُوبِي جَميعًا، إنهُ لاَ يَغفِرُ الذنُوبَ إلّا أنت»[4].

يا ملك الملوك..

ارزقني مُلكَ الدنيا لأسخِّره في طاعتك، ومُلكَ الآخرة لأنعم بجنتك.

يا ملك الملوك..

أوقفني ببابك وقوف العبد المملوك، وعرِّفني مقامك وأنك أصل الغنى والجود.

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٧.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٥٩٠.
(٣) زاد المعاد ٢/ ٣١١.
(٤) صحيح: رواه مسلم كما في صحيحه رقم: ٧٧١ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.





يا ملك الملوك..

اللهم وقد جعلتني مستخلفًا في ملكك، فاجعلني زاهدًا في ما ضمنتَ لي، راغبًا في ما طلبتَ مني.

يا ملك الملوك..

اجعل المال في يدي لا في قلبي، وأرني فيه شدة اختبارك، ولا تجعلني به من المفتونين بكثرة عطائك.

يا ملك الملوك..

اللهم اجعلني أجود ما أكون بدنياي، وأبخل ما أكون بِديني عن كل ما يناله بسوء.

يا ملك الملوك..

لا تُحوِجني لأحد من خلقك، واجعل استعانتي بك وحدك.

يا ملك الملوك..

اجعل الدنيا في عيني كما هي عندك، لا تساوي جناح بعوضة، واستعملني فيها في ما كل يرضيك عني.

رابعًا: حاسب نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل ترى في المال اختبار وفتنة شديدة قلَّ من ينجح فيها؟			
٢	هل أخرجت زكاة مواهبك وما منحك الله من عطايا مادية ومعنوية؟			
٣	هل تدبرت وتفكرت في نعم الله عليك، وهو نظرت إليها نظرة الاختبار؟			
٤	هل طمعت في ما يملك الناس أو حسدتهم على ما يملكون؟			
٥	هل تصبَّرتَ إذا نَزَع الملِك مِنْكَ المُلك؟ وهل تستسلم لحُكْمِه وحِكمته؟			

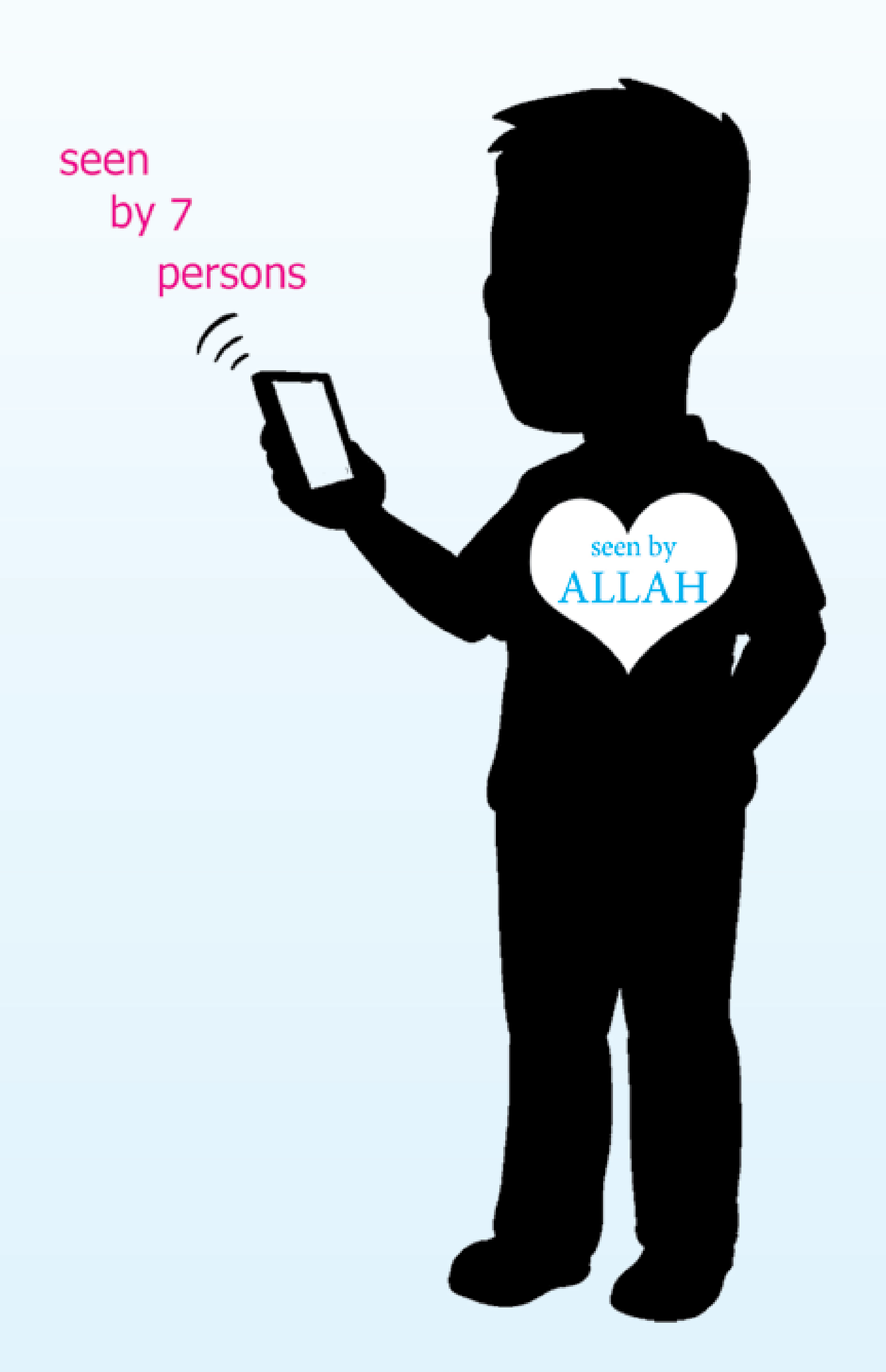
عرف ربه الملك من رأى مواهبه عطايا (ربانية) تحتاج منه إلى زكاة.

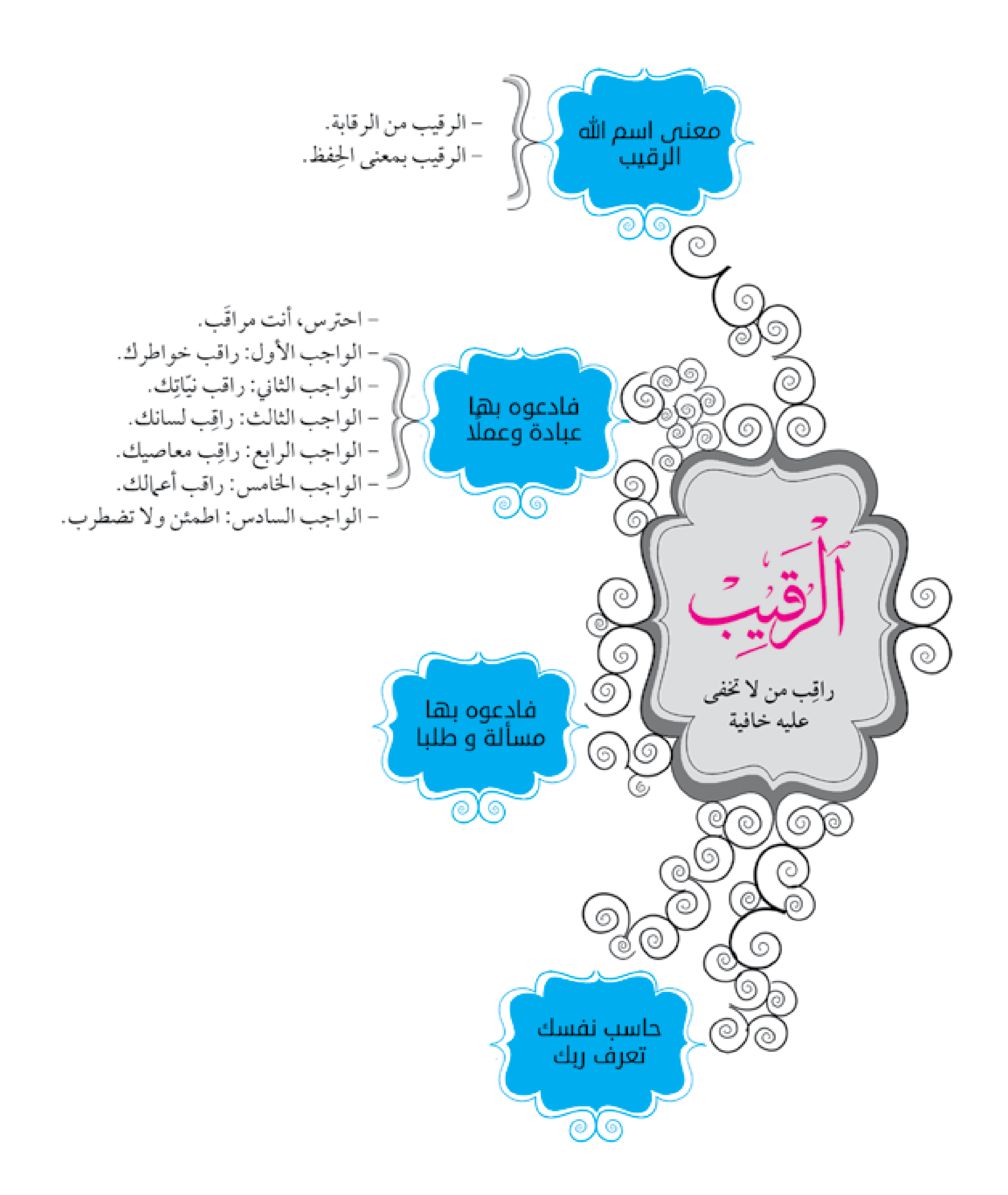


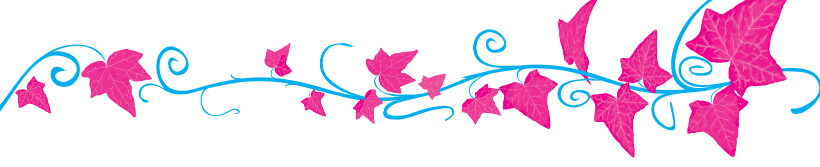
راقِب من لا تخفى عليه خافية

من الرَّقابة، فهو المطَّلع على ما أكنَّته الصُّدور، أو من الحفظ، فهو المراعي لأحوال العبد الحافظ له.

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ




معنى اسم الله الرقيب
- الرقيب من الرقابة.
- الرقيب بمعنى الحِفظ.
فادعوه بها عبادة وعملا
- احترس، أنت مراقَب.
- الواجب الأول: راقب خواطرك.
- الواجب الثاني: راقب نيّاتِك.
- الواجب الثالث: راقِب لسانك.
- الواجب الرابع: راقِب معاصيك.
- الواجب الخامس: راقب أعمالك.
- الواجب السادس: اطمئن ولا تضطرب.
الرَّقِيبُ
راقِب من لا تخفى عليه خافية
فادعوه بها مسألة و طلبا
حاسب نفسك تعرف ربك



ورد اسم الله الرقيب في القرآن (ثلاث مرات):

في قوله تعالى:

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]

وقوله:

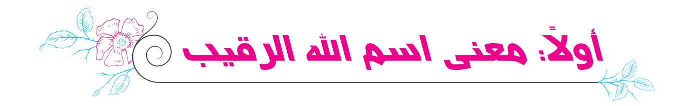
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

وتعليقًا على آخر آية:

تقوى الله محلها القلب، والقلب لا يراه إلا الله؛ ولذا جاء التذكير باسم (الرقيب) في ختام الآية.. أي لم يزل عليكم رقيبًا حفيظًا، فيحصي عليكم أعمالكم، فصلة أرحامكم أو قطيعتكم لها هي محل نظر (الرقيب) سبحانه.



أولاً: معنى اسم الله الرقيب

في اللسان:

«في أسماء الله تعالى: الرقيب وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيل بمعنى فاعل، والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]، ومعناه لم تنتظر قولي»[1].

الرقيب من المراقبة:

الله الذي يراقبك في كل أحوالك، وفي ليلك ونهارك، وسرك وعلانيتك، وليست مراقبته لك وحدك، بل لكل ما خلق، ولو كان حقيرًا لا يؤبه له، ولو كان لا تراه العين المجرَّدة.

يقول الإمام **ابن القيم** في نونيته:

وهو الرقيبُ على الخواطِرِ واللّواحظ كيف بالأفعالِ بالأركانِ

(١) اللسان ٣/ ١٦٩٩.

عرف ربه الرقيب من استشعر مراقبته له في السِّر والعلن، والغُربة والوطَن.

قال الشيخ **السعدي**:

«(كيف بالأفعال بالأركان): أي أنه إذا كان الله رقيبًا على دقائق الخفيات، ومطلعًا على السرائر والنيات كان من باب أولى شهيدًا على الظواهر والجليات،وهي الأفعال التي تفعل بالأركان أي الجوارح»[1].

وقد فسَّر النبي ﷺ الإحسان حين سأله جبريل، فقال:

«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

أراد بالإحسان الإشارة إلى حسن مراقبة الله، فإنَّ من راقب الله في كل أحواله أحسن في أعماله.

قال تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

قال **محمد المختار الشنقيطي**:

«وضرَبَ العلماء لهذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم مثلاً ليصير به كالمحسوس، فقالوا: لو فرضنا أن ملكًا قتّالاً للرجال، سفّاكًا للدماء، شديد البطش والنكال على من انتهك حرمته ظلمًا، وسيّافه قائم على رأسه، والنطع مبسوط للقتل، والسيف يقطر دمًا، وحول هذا الملك الذي هذه صفته جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحدًا من الحاضرين يهم بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه، وهو ينظر إليه عالم بأنه مطلع عليه؟!

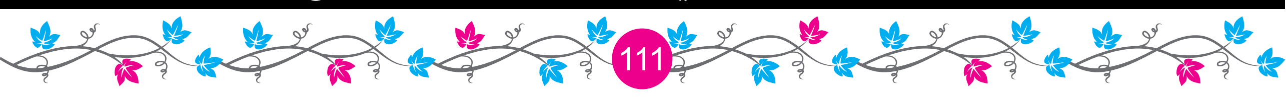
لا، وكلا! بل جميع الحاضرين يكونون خائفين، وجِلةٌ قلوبهم، خاشعةٌ عيونهم، ساكنةٌ جوارحهم خوفًا من بطش ذلك الملك.

ولا شك -ولله المثل الأعلى- أن رب السموات والأرض جل وعلا أشد علمًا، وأعظم مراقبة، وأشد بطشًا، وأعظم نكالاً وعقوبة من ذلك الملك، وحماه في أرضه: محارمه، فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائبٍ عنه، وأنه مطَّلع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوي لان قلبه، وخشي الله تعالى، وأحسن عمله لله جل وعلا»[2].

ومن مراقبة الله لعبده مراقبته له في أشرف المواضع، وهي الصلاة؛ ولذا نهى النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة، وهو التفات العين الذي سبقه التفات القلب..

(١) شرح القصيدة النونية للسعدي ص٨٩.
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ١٧١ - محمد الأمين الشنقيطي - ط دار الفكر.

ما عرف ربه الرقيب من خانه في سريرته، وكأن الله غير مطَّلع عليه.





فقال رسول الله ﷺ:

«لا يزال الله عز وجل مُقبِلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه»[1].

«وكأنَّ مقصود النبي ﷺ بذكر هذا: أن يستشعر المصلي في صلاته قرب الله منه، وأنه بمرأى منه ومسمع، وأنه مُناجٍ له، وأنه يسمع كلامه، ويرُدُّ عليه جواب مناجاته له»[2].

وعارٌ على عبدٍ أن يعامِل الرقيب معاملة هي دون معاملة البشر بكثير!

قيل لخلف بن أيوب:

ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها!

قال: لا أعوِّد نفسي شيئًا يُفسِد عليَّ صلاتي.

قيل له: وكيف تصبر على ذلك؟!

قال: «بلغني أن الفُسّاق يصبرون تحت أسواط السلطان ليُقال فلانٌ صبور، ويفتخرون بذلك، فأنا قائمٌ بين يدي ربي، أفأتحرك لذبابة!»[3].

الرقيب بمعنى الحفظ:

فالرقيب هو المُوكَّل بحفظ الشيء، المترصِّد له، المتحرِّز عن الغفلة فيه، ورقيب القوم: حارسهم، وهو الذي يُشرِف على المراقبة ليحرسهم، ورقيب الجيش: طليعتهم، والرقيب: الأمين.

قال الزجاجي:

«الرقيب هو: الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه»[4].

ومنه حديث ابن عمر أن أبا بكر قال:

«ارقبوا محمَّدًا ﷺ في أهل بيته»[5].

وقول هارون:

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

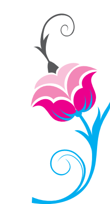
---

(١) صحيح: رواه أبو داود وأحمد وانظر صفة الصلاة ص٩٠.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/ ١١٠ – ابن رجب الحنبلي – مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة.
(٣) إحياء علوم الدين ١/ ١٥١.
(٤) تفسير أسماء الله الحسنى ص٥١.
(٥) صحيح: رواه البخاري في صحيحه رقم: ٣٧١٣ – كتاب المناقب – باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ.

عرف ربه الرقيب من راقب لسانه وكلماته، وحاسب نفسه عليها آخر كل يوم.



حظه من هذا الاسم (المراقبة).



والمراقبة تستأصل بذرة الرياء من القلب، وتجير الإنسان من أن يكون ذا وجهين، وتجعله عبدًا لله حقا في سِرِّه كما في علانيته، وتعينه على بلوغ مقام الإحسان، وتغرس الرقابة الذاتية في المجتمع، وتُرَبّيه على خشية الله وحده.

ما المراقبة؟

يقول **ابن القيم**:

«المراقبة: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق على ظاهره وباطنه»[1].

ويكفي المراقبة شرَفًا أن ثلاثة من السبعة الذين يظلهم الله في ظله هم من أبطالها، فالرجل الذي ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، والرجل الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، والرجل الذي تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.. كل هؤلاء استشعروا جلال اسم الله الرقيب.

قال **الجنيد**:

«إنما يتحقَّقُ بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربِّه عز وجل»[2].

احترس، أنت مراقب!

من يكسر اليوم إشارة مرور في دولة أوروبية يكون على ثقة أنه قد تم تصويره، وتسجيل موعد مخالفته باليوم والساعة والدقيقة، وأنه سيتم تغريمه عاجلاً أو آجلاً؛ ولذا يبادر بدفع الغرامة مختارًا قبل أن يدفعها مضطرًّا، فكيف بمن كسر إشارة الحرُمات؟! وتجاوز حاجز المباحات؟! وتم تسجيل مخالفته عن طريق ملائكة كرام كاتبين، ليجده منشورًا أمام عينيه ليغرَّم ويُحاسب عليه يوم الدين؟!

من يدخل اليوم متجرًا كبيرًا فيه كاميرات مراقبة لمكافحة السرقة لن يجرؤ على أن تمتد يده لتناول ما ليس له، بينما يسرق من صلاته، وينتهب من ثروة حياته، ويهدم في إيمانه كل يوم، مع أن الرقيب لا يغفل عنه لحظة ولا يغيب.

(١) مدارج السالكين ٢/ ٦٥.
(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٩٧.

ما عرف ربه الرقيب من أطلق لسانه دون حساب، فجعله مشغولاً بالفُحش والاغتياب.

من يجتهد في عمله لأن رقابة مديره عليه لصيقة أو لأنه مطالبٌ بأداء واجبات ثقيلة قبل نهاية الشهر، فإنه لا يفتر ولا يكسل، فكيف بمن وقع تحت رقابة «الرقيب» على الدوام، وقد طالبه بواجبات تُلزِمه، وإن لم يؤدِّها فليس له إلا النار، وليس مجرَّد الفصل أو الإنذار.

نحن اليوم في أمسِّ الحاجة إلى أن نراقب الله المطَّلِع علينا في كل أوقاتنا وأحوالنا، فنعبد الله كأننا نراه، وكأنَّ الحجُب قد انجلت، والسماء قد كُشِفت، وكأنك ترى الله مستوٍ فوق عرشه ينظر إليك، ويراك ويسمعك، ويراقبك مراقبة دقيقة مسجَّلة في السجِلات والكُتُب، تكتبها الملائكة الكاتبون، وتقيِّد ما تراه منك ولو كان الأنين!



نحتاج إلى الذين عرفوا اليوم اسم الرقيب من أمثال هؤلاء:

- زوجٌ يراقب الله في أهله، فيُحسِن إليهم ويكون في مِهْنتهم.
- زوجة تراقب الله في زوجها، فتحفظه في نفسها وماله، في غيبته وحضرته.
- موظفٌ يراقب الله في صِدقه وأمانته مع الجمهور.
- عاملٌ يراقب الله في سلعته، فلا يغشنا وإلا ما كان منا.
- شيخٌ يراقب الله في النطق بكلمة الحق، ولا يُلبِس الحقَّ بالباطل، أو يُدلِّس به على الناس.

١) راقب خواطرك

ومراقبة الله تعالى تقتضي أن يحترس المرء من خواطره؛ لأنها نقطة البداية في أي عمل، فمن كانت خواطره خواطرَ سوءٍ جرَّت قدميه إلى السوء، فلا تطلق لخيالك العنان في كل ما تشتهي خاصة لو كنت خاليًا! وكلما راودتك تلك الخواطر وأحلام اليقظة، فتحرَّك واشغل نفسك بعمل آخر، واقطع بِذاك الطريقَ على الشيطان.. سارق الإيمان.

وقد تنبَّه **ابن مسروق** لهذه الخطوة الأولى من خطوات الشيطان، فقال:

«من راقب الله في خواطره، عصَمَه في حركات جوارحه»[1].

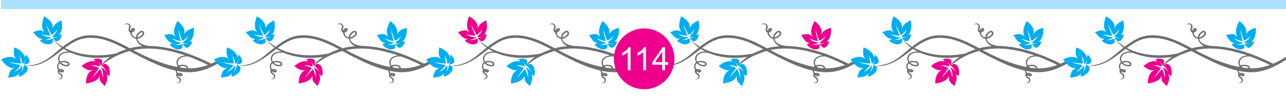
٢) راقب نيّاتِك

يا هذا..

طاعة الله بالقلب قبل القالِب!

(١) صفة الصفوة ٢/ ٣١٩.

عرف ربه الرقيب من استشعر مراقبة ربه له أثناء عمله فأحسنه وأتقنه.



فانظر ما خالط قلبك وأفسد نيتك، واجعل الله غايتك، ورضاه قبلتك.

وعلى من أحصى اسم الله الرقيب أن يراقب نفسه قبل أي عمل صالح، فيسأل نفسه أولاً:

هل حضرت لي فيه نية؟

وذلك لئلا يضيع هباءً أو ينقص أجره؟

وقد امتنع جماعة من السلف عن جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم فيها النية، فهذا:

ابن سيرين لم يُصلِّ على جنازة **الحسن البصري**، وقال: ليس تحضرني نية.

ومات **حمّاد بن سليمان** وكان أحد علماء أهل الكوفة، فقيل **للثوري**: ألا تشهد جنازته؟! فقال: لو كان لي نية لفعلت.

وكان **طاووس** لا يُحدِّث إلا بِنِية، وكان يُسأل أن يُحدِّث فلا يحدِّث، ولا يُسأل فيبتدئ! فقيل له في ذلك، فقال: أفتحبون أن أُحدِّث بغير نية! إذا حضرتني نية فعلت[1].

وهذا تحفيز على استجلاب النوايا الصالحة والتدريب عليها حتى لا نُمضي عملاً بغير نية.

فإذا حضرت النية فاسأل نفسك السؤال الثاني:

هل حرَّكني فيه هوى النَّفس ورؤية الناس أم رضا الله؟!

فإن كان الله أمضيته، وإلَّا تركته، وهذا جوهر الإخلاص.

قال **الحسن**:

«رحم الله عبدًا وقف عند همَّه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخَّر»[2].

وحتى الداعية إلى الله قد يرائي، فلا يدعو الخلق إلى الله، بل يدعوهم إلى نفسه؛ طالب حظوظٍ دنيوية ويحسبها أُخرَوية، ولذا فكلما علا ذكره بين الناس؛ اقترب من الانتكاس. وكلما ارتقى مدارج الشُّهْرة؛ زادت جراحات دينه ودنا مصرع يقينه.

فإن حضرت النية الخالصة في العمل الصالح، فاسأل نفسك السؤال الثالث:

هل عدَّدت فيه نيّاتي الصالحة؟!

وهذا مما يُضاعِف الحسنات، ويُبيِّض الصفحات.. قال **أبو حامد الغزالي** وهو يضرب لنا مثلاً إرشاديًّا:

«ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة، ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٧٤ فيه ذكر هذه الأقوال الثلاثة وغيرها.
(٢) مختصر منهاج القاصدين ١/ ٣٧٣ - ابن قدامة المقدسي - ط دار البيان بدمشق.

ما عرف ربه الرقيب من عمي قلبه عن مراقبة رب الأرض والسماوات، فرَتَع في أرض السيِّئات.

المتقين، ويبلغ به درجات المقرَّبين..

أولها: أن يعتقد أنه بيت الله، وأن داخله زائرُ الله، فيقصد به زيارة مولاه.

وثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة، فيكون في جملة انتظاره في الصلاة.

وثالثها: الترهُّب بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات، فإن الاعتكاف كفٌّ، وهو في معنى الصوم، وهو نوع ترَهُّب.

ورابعها: عكوف الهم على الله، ولزوم السر للفكر في الآخرة، ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد.

وخامسها: التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكير به.

وسادسها: أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهي عن منكر؛ إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له، فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين، فيكون شريكًا معه في خيره الذي يعلم منه، فتتضاعف خيراته.

وسابعها: أن يستفيد أخًا في الله، فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة.

وثامنها: أن يترك الذنوب حياءً من الله تعالى، وحياءً من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة.

فهذا طريق تكثير النيات، وقِسْ به سائر الطاعات والمباحات؛ إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة»(١).

هيا.. فالميدان مفتوح، والنوايا فتوح، وفي ذلك فليتنافس صاحب كل قلبٍ طموح!

٣) راقب لسانك

قال تعالى عن ألفاظ اللسان:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.

رَقيبٌ: أي مَلَكٌ يراقب عمله، وعَتِيدٌ أي حاضر.

قال **عطاء بن أبي رباح**:

«إِنَّ مَنْ كَانَ قبلكم كانُوا يَكْرَهُون فُضول الكلام، وكانوا يعُدُّون فُضُولَ الْكَلَامِ ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، أو أَمرًا بمعروفٍ، أو نَهيًا عن مُنْكرٍ، أَوْ تَنْطِقُ لِحَاجَتِكَ فِي مَعِيشَتِكَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا. أَتُنْكِرُونَ أَنَّ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١١] ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧، ١٨] أما يستحي أحدكم إِذَا نُشِرَتْ صَحِيفَتُهُ الَّتِي أَمْلَاهَا صَدر نهاره كان أكثر ما

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٧٠، ٣٧١.

عرف ربه الرقيب من علم أن كل كلمة عليها رقيب عتيد.

فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه!»[1].

ولذا قرَّر **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه بعض تطبيقات فقه الأولويات مبكِّرًا حين قال:

«إِنَّ أَحَقَّ ما طَهَّر الرَّجل لِسانَه»[2].

ولو طبَّقنا وصية **عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه بقوله: «واخزن لسانك كما تخزن نفقتك»[3]، لما تكلَّمنا إلا قليلًا، وفي ما يعنينا، فتجِد الرجل حريصا على ماله؛ لا ينفقه إلا في ما يعود عليه بالنفع، ولكنه مسرف في أقواله وكلمات لسانه، ينفقها في ما ينفعه وما يضره، ولعل حتفه في كلمة من كلماته.

قال الإمام **الذهبي**:

«واختلف العلماء في الكلام المباح، هل يكتبه الملكان، أم لا يكتبان إلا المستحب الذي فيه أجر، والمذموم الذي فيه تبعة؟ والصحيح كتابة الجميع لعموم النص في قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ثم ليس إلى الملكين اطلاع على النيات والإخلاص، بل يكتبان النطق، وأما السرائر الباعثة للنطق، فالله يتولاها»[4].

ومن غير الرقيب يعلم نوايا العباد وبواطن الأسرار!

٤) راقب معاصيك

كلما ورد الذنب على خاطرك، فاستعذ بالله، واستحِ من الرقيب، ولينبعث الوجل في قلبك، فتنيب لربِّ العالمين.

وفي الحديث:

«قالت الملائكة: يا ربِّ.. ذاك عبدك، يريد أن يعمل بسيئة، وهو أبصَرُ به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها مِنْ جَرَّاي»[5].

ومعنى «مِنْ جَرَّاي»، أي: ابتغاء وجهي.

وهذا يدل على أن مَنْ قدَر على الذنب، ثم تركَه لله تعالى، فهذا يُكتَب له حسنة؛ لأن ترك المعصية بهذا القصد عملٌ صالح.

(١) صفة الصفوة ١/ ٤١٥.
(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ١١٥.
(٣) مسند ابن أبي شيبة ٧/ ١٢٨ برقم: ٣٤٧١٣.
(٤) سير أعلام النبلاء ٩/ ٨٤.
(٥) صحيح: رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣٥٦.

فأما إن هَمَّ بمعصية، ثم تركها خوفًا من المخلوقين، أو رئاء الناس، أو لئلا يسقط في نظرهم، فإن الله معاقبه، لأن تركه لم يكن لله بل للناس.



وتذكَّر يا مذنبًا في الخلوات:

إذا حصل لك قبول الخلق مع كذِبك، فما حصل لك قبول الله بل ستره.

أما بلغك أن الرقيب ينظر إلى قلبك لا صورتك، وخلوتك لا جلوتك.

أما تستحي أن يُهِمَّك نظر الخلق أكثر من نظر الخالق.

ويكون منظرك أمام الخلق جميلا، وأمام الحق قبيحا.

وأن ترمِّم الظاهر مع فساد الأساس: الباطن.

ويحك!!

٥) راقب أعمالك

خلق الله الخلق ليختبرهم بإحسان العمل لا بكثرته، ولهذه الحكمة الكبرى سأل **جبريل** النبي ﷺ عن هذا ليُعلِّمه لأصحابه فقال: «أخبرني عن الإحسان»، فبيَّن النبي ﷺ أن الطريق إلى ذلك الواعظ والزاجر الأكبر الذي هو مراقبة الله عز وجلَّ، والعلم بأنه لا يخفى عليه شيء من فعل خلقه، فقال له:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

واستشعار مراقبة الله في الأعمال خير باعث على الإخلاص.

كان **أبو عمرو بن نُجَيْدٍ** أحدُ عُبَّاد وزُهَّاد خراسان قد سمع **أبا عثمان الحيري النيسابوري** يقول يومًا على المنبر: عليَّ ألف دينار، وقد ضاق صدري، فمضى **أبو عمرو** إليه في الليل بألف دينار، وقال: اقض دينك.

فلما عاد وصعد المنبر، قال: نشكر الله **لأبي عمرو**؛ فإنه أراح قلبي، وقضى دَيْني، فقام **أبو عمرو**، فقال: أيها الشيخ، ذلك المال كان لوالدتي، وقد شقَّ عليها ما فعلتُ، فإن رأيت أن تتقدَّم برَدِّه، فافعل، فلما كان في الليل عاد إليه، وقال له:

«لماذا شهرتني بين الناس؟! فأنا ما فعلت ذلك لأجل الخلق، فخُذْهُ ولا تذكُرني!»[٢].

مراقبة المدير

كنت أعمل في مصنع فيه مدير ذكيٌّ، وقد لمح في بعض العاملات تكاسلاً، وكن يعملن في قسم التعبئة

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ١٧١ - محمد الأمين الشنقيطي - ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
(٢) صيد الخاطر ص ٣٦٩.

عرف ربه الرقيب من علم أنه تحت رقابة لصيقة لا تغيب عنه لحظة.

اليدوية، ولهن معدَّل إنتاجية ثابتة كل ساعة، فمرَّ عليهن يومًا، ووقف يراقبهن لمدة عشر دقائق، فلما رأينه بادرن بالعمل بأقصى سرعة لإثبات نشاطهن وتميزهن أمامه، وبعد انقضاء الدقائق العشر قام بحساب الإنتاجية، وأخبر مدير الإنتاج أنه بنهاية اليوم وسيرًا على نفس المعدَّل، فإن المتوقع أن يكون إنتاج هؤلاء العاملات كذا وكذا..

وعندها أُسقِط في أيديهن! فقد كن يعملن فوق المعدل الطبيعي بسبب حضور المدير ومراقبته لأدائهن.

ولا تخفى عليك فائدة إسقاط هذا الموقف على أعمالنا مع الله.. من حيث كثرتها وجودتها.

قال **أبو جعفر بن الفرج**:

رأيتُ رجلاً من الشُطَّار يُضرَب بالسياط، فقُلْتُ له:

أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل؟

فقال:

«إذا كان من ضُرِبْنا لأجله يرانا»[1].

٦) اطمئن ولا تضطرب

اشعر بالطمأنينة إذا توكلت بحق على الرقيب، فهو الذي لا يغفل عنك لحظة ولا ينام ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾، فما لك تقلق وتضطرب؟! والله يعلم كل شيء عنك، ويرصد كل ما وقع لك، وأنت تحت رقابته ومحلِّ رعايته، وشبكة اتصالاتك به لا تسقط لحظة واحدة في ليل أو نهار، أو عسر أو يُسر، بل صلة دائمة، ورعاية فائقة.



ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

أسألك باسمك الرقيب..

أن تجعلنا نخشاك كأننا نراك، ولا تجعل مراقبتنا لأحد سواك..

أسألك باسمك الرقيب..

يا رقيبا على كل حركات الأكوان، وعليما بخطوات قلوب الإنس والجان، أشرِقْ على قلبي بنور اسمك الرقيب، حتى أرى مراقبتك لي في كل حال، وحلٍّ وترحال.

(١) الرسالة القشيرية ١/ ٣٠٠.



أسألك باسمك الرقيب..

أنت الرقيب على أعمالنا فأحسنها، وأنت الرقيب على نياتنا فأخلِصْنا، وأنت الرقيب على جوارحنا فَمِنْ ذنوبنا خلِّصْنا.

رابعًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل تراقب نياتك في جميع أعمالك، فلا تمضي إلا في ما أخلصتَ فيه النية؟			
٢	هل تعدِّد النوايا الصالحة في كل عمل صالح تقوم به؟			
٣	هل تفكِّر في كلامك قبل أن تتكلم به؟			
٤	هل تستشعر مراقبة الله لك في الخلوات؟			
٥	هل يُطمئنك في الشدائد مراقبة الله لك، وتستشعر فيها معنى الرعاية؟			
٦	هل تستأنِس بالقرب من الله في الخلوات وبِذكره في الصلوات؟			

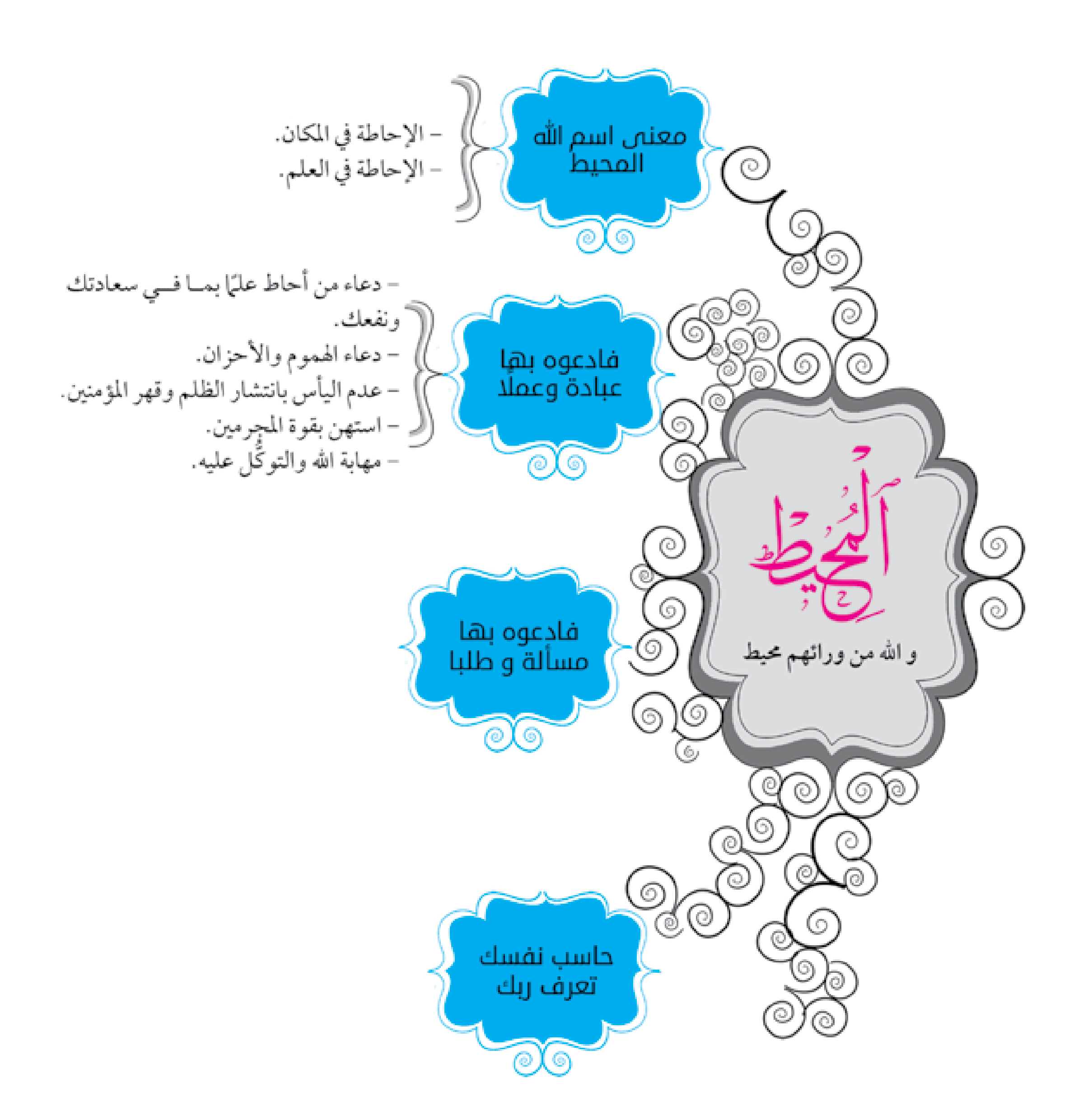
عرف ربه الرقيب من استأنَس بالذكر، والأعلى منه: من استأنَس بالمذكور.



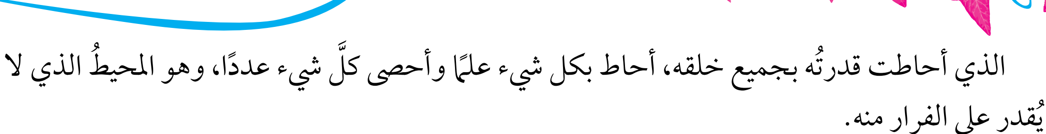
والله من ورائهم محيط

الذي أحاطت قدرتُه وعلمه بجميع خلقه، وهو المحيطُ الذي لا يقدر على الفرار منه أحد.


فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦



المحيط
و الله من ورائهم محيط
معنى اسم الله المحيط
- الإحاطة في المكان.
- الإحاطة في العلم.
فادعوه بها عبادة وعملا
- دعاء من أحاط علمًا بما في سعادتك ونفعك.
- دعاء الهموم والأحزان.
- عدم اليأس بانتشار الظلم وقهر المؤمنين.
- استهن بقوة المجرمين.
- مهابة الله والتوكّل عليه.
فادعوه بها مسألة و طلبا
حاسب نفسك تعرف ربك



الذي أحاطت قدرتُه بجميع خلقه، أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كلَّ شيء عددًا، وهو المحيطُ الذي لا يُقدر على الفرار منه.

المحيط: اسم من أسماء الله تعالى، ورد في القرآن الكريم (ثماني مرات) منها (ست مرات) بلفظ (محيطٌ) بالرفع، ومنها (مرتان) بلفظ (محيطًا) بالنصب.



أولاً: معنى اسم الله المحيط

معناه في اللغة:

قال في اللسان:

«حَاطَهُ يَحُوطه حَوْطًا وحيطةً وحياطةً: حَفِظه وعهده وتعهده واحتاط الرجل: أخذ في أموره بالأَجْزم.

ومع فلان حِيطةٌ لك -ولا تقل عليك- أي: تحنُّنٌ وتعطف.

والحائِط: الجدار لأنه يَحُوطُ ما فيه، والحُوَاطة: حظيرة تُتخذ للطعام.

وكلُّ من أحرز شيئًا كلَّه وبلغ علمه أقصاه، فقد أحاط به، يقال: هذا الأمر ما أحطتُ به علمًا.

وقوله تعالى: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] أي: عَلِمتُه من جميع جهاته. وأُحيط بفلان: إذا دنا هلاكه فهو مُحاطٌ به، قال عز وجل: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] أي: أصابه ما أهلكه وأفسده»[(١)].

قال **أبو القاسم الزجاجي**:

«المحيط في اللغة اسم الفاعل من قولهم: أحاط فلان بالشيء، فهو محيط به إذا استولى عليه، وضمَّ جميع أقطاره ونواحيه، حتى لا يمكن التخلص منه ولا فوته، فالله عز وجل محيط بالأشياء كلها لأنها تحت قدرته، لا يمكن شيءٌ منها الخروج عن إرادته فيه، ولا يمتنع عليه منها شيء»[(٢)].

قال **الراغب** في إشارة إلى شمول الإحاطة للناحية الحسية والمعنوية:

«الإحاطة على وجهين:

أحدهما في الأجسام، نحو أحطت بمكان كذا، وتُستَعمل في الحفظ نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي حافظًا له في جميع جهاته، وتستعمل في المنع نحو (إلا أن يحاط بكم أي إلا أن تمنعوا.

(١) لسان العرب ٢/ ١٠٥٢.
(٢) اشتقاق أسماء الله ص ٤٦ - أبو القاسم الزجاجي - مؤسسة الرسالة.

عرف ربه المحيط من تيقَّن بإحاطته به علمًا، فلم يستخفِ منه بسوء عمل وقبيح فعل.

والثاني فى العلم، نحو ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فالإحاطة بالشيء علمًا هو أن يعلم وجوده، وجنسه، وقدره، وكيفيته، وغرضه المقصود به، وبإيجاده، وما يكون به ومنه، وذلك ليس يكون إلَّا لله»[1].

ورآها **البيهقي** منصرفة إلى القدرة والعلم، فقال:

«المحيط هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات، وأحاط علمه بجميع المعلومات»[2].

لكن العلامة **السَّعدي** رأى الإحاطة تشمل أمورًا أربعة: العلم والقدرة والرحمة والقهر، فقال ﷺ:

«المحيط بكل شيء علمًا وقدرةً ورحمةً وقهرًا»[3].

وصفة الإحاطة صفة تفرد لا تليق إلا بالله وحده. قال **الحليمي**:

«وهذه الصفة ليست حقًّا إلا لله جل ثناؤه، وهي راجعة إلى كمال العلم والقدرة، وانتفاء الغفلة والعجز عنه»[4].

مواضعه في القرآن

الآية الأولى:

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾

عن **ابن عباس** قال:

«نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له **طُعْمَة بن أُبَيْرِق** من بني **ظَفَر بن الحارث** سرق درعًا من جارٍ له يُقال له **قَتادة بن النُّعمان**، وكانت الدِّرع في جرابٍ فيه دقيقٌ، فجعل الدقيق ينتثر من خَرْقٍ في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبَّأها عند رجُلٍ من اليهود، يُقال له **زيد بن السَّمين**، فالتمستُ الدِّرع عند طُعْمَة فحَلَف: بالله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه، فقال اليهودي دفعها إلي طُعْمة بن أُبَيْرِق، فجاء بنو ظَفْر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ، وسألوه أن يُجادِل عن صاحبهم، وقالوا له: إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهودي»[5].

(١) روح البيان ٩/ ٤١.
(٢) الاعتقاد ص ٥٩ – أبو بكر البيهقي – دار الآفاق الجديدة – بيروت.
(٣) تفسير السعدي ٥/ ٣٠٢.
(٤) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ١١١ ط مكتبة السوادي، جدة.
(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ٢/ ٢٨٣– دار طيبة للنشر والتوزيع.

ما عرف ربه المحيط من غابت عنه إحاطة الله به علمًا، فتتابعت معاصيه ومخازيه.



وهي آية تشير إلى أن ديننا دين مبادئ لا يجور على أعدائه لحساب أبنائه، والله هو (المحيط) الذي يعلم كل خديعة وكيد تستهدف قلب الحقائق وتزييفها.

ثم قال ربنا:

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾: وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء من الله والخشية، مع علمهم أنهم في حضرته بلا سترة لهم ولا غفلة عنهم، فليس لهم إلا الانكشاف الصريح والافتضاح بين يدي الرب المحيط.

ثم أمر الله نبيه بالاستغفار.. لماذا؟

قال القاضي **أبو محمد**:

«وهذا ليس بذنبٍ؛ لأن النبي ﷺ إنما دافع عن الظاهر، وهو يعتقد براءتهم، والمعنى: استغفر للمذنبين من أمتك والمتخاصمين في الباطل، لا أن تكون ذا جدال عنهم، فهذا حدُّك، ومحلك من الناس أن تسمع من المتداعيين وتقضي بنحو ما تسمع، وتستغفر للمذنب»[1].

الآية الثانية: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي الجميع ملكه وعبيده وخلقه، وهو المالك المتصرِّف فيهم المتفرِّد بتدبيرهم، فلا رادَّ لما قضى، ولا معقِّب لما حكم، ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾

إحاطة عِلْم كما قال الله: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]

وإحَاطَة قُدْرَة كما قال الله: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ [الفتح: ٢١].

إحاطة قهر وتسخير، وإحاطة وجود؛ لأن هذه الموجودات ليس وجودها من ذاتها ولا هي ابتدعت نفسها بل وجودها من الله الذي أوجدها.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾:

وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، وأحاط بصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته في جميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات، وقهر بعزه كل المخلوقات، ودانت له جميع الأشياء.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ١١٠ - ابن عطية الأندلسي - دار الكتب العلمية - بيروت.

عرف ربه المحيط من رأى قلبه إحاطته بالكافرين، وعلمه بمكرهم وسوء صنيعهم.

لكن لماذا جاءت هذه الآية بعد قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾؟!

وكأن المراد أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً لحاجة حاشاه، إذ له ملك السموات والأرض وما فيهن، وإنما **إبراهيم** عليه السلام عبدٌ خاضع له سبحانه.

الآية الثالثة: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾

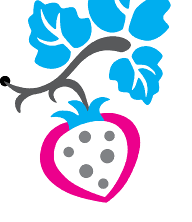
عالمٌ بأحوال الكافرين والمجرمين، وقادرٌ عليهم وهم لا يعجزونه، فالمراد: إحاطة علم وقدرة.

وتهديد لهم بأن الله سبحانه وتعالى المحيط بهم، وهم في غفلة عن هذا، ولهذا سيؤخذون دون أن يشعروا، لأنهم غافلون عن إحاطة الله بهم، وعن قدرته عليهم، وذاهلون عن عقابه المتربِّص للمجرمين الضالين، ودليل عدم نجاتهم من بأس الله: عدم إفلات المحاط به عن المحيط الذي سدَّ عليه الطريق وحاصره، بحيث لا يمكنه الهرب منه مهما فعل.

وإنما المراد:

أن الناس بالنسبة إلى عظمة المحيط كالخردلة، كما رُوِي عن **ابن عباس** رضي الله عنهما أنه قال:

«ما السموات السبع والأرضون السبع، وما فيهن وما بينهن في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم»(1).



ولله المثل الأعلى، فالواحد منا إذا كان يمتلك خردلة، فهو إن شاء قبضها وأحاطت بها قبضته، وإن شاء رماها، وهذا قمة الإحاطة منه بهذه البذرة المتناهية في الصغر، فكيف بإحاطة المحيط الذي لا يحيط بعظمته وصف الواصفين؟!

هكذا الخلق في قبضة الله المحيط بهم، وهو القادر على إهلاكهم بأهون الأسباب لو شاء.

الآية الرابعة: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

بمعنى جامعهم فمُنزلٌ بهم عقوبته، ودليله قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾: أي تهلكوا جميعًا، فلا يُغنيهم حذَرٌ من قدره، ولا يشِذُّ منهم واحدٌ عن إحاطته!

ويقال في اللغة: أُحِيط بفلان، إذا دنا هلاكه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢] أي: أصابه ما أهلكه وأفسده.

ولم يقل: والله محيط بهم، إشارة إلى أنَّ ما دهمهم من الأمور الهائلة والمهالك إنما هي بسبب كفرهم.

وقد حدثت إحاطة المحيط مع زعيم من زعماء الكفر، وهو **عكرمة بن أبي جهل**، لكنها كانت إحاطة

(١) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان ٢١/ ٣٢٤ بنحوه بإسناد حسن ظاهره الاتصال.

ما عرف ربه المحيط من اغترَّ بقوة الكافرين، ورأى قوة مكرهم دون مكر ربِّهم.

خير وطريقًا إلى هدايته، فقد كان **عكرمة** ممن أحلَّ النبي ﷺ دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة، ففرَّ وركب البحر، فأصابت المركب التي ركبها ريحٌ عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلِصوا، فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا ها هنا، فقال **عكرمة**:

«لئن لم ينجِّني في البحر إلا الإخلاص، ما ينجيني في البَرِّ غيره.. اللهم إنَّ لك عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه آتي محمدًا فأضع يدي في يده فلأجدنه عفوًّا كريمًا قال: فجاء فأسلم»(١).



ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملًا

١- دعاء من أحاط علمًا بما في سعادتك ونفعك

ولذا كان من أنفع الدعاء الذي علمناه النبي ﷺ كما علَّمه **لعائشة**:

«عليكِ بجُمَلِ الدعاء وجوامعه.. قولي:

اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله.. ما علمتُ منه وما لم أعلم..

وأعوذ بك من الشرِّ كله عاجله وآجله.. ما علمت منه وما لم أعلم»(٢).

قال **الحليمي**:

«هذا من جوامِع الْكَلم وَأحب الدُّعَاء إِلَى الله وأعجله إجابة»(٣).

وهو من عموم الدعاء الذي قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** عن فضله:

«فضل عموم الدعاء على خصوصه كفضل السماء على الأرض»(٤).

٢- دعاء الهموم والأحزان

حين يحيط بك الحزن والألم وتستشعر الوحدة والوجع، فمن الذي يستطيع وحده أن يفك عنك هذا الحصار المضروب عليك؟!

من يستطيع أن يحيط بما أحاط بك؟!

إنه الله **المحيط** علمًا بحالك، والمحيط قدرة على إغاثتك وإنجادك، فهو الذي أحاط بكل شيء علمًا

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٦٨، ١٦٩ وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.
(٢) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٠٤٧.
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٧٤.
(٤) بدائع الفوائد ١/ ٢١٦ - عبد الرؤوف المناوي.

عرف ربه المحيط من لم ييأس أبدًا من إحاطة الله بمن ظلمه وكادَ له.



وقدرة، واطلب في دعائك:

«اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزَن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال»[1].

والمحيط وحده هو القادر على أن يحيطك بلطفه، فيقلب همَّك فرجًا، وقلقك سكينة، وحزنك فرحًا، ولديه وحده المخرج لكل ما أحاط بك مما يسوؤك. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢].

قال **الربيع بن خثيم**:

«من كل شيءٍ ضاق على الناس»[2].

ولذا كان **أبو إسحاق الثعلبي** يُنشِد:

وإني لأدعو الله والأمر ضيِّقٌ ... عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرَّجا
ورُبَّ فتى سُدَّت عليه وجوهه ... أصاب له في دعوة الله مخرجا

واعلم أن المحيط إذا أراد تقوية العاجز أزال عنه كل موانع القدرة، ورزقه أسبابها.

وإذا أراد المحيط إسعاد الحزين أزال عنه موانع السعادة، وهيَّأ له أسبابها.

حديث للحفظ

وخذ مني هذا الحديث كي تحفظه، بل لتنقشه في ذاكرتك الإيمانية ونسيجك الروحي، فيتردد على لسانك تردد الأنفاس، حتى تغدو به أسعد الناس...

قال رسول الله ﷺ:

«ما أصاب أحدًا قطّ هَمٌّ ولا حَزَن، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتَك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحُزنَه، وأبدله مكانه فرَجًا».

فقيل: يا رسول الله ألا نتعلَّمها؟ فقال:

«بلى.. ينبغي لمن سمعها أن يتعلَّمها»[3].

(١) صحيح: رواه أحمد والشيخان عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٨٩.
(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٩/ ٣٣٧ - أبو إسحاق الثعلبي - ط دار إحياء التراث العربي.
(٣) صحيح: رواه أحمد والطبراني وابن حبان كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٩٩.

ما عرف ربه المحيط من أصابه اليأس من الفرَج إذا أوذِي ظُلمًا وعدوانًا.





فهل نفَّذت وصية نبيك، فحفِظتها، وتعلَّمتها؟

٣- لا تيأس بانتشار الظلم وقهر المؤمنين

لا تيأس

لا تيأس إن كادوا لك..

وآذوك بما يقولون..

واتهموك بما يفترون..

فالمحيط قد أحاطت قدرته بكل شيء، فاطلب منه باسمه المحيط أن ينصر الحق وأهل الحق.

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها ... ولا ظالمٌ إلا سيُبلى بِظالم

٤- استهِن بقوة المجرمين

لأن الله هو المحيط بهم وبكيدهم وقاهرهم، لكن هذه الإحاطة منه مشروطة بشرطين اثنين إذا حصلا ضمِنتَ إحاطة الله الحانية وحفظه الأكيد: التقوى والصبر.

قال سبحانه:

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ترى بعض الصالحين اليوم يحفظون كثيرًا من النصوص الشرعية، ويتمتعون بالفهم الصحيح لها مع حرصهم على الطاعات، ولكن إذا نزل بهم البلاء وجدتَ منهم ضعفًا وفتورًا ووَهَنًا.

وفي المقابل تجد بعضهم أهلَ جلَدٍ وصبرٍ ومثابرة، لكن مع اعتداء على حقوق إخوانهم وتساهلٍ في أداء الطاعات وشيء من سوء الخلُق.

فلا يصل هؤلاء ولا أولئك إلى عناية المحيط! ولا يتمتعون بكفايته وحمايته.

فمن انشغل اليوم بالعمل والبذل عن لوازم التقوى، فلن ينتصر ولو صبر.

ومن انشغل بالطاعة ولوازم التقوى دون أن يكون له صبرٌ على العقبات والمشقات، فلن ينتصر ولو اتقى.

ولا سبيل لانتصار المؤمن على الكيد الشيطاني الصادر اليوم من شياطين الإنس والجن إلا إذا جمع بين كنزي التقوى والصبر.

٥- مهابة الله والتوكُّل عليه:

ألا ترى أنَّ الله غالبًا ما يختم آيات الوعد والوعيد بهذا الاسم المحيط؟!

عرف ربه المحيط من أسَرَته إحاطة الله به رعاية وحفظًا في الشدائد والمشكلات.



فقال عزَّ وجلَّ بعد ذكر المعاندين والمنافقين:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

أي يُعِدُّ لكلِّ كيد منهم ما يبطله.

وقال مؤنسًا أولياءه: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]

قال **ابن عطية**:

«منعك يا محمد وحياطتك وحفظك، فالآية إخبار له بأنه محفوظٌ من الكفرة، آمن أن يُقتَل أو يُنال بمكروه عظيم، أي فلتبلِّغ رسالة ربك، ولا تتهيب أحدًا من المخلوقين»[1].

قال **البيضاوي**:

«أو أحاط بقريش بمعنى أهلكهم من أحاط بهم العدو، فهي بشارة بوقعة بدر، والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه»[2].

فإحاطتهم بالكافرين أكيدة، وهزيمتهم محققة؛ لأن الله أحاط بهم، فلا مهرب ولا مفرَّ.

ومع اقتصار المفسِّرين للإحاطة هنا على الكافرين الذين يعادون الرسالة، لكن إحاطة الله ليست واحدة، فلكلِّ فريقٍ إحاطةٌ تناسبه، فإحاطته إحاطة (رعاية وحفظ) للمؤمنين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، فلا ينالهم أذى، وإحاطته إحاطة (حصار) لا يُفلِتون منه ولا ينفكُّون عنه، وهذه خاصة للكافرين.



ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

أسألك باسمك المحيط..

أن تحيط بعذابك كل من طغى وتجبر على المسلمين، وأحاط بحصاره وعذابه عبادَك المستضعفين.

أسألك باسمك المحيط..

أن تحيط أهل الدين والصلاح بحفظك ورعايتك وتوفيقك وعنايتك.

أسألك باسمك المحيط..

وقد أحاطت بنا المحن، وتربَّصَت بنا الشياطين، واجتالتنا الأهواء.. أن تنجِّيَنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) تفسير ابن عطية ٣/ ٤٦٨.
(٢) تفسير البيضاوي ٣/ ٢٥٩.

ما عرف ربه المحيط من لم يستشعر إحاطة الله له ورعايته في المضائق والمُلِمّات.





أسألك باسمك المحيط..

وقد أحاط أعداء دينك بالمؤمنين، وسام الظالمون عبادك الصالحين ألوان العذاب المهين.. أن تجعل لنا مما نحن فيه فرجًا ومخرجًا يا أكرم الأكرمين، وتجعلنا ممن أنعمت عليه بِعُدَّة الصبر واليقين.

رابعًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

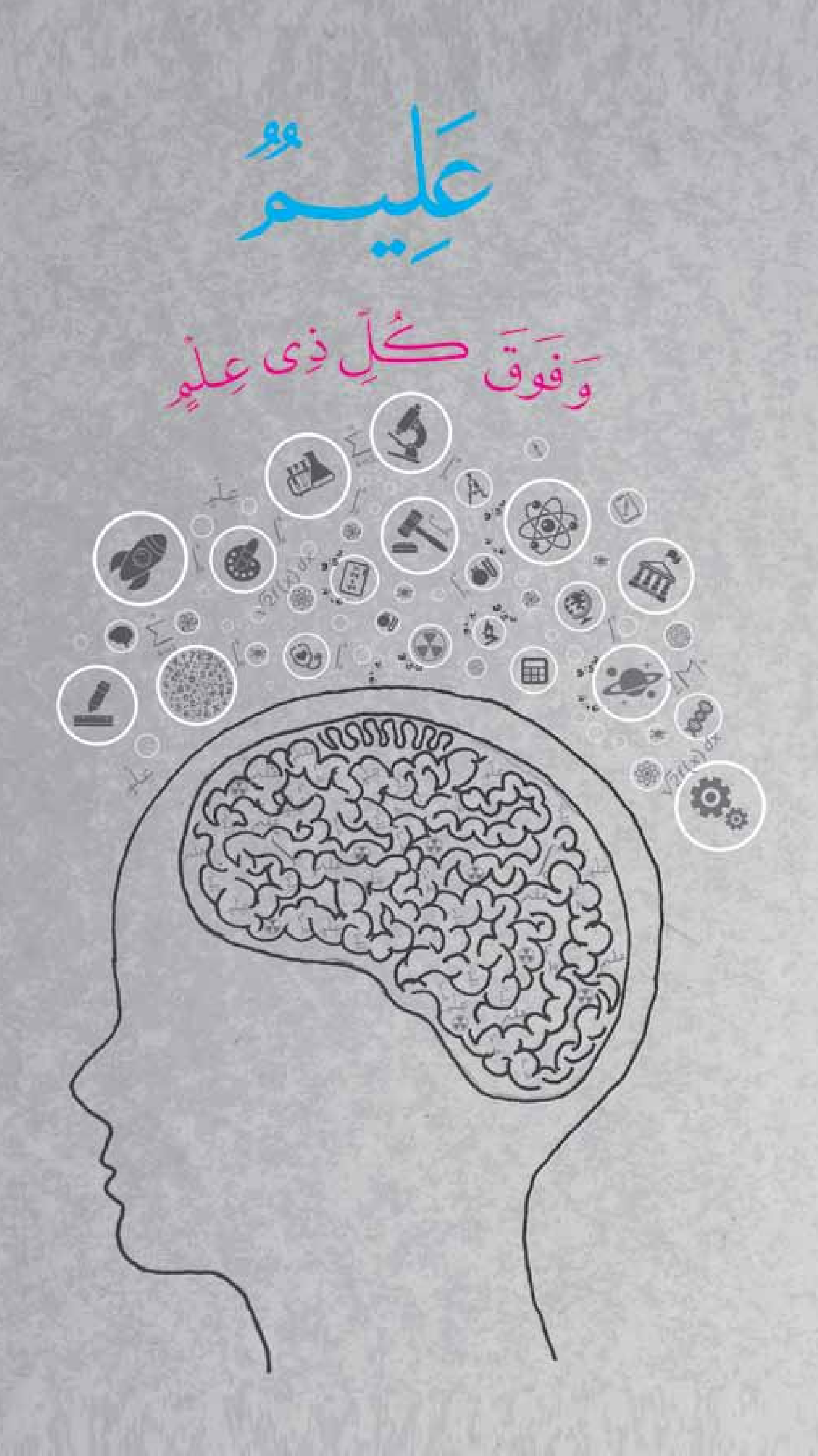
	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل تدعو الله باسم الله المحيط علمًا وقدرة بما فيه نفعك؟			
٢	هل تثق في إحاطة الله بمن عاداه وحارب أولياءه وأنهم في قبضته؟			
٣	هل تدعو بدعاء كشف الهمِّ الذي أوصاك حبيبك أن تتعلَّمه؟			
٤	هل تطمئن إلى أن الله محيط بك، فلا تقلق أو تضطرب عند الشدائد؟			
٥	هل تراجع نفسك في تحقيقك لتقوى الله والصبر حتى تنال إحاطته بك ورعايته لك؟			

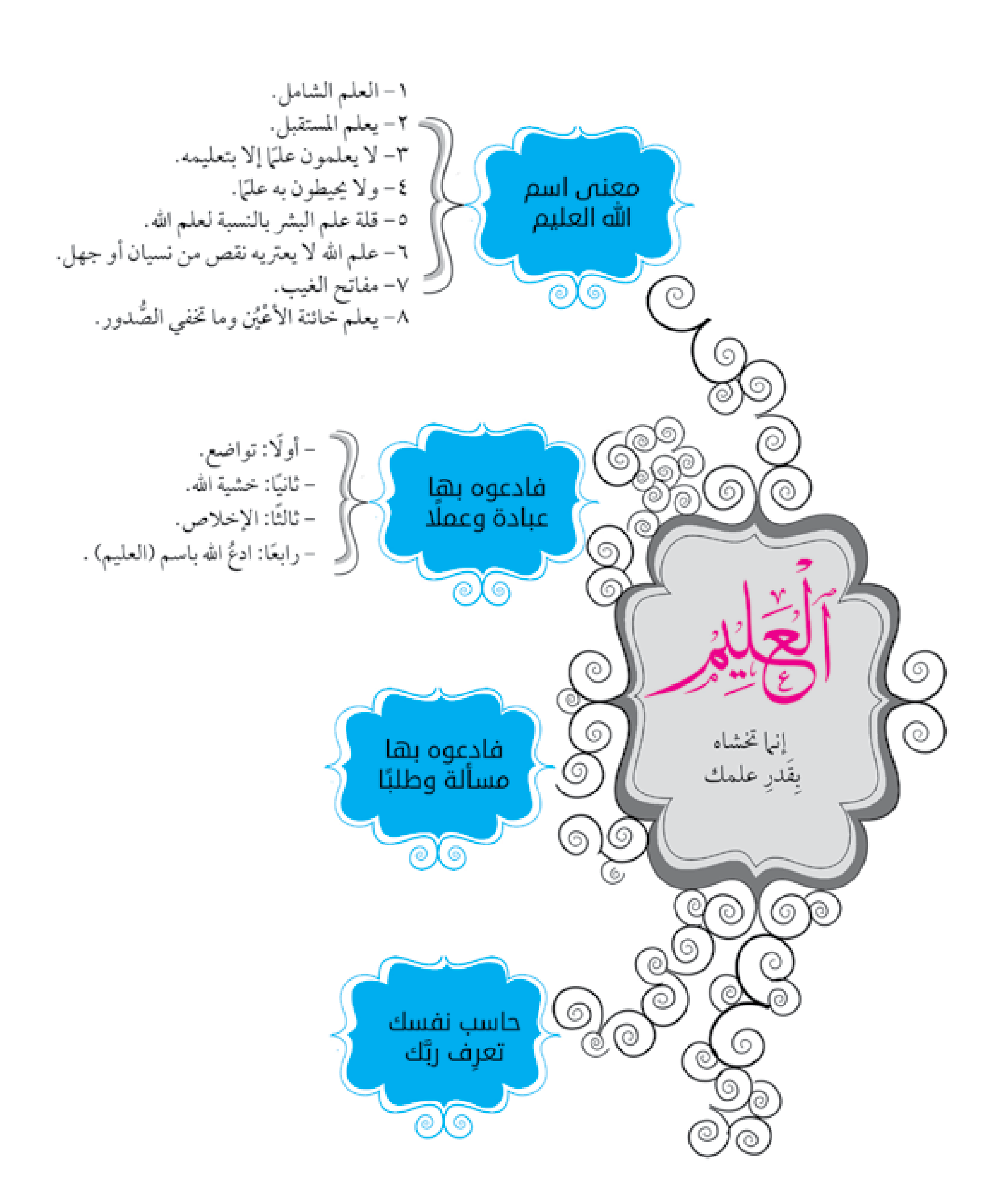
عرف ربه المحيط من اطمأن به وسكن قلبه وسط الشدائد.



إنما تخشاه بِقَدرِ علمك

صاحب العلم الكامل الشَّامل الذي لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان، فلا يغيب عنه علم شيء، ولا ينسى ما علمه.

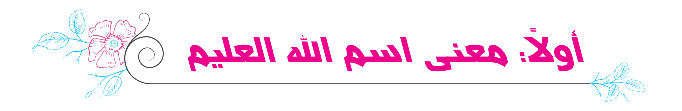

عَلِیمٌ
وَفَوقَ کُلِّ ذِی عِلمٍ


العليم
إنما تخشاه
بِقَدرِ علمك
معنى اسم
الله العليم
١- العلم الشامل.
٢- يعلم المستقبل.
٣- لا يعلمون علمًا إلا بتعليمه.
٤- ولا يحيطون به علمًا.
٥- قلة علم البشر بالنسبة لعلم الله.
٦- علم الله لا يعتريه نقص من نسيان أو جهل.
٧- مفاتح الغيب.
٨- يعلم خائنة الأَعْيُن وما تخفي الصُّدور.
فادعوه بها
عبادة وعملًا
- أولًا: تواضع.
- ثانيًا: خشية الله.
- ثالثًا: الإخلاص.
- رابعًا: ادعُ الله باسم (العليم).
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرف ربَّك



ورد اسمه العليم في القرآن ١٥٧ مرة، وفي هذا دليل على أهميته.

وهو متضمِّنٌ للعلم الكامل الشَّامل الذي لا يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان.



أولاً: معنى اسم الله العليم

الوجه الأول: العلم الشامل

أثبت الله عز وجل لنفسه العلم الكامل الشامل في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، وقوله: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾.

واستُعير فعل ﴿وَسِعَ﴾ ليفيد معنى الإحاطة التامة؛ لأن الإناء الواسع يحيط بأكثر الأشياء مما هو دونه.

ووسع علمه كل شيء بحيث لا يضيق علمه عن شيء، أي لا يقصر عن الاطلاع على أخفى الأشياء، كما أفاد ذلك لفظ ﴿كُلَّ﴾ المفيد للعموم.

ففي الآية إثبات علمه بكل الأشياء، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وكل المخلوقات، الحي منها والميت.. ما علمنا وما لم نعلم، فهو وحده العليم الذي يعلم كل شيء عن كل شيء.

٨ فوائد من آية عظيمة!

قال تعالى:

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾

١. ﴿وَعَسَىٰٓ﴾ توهم الشك، لكنها هنا للتحقيق، فهي من الله جزمٌ ويقين.

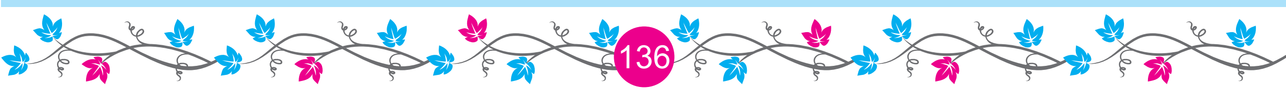
٢. إذا علمت أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، فلا تأمن أن يأتيك الضرر مما يسرُّك، ولا تيأس أن يأتيك النفع مما تكره، وتذكَّر قول **عمر بن الخطاب**: «ما أبالي على أيِّ حالٍ أصبحت! على ما أحبُّ، أم على ما أكره؛ ذلك بأني لا أدري الخير، فيما أحبُّ أم فيما أكره»[(١)].

٣. ليس أنفع لك من امتثال أمر ربك، والتسليم لقضائه، لأن عواقبه كلها خيرات وبركات ومسرات في الدنيا قبل الآخرة.

٤. أعظم ما يريح قلبك ويخلِّصك من الهموم: تفويض أمرك إلى من يعلم عواقب الأمور كلها، فتستريح من عناء التفكير في الاختيارات، وتفرِّغ قلبك من إرهاق التدابير والتقديرات، وترضى –بعد تمام السعي–

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي ١/ ٤٦٥ – ط دار ابن كثير.

عرف ربه العليم من سأله أن يعلّمه نافع العلم الديني والدنيوي.



باختيار الله لك.

٥. لا تقترح على ربك، ولا تعترض على أمره أو قضائه، ولا تختر لنفسك بعد اختياره، فلعل هلاكك في اختيارك وأنت لا تشعر.

٦. هنا خير عزاءٍ للنفوس المكروبة، فليس كل ما تستقبله من مكروه شرا لا خير فيه، وليس كل ما تستقبله مما تحب خيرا لا شرَّ معه، بل قد تركب المكروه فيحملك إلى مواطن الخير، وتركب المحبوب إلى مهاوى الهلاك! والأمور بخواتيمها، والخواتيم محجوبة وراء أحجبة الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله.

٧. «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ».

وحذف المفعول به ليفيد عموم علم الله وسعته مع عموم جهلنا وضعف معرفتنا.

٨. بادِر بتنفيذ ما أمر الله به، فلم يأمرك إلا بما فيه نفعك، وارضَ بقضائه، فلم يقضِ إلا ما فيه خيرك، وسايِر أقداره الحلوة والمُرَّة، سرَّتك أو ساءتك، فالخير كله في انتظارك.

الوجه الثاني: يعلم المستقبل

قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]

أي: ما تقع من مصيبة في الأرض من قحط أو طوفان أو زلازل وغير ذلك، ولا في أنفسكم من الأمراض والمصائب والبلاء، إلا كان ذلك مكتوبًا في اللوح المحفوظ قبل أن نخلق الخليقة، كما جاء في حديث **عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كتَب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»(١).

قال العليم سبحانه عن دقة علمه:

﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

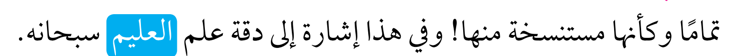
ولا يكون النسخ إلا من كتاب قد فُرِغ منه، ومعنى نستنسخ أي يأمر الله الملائكة الحفظة بالنسخ، فإسناد فعل الاستنتاخ إلى الله مجازي.

وحقيقة النسخ أن تنقل من كتاب يُنظَر فيه، فإن أعمال العباد من أقوال وأفعال ونيات تكتبها الملائكة وتقيِّدها، ولو تم مقارنة الأعمال التي سجَّلتها الملائكة على ابن آدم مع ما في اللوح المحفوظ لوُجِدت متطابقة

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ٤٤٧٤





تمامًا وكأنها مستنسخة منها! وفي هذا إشارة إلى دقة علم **العليم** سبحانه.

ومن المشهور عند العوام: المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين.

الوجه الثالث: لا يعلمون علمًا إلا بتعليمه

كل علمٍ شرعي أو دنيوي لا يصل إليه الخلق إلا إذا أذن **العليم** للناس أن يعلموه، كما قالت الملائكة:

﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]

وقال سبحانه عن آدم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]

وقال مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال عن **يوسف** ﷺ: ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]

قال عن **داود** ﷺ: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٨٠]

وقال عن **الخضر** ﷺ: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين أن أصل ومنشأ كل علم إنما هو من **العليم** جل جلاله.. دينيًّا كان أو دنيويًّا.

الوجه الرابع: ولا يحيطون به علمًا

الخلق لا يحيطون علمًا بالخالق، أي لا يعلمون شيئًا من ذاته وصفاته إلا ما أطلعهم الله سبحانه عليه، عن طريق رسله وكتبه، فكل ما خطر ببالك، فالله عز وجل بخلاف ذلك.

الوجه الخامس: قلة علم البشر بالنسبة لعلم الله

ومع كثرة المعلومات التي تعلمها بنو آدم وتشعبها، إلا أنها قليلة جدًّا بالنسبة لعلم (العليم) الواسع، وقد قال الله سبحانه مخاطبًا نبيه، وآمرًا إياه أن يجيب اليهود حين سألوه عن الروح:

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]

وفي قصة **الخضر** و**موسى** عليهما الصلاة والسلام علَّم **الخضر موسى** بواقعة عملية كيف هي سعة علم **العليم**، (فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين. قال له **الخضر**: يا **موسى**، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر)[1].

---

(١) صحيح: رواه البخاري عن أبي بن كعب كما في صحيح البخاري رقم: ٣٤٠١ - كتاب أحاديث الأنبياء - باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام.

عرف ربه العليم من رآه عالمًا بخفايا صدره وخبايا نفسه، فطهَّر باطنه كظاهره.

قال أبو حامد الغزالي:

«بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة أو بعوضة، لم يطَّلعوا على عُشْر عُشَيْر ذلك»[(١)].

ونحن اليوم نعيش حالة انفجار معرفي هائل، فإن مخزون المعرفة يتضاعف بصورة هائلة، حتى أن هناك قانون يسمى قانون تضاعف المعرفة وضعه **Fuller** عام ١٩٨٢ في كتابه **Critical Path**، ولاحَظَ فيه أن المعرفة حتى عام ١٩٠٠ للميلاد كانت تتضاعف كل قرن، ولكنها منذ عام ١٩٨٢ (حين كتب كتابه) أصبحت تتضاعف مرة كل ١٨ شهر تقريبًا، فماذا عنها اليوم؟!

وهذا العلم الذي نغرق في بحاره الآن هو مقدار العلم الذي أذن به (العليم) في أن يصل لنا.

الوجه السادس: علم الله لا يعتريه نقص من نسيان أو جهل

أو عِلم ببعض أمور الخلق دون بعضها، وليس له ابتداء، فهو علم ثابت لا يتغير ولا يزداد ولا ينقص، بعكس علم المخلوق.

وهو مع هذا سبحانه لا يشغله علم عن علم، كما لا يشغله سمع عن سمع، وأنَّى لمخلوق مثل هذه الصفات، فهم يولدون جهلة لا يعلمون شيئًا، ثم يتعلمون شيئًا فشيئًا ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]

فعلمهم يسبقه الجهل، والله سبحانه كان وما زال عليمًا لم يسبق علمه جهل.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الوجه السابع: مفاتح الغيب

قال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]

وذكر منها خمسة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]

قال **الألوسي**: «وما في الإخبار يحمل على بيان البعض المهم لا على دعوى الحصر، إذ لا شبهة في أن ما عدا الخمس من المغيبات لا يعلمه إلا الله تعالى»[(٢)].

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٠٤.
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤/ ١٦٢ - شهاب الدين الألوسي- دار الكتب العلمية.

ما عرف ربه العليم من أضمر السوء وأسرَّ الحسد والضغينة والكبر وغيرها من أمراض القلوب.





فعلم الغيب لا شك أنه أعظم وأوسع من أن يُحصَر في هذه الخمس فقط.

ومن زعم أن أحدًا يعلم الغيب غير الله سبحانه فقد افترى على الله كذبًا.

عن **عائشة** رضي الله عنها كما في صحيح **مسلم** قالت:

«ومن زعم أنه (النبي ﷺ) يُخبِر بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]»[1].

والدليل العقلي على أن النبي ﷺ لم يعلم الغيب قد جاء ذكره في كتاب الله في قوله:

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾:

وفي (الغيب) أربعة أقوال:

«أحدها: لو كنت أعلم بجدب الأرض وقحط المطر قبل كون ذلك لهيَّأت لسنة الجدب ما يكفيها، قاله **أبو صالح عن ابن عباس**.

والثاني: لو كنت أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثرت من الخير، قاله **الضحاك** عن **ابن عباس**.

والثالث: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح، قاله **مجاهد**.

والرابع: لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأَجبت عنه. وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ أي: لم يَلْحَقْني تكذيبٌ، قاله الزجاج»[2].

وهذا مشاهَدٌ في حياته، فقد أوذي ﷺ في دعوته، وحاول المشركون قتله مرارًا، وكسروا رباعيته وشجوا رأسه يوم أُحِد، وحاصروه حصارًا شديدًا مع أصحابه في الخندق، وتآمر عليه اليهود بِشاةٍ مسمومة من يهودية في خيبر، وكل هذه أحداث تدل على أنه لم يكن يعلم الغيب، فيتقي ما مسَّه من سوء.

الوجه الثامن: يعلم خائنة الأعيُن وما تخفي الصُّدور

وخائِنة الأعين إشارة إلى أن الله عالم بجميع أفعال الجوارح، وقوله ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ دلالة على أنه عالمٌ بجميع أفعال القلوب.

فعلم العليم يحيط بأخفى أفعال الظاهر ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ من نظرة متلصصة وغمز واستراق نظر، ويحيط كذلك بأخفى أفعال الباطن ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، وهي أعمال القلوب والنيات.

وإذا كانت أخفى أعمال الظاهر معلومة لله تعالى، فعلمه بسائر أفعال الجوارح يكون أولى، (والحاكم إذا

(١) صحيح: المسند الصحيح المختصر رقم: ٢٨٧ - الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٢) زاد المسير في علم التفسير ٢/ ١٧٦ - جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي - ط دار الكتاب العربي.

عرف ربه العليم من تواضع بعلمه، ولم يفخر به على أحد.

بلغ في العلم هذا الحد وجب أن يكون خوف المجرم منه أشدُّ وأقوى)[١].

وهو ما يجعلك حريصًا على تطهير باطنك كما سعيتَ في تطهير ظاهرك، لأن العليم يستوي عنده الباطن والظاهر، وقد لمح هذا **أبو حامد الغزالي**، فاستدلَّ به على تحريم سوء الظن وقال:

«اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدِّث غيرك بلسانك بمساوىء الغير، فليس لك أن تُحِّدث نفسك وتسيء الظن بأخيك، ولستُ أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه»[٢].

وفي معنى آخر لخائنة الأعين ذهب **الطاهر بن عاشور** إلى أن (المراد ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: النظرة المقصود منها إشعار المنظور إليه بما يسوء استهزاءً به أو إغراء به.

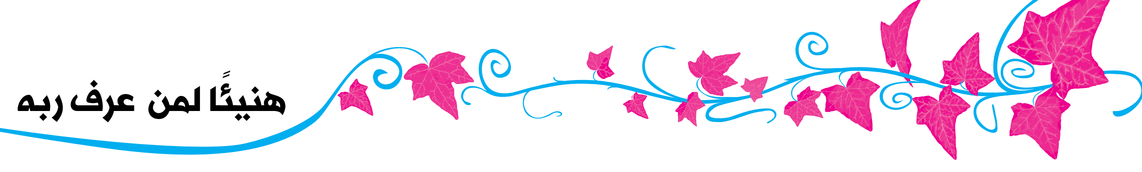
وإطلاق الخائنة بمعنى الخيانة على هذه النظرة استعارة مكنية، شبَّه الجليس بالحليف في أنه لما جلس إليك أو جلست إليه، فكأنه عاهدك على السلامة، ألا ترى أن المجالسة يتقدمها السلام وهو في الأصل إنباء بالمسالمة، فإذا نظرتَ إلى آخر غيركما نظرًا خفيًّا لإشارة إلى ما لا يُرضي الجليس من استهزاء أو إغراء، فكأنك نقضت العهد المدخول عليه بينكما، فإطلاق الخيانة على ذلك تفظيع له، ولذلك قال النبي ﷺ: «ما يكون لنبي أن تكون له خائنة أعين»)[٣].

وعبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي كان أخًا **لعثمان بن عثمان** رضي الله عنه من الرضاعة، وكان كاتبًا لرسول الله ﷺ، فلما نزلت آية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]، سمعها **عبد الله**، فانبهر بأطوار خلق الإنسان، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾، فقال له رسول الله: اكتبها فقد نزلت، فاغْترَّ الرجل بنفسه وقال: إن كان **محمدٌ** صادقًا، لقد أوحي إليَّ كما أوحي إليه! وإن كان كاذبًا لقد قلتُ كما قال، فأهدَرَ رسول الله ﷺ دمه.

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة فرَّ **عبد الله** إلى **عثمان**، فجاء به **عثمان** حتى أوقفه على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، بايع **عبد الله**، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت، فيقتله؟!»، فقالوا: يا رسول الله.. هلا أومأت إلينا؟ فقال: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين»[٤].

(١) روح البيان ٨/ ١٧١.
(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ١٥٠.
(٣) التحرير والتنوير ٢٤/ ١١٦.
(٤) صحيح السيرة النبوية ص ٥٢٨.

ما عرف ربه العليم من تباهى بدرجاته العلمية ومستواه الثقافي، وازدرى من حوله.



قال ابن هشام:

«وقد حَسُنَ إسلامه بعد ذلك، وولاه **عمر** بعض أعماله، ثم ولاه **عثمان**»[1].

وأكرمه الله بخاتمة من أحلى الخواتيم، فقد ارتقى أعالي الدرجات بعد عودته إلى واحة الإيمان.

قال ابن كثير:

«ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته»[2].



ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- تواضَع

مهما بلغت من العلم، فهو قليل، وقد مر بك ما جاء في قصة **موسى** عليه السلام والخضر، فإياك أن تتكبَّر بعلمك..

والحل: أن تنظر إلى من هو أعلى منك علمًا، فتعلم قدرك الحقيقي كما حدث مع موسى.

والواجب على مَن سُئل عن علم لا يعلمه أن يقول: الله أعلم، ولا أدري.

وهذا القدوة والقمة.. رسول الله ﷺ.. لا يعلم إلا ما علَّمه ربه، ويصرِّح بذلك..

سأل رجلٌ رسول الله ﷺ: أيُّ البقاع شرٌّ؟

قال: لا أدري حتى أسأل **جبريل**، فسأل **جبريل**، فجاء فقال:

«خير البقاع المساجد، وشرُّها الأسواق»[3].

ولذا كان **عليٌّ** رضي الله عنه يقول:

«وأبردها على الكبد إذا سُئلتُ عما لا أعلم أن أقول: الله أعلم»[4].

وذكر **الهيثم بن جميل**:

«شهِدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري»[5].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٥٨.
(٢) البداية والنهاية ٤/ ٢٩٧ - ط دار المعرفة.
(٣) حسن: رواه ابن حبان عن ابن عمر رقم: ١٥٩٩، وانظر صحيح موارد الظمآن رقم: ٢٥٨ وصحيح الترغيب والترهيب رقم: ٣٢٥.
(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٢٤٥، ٢٤٦ - ط مؤسسة الرسالة.
(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٧٧.

ولذا علَّمَنا **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما وهو العالم البحر الحبر وترجمان القرآن:

«إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله»(١).

وهي آفة بشرية معروفة، فقد يقدر الإنسان على الصبر عن لذة الحمد، ولكنه لا يقدر على الصبر على ألم الذم، ولذلك يترك السؤال عن علمٍ يحتاج إليه خوفًا من أن يُتَّهَم بالجهل، لكنه قد يُفتي بغير علمٍ -مع جهله- حذرًا من الذم.

٢- خشية الله

قال النبي ﷺ: **«والله، إني لأعلمكم بالله عز وجل، وأتقاكم له قلبًا»(٢).**

فلأن النبي ﷺ هو أكثر الخلق علمًا بالله تعالى: كان الأكثر تقوى له وخشية، فكلما ازددت علمًا ازدادت تقواك، وتعاظمت خشيتك لله في علانيتك ونجواك، ومن هنا عرَّف **الربيع بن أنس** العالم الحقيقي، فقال:

«من لم يخش الله فليس بِعالِم»(٣).

والأَوْلى والأشرف هو قول ربنا:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾

أي إنما يخاف الله ويخشاه العلماء؛ لأنهم الأعلم بالله وحكمته في كونه، فكلما تكشَّفَتْ لهم حقائق الكون وأسراره ازدادوا لله خشية، ومنه مهابة وإجلالاً، وكفى بهذه الآية مدحًا للعلماء، حيث قصر الله خشيته عليهم.

وينسب للإمام **الشافعي**:

على قدرِ علم المرء يعظم خوفه ... فلا عالـمٌ إلا مـن الله خائـف

فـآمِـن مكـر الله بالله جاهـل ... وخائف مكـر الله بالله عــارف

٣- الإخلاص



يعلم **العليم** خبايا نفسك وخفايا قلبك، فكل ما خالط نيتك كحب الظهور، أو التفوق على الأقران، أو جعل العمل الصالح سلمًا لغرض دنيوي من جاه أو مال أو تعظيم أو سمعة أو حب محمدة أو صرف وجوه الناس إليه، كل هذه وأمثالها تتساقط من قلبك إذا أيقنت بعلم العليم بحالك، وكشفه لقلبك وأسرارك.

(١) أدب الدنيا والدين ص ٧٤ - ط دار مكتبة الحياة.
(٢) صحيح: رواه البخاري وأحمد عن عائشة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٥٠٢، واللفظ لأحمد.
(٣) الكبائر للذهبي ص ١٤٦ - ط دار الندوة الجديدة - بيروت.

ما عرف ربه العليم من فسدت نواياه، ولم يستشعر أن الله مطلع عليه عليمٌ به.





قال **الوليد بن مسلم**:

سألتُ **الأوزاعيَّ**، **وسعيدَ بن عبد العزيز**، **وابن جريج** رحمهم الله: لِمَ طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي، غير أن **ابن جريج** فإنه قال:

«طلبتُه للناس».

قال الإمام **الذهبي**:

«ما أحسنَ الصدق! واليوم تسأل الفقيه الغبي: لِمَ طلبت العلم؟ فيبادر ويقول: طلبته لله، ويكذب إنما طلبه للدنيا، ويا قِلَّةَ ما عرف منه»[١].

وإذا قبل العالم متاع الدنيا ثمنًا لعلمه زال عنه علمه، وإن ظل في الكتب والدروس، لكن لم يبق منه الكثير في النفوس، فإن العلم بركته من صلاح صاحبه، وتأثيره من تأثر حامله به، وقد حكى **سفيان الثوري** نقصان بركة العلم وقلة تأثيره بقبول عطايا الأمراء، فقال ﵀:

«كنت أوتيتُ فهم القرآن، فلما قبلت الصُّرة، سُلِبتُه»[٢].

وسفيان الثوري هذا هو الذي قال عنه **بشر بن الحارث الحافي**:

«**سفيان** في زمانه **كأبي بكر وعمر** في زمانهما»[٣].

٤- ادعُ الله باسم (العليم)

فاسأل ربك تبارك وتعالى باسمه **العليم**؛ حتى يفتح عليك بالعلم، ويَمُنَّ عليك بمعرفة ما خفيَ عنك من الخير؛ لأنه ليس كل ما خَفِيَ عنك فيه الخير.

«اللَّهُمَّ عَلِّمني الْكِتابَ والحِكْمة، وفَقِّهْني في الدِّين»[٤].

وفي الدعاء النبوي:

«اللَّهم انْفَعْني بما عَلَّمتني، وعَلِّمني ما ينفعني، وزِدْني علمًا»[٥].

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٨ - الإمام الذهبي - ط مؤسسة الرسالة.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص١٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٩٣.
(٤) مستفاد من أدعية النبي ﷺ لابن عباس ﵄، أخرجها البخاريّ، كتاب العلم، باب: قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ» برقم: ٧٥. وفي كتاب فضائل الصحابة، باب: ذكر ابن عباس ﵄ برقم: ٣٧٥٦.. وكذلك في كتاب الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء برقم: ١٤٣. جميعها عن ابن عباس ﵄.
(٥) جزء من حديث أخرجه الترمذي - وحَسَّنه - كتاب: الدعوات، باب سبق الْمُفرِّدون، برقم: ٣٥٩٩، وصححه الألباني كما في صحيح الترمذي رقم: ٢٨٤٥.



ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

أسألك باسمك العليم..

علِّمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني، وزدني علمًا..

أسألك باسمك العليم..

ارزقني بعلمي خشيتك، ورعاية حدودك، واجتناب محارمك.

أسألك باسمك العليم..

ارزقنا من العلم ما نزداد لك به خشية، فيكون حجة لنا لا علينا.

رابعًا: حاسِب نفسك تعرِف ربّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تسعى باستمرار في زيادة درجاتك العلمية وشهاداتك الجامعية؟			
٢	هل تفتخر بدرجاتك العلمية وتتباهى بها على غيرك؟			
٣	هل تزداد بالعلم الشرعي أو الدنيوي قُربًا من الله؟			
٤	هل تراقب (العليم) بما في ثنايا الصدور في كل نواياك؟			
٥	هل تدعو الله دومًا أن يزيدك علمًا، فيزيدك له خشية ومنه قربًا؟			

ما عرف ربه العليم من عصاه في سِرِّه غافلاً عن مراقبته ونظره.



أَلِظّوا يا ذا الجلال والإكرام

ذو الجلال: صاحب العظمة والتنزه عما لا يليق، والجَلَل: الأمر العظيم، والإكرام: غاية الإحسان.



الإنسان

الجلال

الملائكة

السماوات

الأرض

الأنهار

الخلق

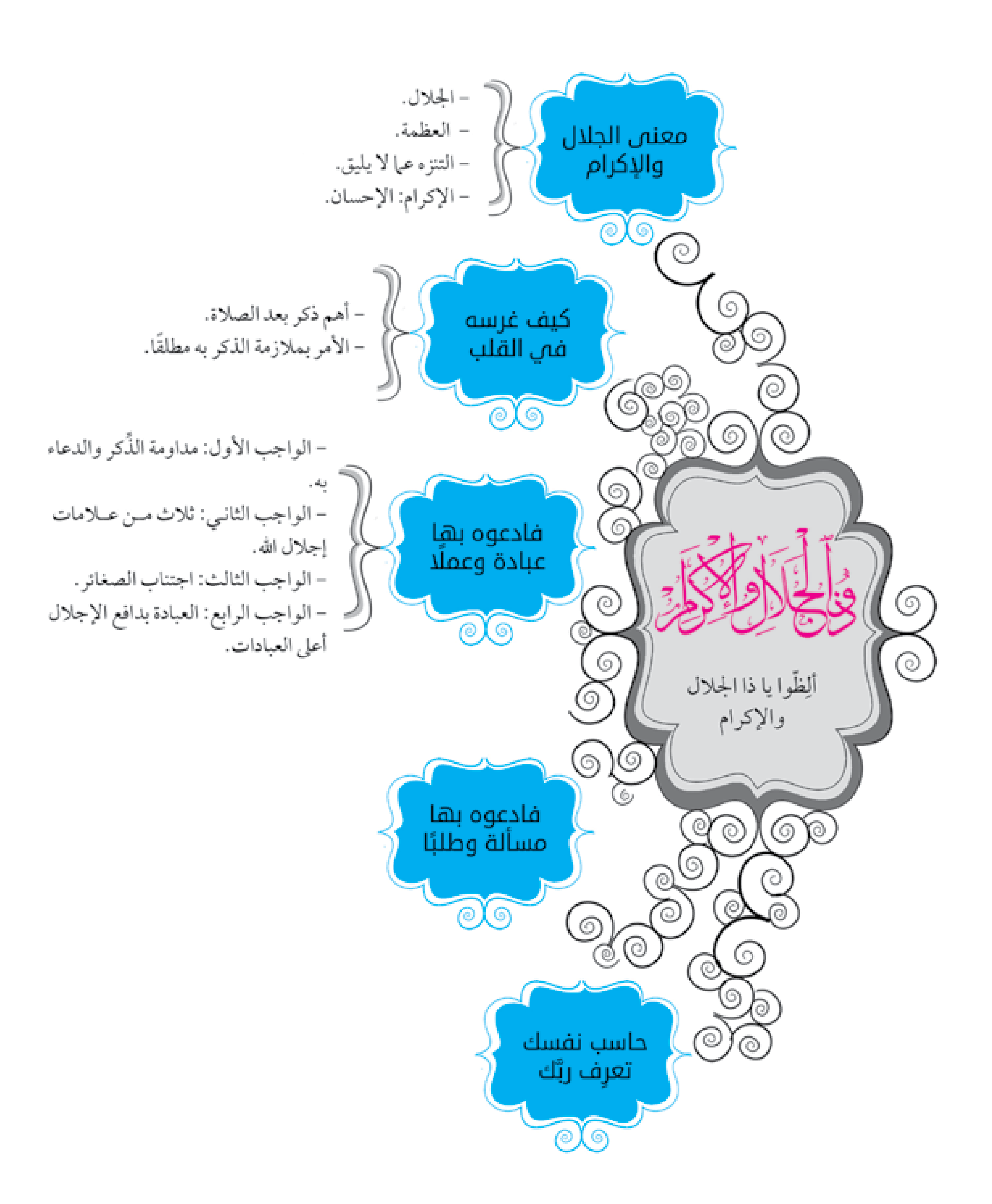
الأشجار

الجن

البحار

الجبال

المحيطات


وذا الجلال والإكرام
ألِظّوا يا ذا الجلال والإكرام
معنى الجلال والإكرام
- الجلال.
- العظمة.
- التنزه عما لا يليق.
- الإكرام: الإحسان.
كيف غرسه في القلب
- أهم ذكر بعد الصلاة.
- الأمر بملازمة الذكر به مطلقًا.
فادعوه بها عبادة وعملًا
- الواجب الأول: مداومة الذِّكر والدعاء به.
- الواجب الثاني: ثلاث من علامات إجلال الله.
- الواجب الثالث: اجتناب الصغائر.
- الواجب الرابع: العبادة بدافع الإجلال أعلى العبادات.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرِف ربّك



أولاً: معنى الجلال والإكرام

ذو الجلال:

الجلال له معنيان:

المعنى الأول: العظَمة

يُقال: جلَّ الشيء أي عظُم، وأجللته أي عظَّمته، والأمر الجَلل: الأمر العظيم، ولا يُقال الجلال إلا لله عزَّ وجَلَّ.

وذو الجلال هو المستحق للإجلال والتعظيم وسائر صفات المدح، بل لا شرَف ولا كمال إلَّا وهو له.

المعنى الثاني: التَّنزُّه عمَّا لا يليق

ومنه قولك: أنا أُجِلُّك عن كذا، أي: أنزِّهك وأرفعك عن هذا المستوى، فلا يليق بك أن تنزل إلى المستوى الرديء، وتفعل هذا القبيح، فأنت أجَلُّ من ذلك.

والإكرام:

هو الإِحسان، فهو سبحانه المُكرِم لأوليائه بالإنعام عليهم والإحسان إليهم، ولا كرامة ولا مَكْرُمة إلا وهي منه.

لكن.. هل هناك فارق بين الإكرام والإنعام؟!

فارق شاسع، فليس كل من أنعم الله عليه قد أكرمه، فقد يُنعم الله على العبد استدراجًا لإهلاكه، لكن كل من أكرمه الله قد أنعم عليه.

وقد قالوا:

«فالجلال في ذاته، والإِكرام منه فائِضٌ على مخلوقاته»[1].

يعني أن الجلال صفة ذاته، والإكرام صفة أفعاله.

وقد رأى الإمام **الرازي** أن هذا الاسم ذو الجلال والإكرام يجمع في طياته جميع الأسماء الحسنى، فقال رحمه الله:

«هذه الكلمة دالة على جميع الصفات المعتبرة في الإلهية.. أما الجلال فهو إشارة إلى السُّلوب، وأما الإكرام

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/ ١٥٨٥ - علي القاري - دار الفكر.

عرف ربه ذا الجلال والإكرام من نفَّذ وصية نبيه بالإكثار وملازمة الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام.

فهو إشارة إلى الإضافات»[١].

والسُّلوب: جمع سلب، والسلب: هو النفي: نفي النقائص، فهي من أسباب وشروط الجلال؛ لأن فيها تنزيه الله عن كل النقائص، فهو منزَّه عن العجز، وهو منزَّه عن العيوب، فهو الموصوف بكل صفات القدرة والكمال، وبذا يحصل الجلال.

لكن ما أثر هاتين الصفتين على القلب؟

قال **الزروقي**:

«من عرف أنه ذو الجلال والإكرام هابه لمكان الجلال، وأنِس به لمكان الإكرام، فكان بين خوف ورجاء، وهو اسم الله الأعظم»[٢].

ومن عرف جلال الله عز وجل فقد حصَّل أحد رُكني تعظيمه، فإن ركني التعظيم: معرفة جلال الله، ومعرفة حقارة النفس وجهلها وعجزها وضعفها، ويتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار، وهو ما يُعبَّر عنه بالتعظيم.



ثانيًا: كيف غرسه في القلب

أهم ذكر بعد الصلاة

واسمع حديث **عائشة**:

«كان إذا سلَّم لم يقعد إلا بمقدار ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[٣].

وهي خمس جرعات يومية لازمة لإنعاش القلب.

والأمر بملازمة الذكر به مطلقًا

وأمرنا النبي ﷺ بالإكثار منه وملازمته سائر الأوقات والأحوال:

«ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام»[٤].

والإلظاظُ في اللغة: الملازَمةُ له والمثابَرةُ عليه والإكثارُ منه؛ ويقال: الإلظاظ: الإلحاح؛ وذلك حتى

(١) لوامع البينات ص ١٠٠ – ط دار الكتاب العربي.
(٢) روح البيان ٩/ ٣١٥.
(٣) صحيح: رواه مسلم وأبوداود وابن ماجة والترمذي والنسائي عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٧٤٠.
(٤) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، وأحمد والنسائي والحاكم عن ربيعة بن عامر كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٥٠.



يستمدَّ القلبُ من هذا الذكر (جلال الله)، ويستقر في النَّفْس تعظيمه ومهابته..

وقد أورد الإمام **القرطبي** عن **سعيد المقبري** أنَّ رجلاً ألَحَّ فجعل يقول: اللهم يا ذا الجلال والإكرام، اللهم يا ذا الجلال والإكرام، فنودي: إني قد سمعت، فما حاجتك؟(١).

ويكفيه شرفًا أنه قد يكون اسم الله الأعظم.

سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنّان، بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ:

«لقد سأَلتَ الله باسم الله الأعظَم: الذي إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سُئل به أَعْطَى»(٢).

ولا أحد يعلم على وجه التعيين ما هو اسم الله الأعظم، ولكن هذ الدعاء يحويه، وهو ترغيب غير مباشر للإكثار من هذا الذكر رجاء الإجابة ولنيل العطاء، فاحفظه وحافظ عليه.



ثالثًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

قال **ابن القيم**:

«وكلُّ قولٍ فلصدقه وكذبه شاهدٌ من حال قائله»(٣).

وبما أنك تردِّد هذ الاسم **ذو الجلال والإكرام** أكثر من خمس مرات في اليوم والليلة، فلك أن تسأل نفسك: ماذا غَرَس فيك؟ وما علامة صدقك في الدعاء به؟

هذه هي العلامات:

١- مداومة الذِّكر والدعاء به

لابد بعد اليوم أن يشكِّل هذا الاسم في دعائك وأذكارك كتلة أساسية غير منسية، وتنوي بذكرك أنك تبني به صرح الإجلال في قلبك.

فتقول بعد كل صلاة: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام.

وتكثر من الدعاء به كما أوصاك نبيك: «أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام»، فتقول في سؤالك حاجاتك: يا ذا الجلال والإكرام.. افعل لي كذا، ووفِّقني لكذا يا ذا الجلال والإكرام.

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٦ – ط دار الكتب المصرية – القاهرة.
(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن ماجة وأحمد عن أنس بن مالك كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤١١.
(٣) مدارج السالكين ١/ ٤٣٤، ٤٣٥ – ابن قيم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت.

عرف ربَّه ذا الجلال والإكرام من أجلَّ ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن والسلطان العادل.

وتدعو الله بالدعاء الذي حوى اسمه الأعظم كما مرَّ بك..

والربط في الدعاء بين هاتين الصفتين الجلال والإكرام يغرس في القلب شعورًا رائعًا.

فحين تدعو ذا الجلال، وهو من تنزَّه عن كل نقص، فإنك تشعر بالثقة والتوكل على من لا يخيب أبدًا من استند إليه.

وحين تدعو ذا الإكرام، فإنك واثقٌ في محبته وإرادته لك الخير، مما يفتح أمامك بوَّابات الرجاء على مصراعيها، ويُرجِّح في قلبك كفة حسن الظن بالله.

ومن جمع بين صدق التوكل وحسن الظن بالله فقد قطع أعظم شوط في طريق إجابة الدعاء.

٢- ثلاث من علامات إجلال الله

هدف ذكرك الله بهذا الاسم هو غرس إجلال الله في قلبك، فهل استقر في القلب إجلال الله؟

كيف تقيس وصولك لهدفك من عدمه؟

لقد أعانك النبي ﷺ بثلاثة مقاييس تعرف بها الجواب، فقد كرَّم الله تعالى خلقَه بأن أشركهم في جلاله، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ إجلال الله: إكرامَ ذي الشَّيْبَة المسلم، وحامل القرآن غَيْر الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السُّلْطان المُقسِط»[١].

هؤلاء الثلاثة من أحب الناس إلى الله، وأنت -كمؤمن- تُحِب من أحب الله، وتكره من أبغض، وهذا من إجلالك لربك، وإجلالك لهؤلاء هو إجلالٌ لمن أحبهم، وفي هذا الحديث دلالتان هامتان:

أن محتوى قلبك المستتر عن عيون الخلق بما يحويه من إجلال الله يُستَدل عليه من أفعالك الظاهرة، فظاهرك ما هو إلا انعكاسٌ لباطنك.

شمول الدين، وأن معاملتك مع الخالق لابد أن يظهر أثرها في التعامل مع الخلق، فالمجتمع محراب المؤمن، وليس المسجد صومعة تعبد معزولة عن حياة الناس، بل مركز تزود وانطلاق في هذه الحياة.

٣- اجتناب الصغائر

قال أنس رضي الله عنه لجموع التابعين:

«إنَّكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشَّعر، إن كنا لنعدُّها على عهد النبيِّ ﷺ من الموبقات»[٢].

(١) حسن: رواه أبو داود عن أبي موسى كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٩٩ وصحيح الترغيب رقم: ٩٣.
(٢) البخاري رقم: ٦٤٩٢.

ما عرف ربَّه ذا الجلال والإكرام من لم يُجِلَّ ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن.



وقد بوَّب عليه **البخاريُّ** بقوله: باب ما يُتَّقى من محقَّرات الذُّنوب.

وسبب ذلك:

«أنَّ معرفة الصحابة بجلال الله أتمُّ، فكانت الصغائر عندهم -بالإضافة إلى جلال الله تعالى- من الكبائر، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل، ويُتجاوز عن العامي في أمورٍ لا يُتجاوَز في أمثالها عن العارف؛ لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالَف»[١].

يقول **أبو حامد الغزالي** إن الذنب يثقل في الميزان ويصبح أشد ضررًا بصاحبه كلما زاد علمه بقدر ربه، فكلما زاد علمه عظُم الذنبُ منه.

ومن عرف اسم ذو الجلال والإكرام لن يكتفي بأداء الفرائض واجتناب المحارم، بل سيدفعه إجلال الله إلى الحرص على النوافل واجتناب الصغائر، وسيجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من المباح، وبينه وبين الفرائض سدًّا منيعا من النوافل، وكلما زاد إجلاله لربه كلما كبر هذا الحاجز واتسعت مساحة الورع، فصار العبد عن الحرام أبعد، ومن الفرائض أقرب وعليها أدوم.

وكان هذا سمت الصحابة الذي اجتمعوا عليه حتى قال بعضهم يحدِّث عن حالهم:

«كنا نَدَع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام»[٢].

وقالها **عمر بن الخطاب** ﵁ بشدته المعهودة في الحق؛ نافيًا أن يكون الورع وإجلال الله محصورا بين جدران المسجد وداخل حدود الركعات فحسب:

«إن الدين ليس بالطنطنة من آخر الليل، ولكن الدين الورع»[٣].

جاءت أخت **بِشْر الحافي** إلى **أحمد بن حنبل** تسأله وتستفتيه:

إنا نغزل على سطوحنا، فتمُرُّ بنا مشاعل الظاهرية (وهم الحرس)، ويقع الشعاع علينا (وهم في ظلام دامس).. أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟

فقال **أحمد**: من أنت عافاك الله؟ فقالت: أخت **بشر الحافي**..

فبكى **أحمد** وقال:

«من بيتكم يخرج الورع الصادق.. لا تغزلي في شعاعها»[٤].

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٢.
(٢) مدارج السالكين، ص ٢٣.
(٣) الزهد للإمام أحمد، ص ١٨٤.
(٤) الرسالة القشيرية ١/ ٢٣٥.

عرف ربَّه ذا الجلال والإكرام وأجلَّه من تنزَّه عن الصغائر والمكروهات فضلاً عن المُحرَّمات.

فانظر كيف سألها الإمام أولاً من هي حتى يفتِيَها بحسب حالها، فلما علم أنها من بيت ورع أفتاها ألا تستغل نور الحُرَّاس لتنسج فيه، فمعرفتها بالله سبب إجلالها له، وإجلالها له سبب اجتنابها الصغائر والمكروهات فضلا عن باقي السيئات.

أن لا تتبرَّم بقضائه ولا تجزع من قدره.. كما في قول علي رضي الله عنه:

«من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك»(١).

أما أن يتحول إجلال الله إلى مجرَّد دعاءٍ باسمه لاستنزال اللعنات على الخلق! فهذا مما رآه مطرف مثالاً لعدم إجلال الله، فقد رأى قومًا لا يذكرون الله إلا في هذا السياق العجيب، فقال رحمه الله:

«ليعظم جلال الله في قلوبكم، فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار: اللهم أخزِه، وما أشبه ذلك»(٢).

٤- العبادة بدافع الإجلال أعلى العبادات

وهو منجم ثوابٍ خفي لا يعلم به كثيرٌ من العُبَّاد.

فاستفِد بما غرسه فيك هذا الاسم الجليل في إحراز نية جديدة تتقرَّب بها لرب العالمين.

قال **ابن قدامة**:

«والناس في النيات على أقسام:

منهم من يكون عمله للطاعة إجابة لباعث الخوف.

ومنهم من يكون عمله إجابة لباعث الرجاء.

وثمة مقام أرفع من هذين، وهو أن يعمل الطاعة على نية جلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية، وهذه لا تتيسر لراغبٍ في الدنيا، وهي أعز النيات وأعلاها، وقليلٌ من يفهمها، فضلاً عن أن يتعاطاها»(٣).

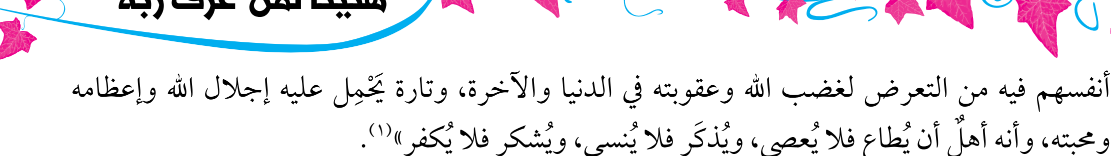
فكلما تعدَّدت النوايا كلما عظم الأجر، وكلما اخترت نيات أشرف وأعظم كلما زاد ثوابك وثقل ميزانك.

وقد بيَّن **ابن رجب** أن نياتٍ كثيرة قد تدفع إلى العمل الصالح الواحد، وهذه النيات تتباين في الثواب بحسب شرفها، وضرب لذلك مثلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال:

«واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثوابه، وتارة خوفَ العقاب من تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا

(١) مختصر منهاج القاصدين ١/ ٢٧٣.
(٢) الإحياء ٣/ ١١٤.
(٣) مختصر منهاج القاصدين ١/ ٣٦٣.

ما عرف ربَّه ذا الجلال والإكرام من استهان بالصغائر واستكثر من المكروهات.



أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وتارة يَحْمِل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهلٌ أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكَر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر»[1].

فاعبد الله من الآن بِروحٍ مختلفة، واجمع مع النيات القديمة نيةً عظيمة جديدة، واستشعر جلاله وتعظيمه، وتذوَّق معاني جديدة للعبادة، وأحرِز حسنات ودرجات تسبق بها غيرك من الصالحين، وتصل بها لرضوان الرب الكريم.

رابعًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

يا ذا الجلال والإكرام..

أكرِمنا وإن كنا لا نستحق الإكرام، وأجِلَّنا عن مخالفة أوامرك ونواهيك يا ذا الجلال.

يا ذا الجلال والإكرام..

أكرِم عبادًا وقفوا بين يديك سائلين، ولجودك مفتقرين، ولنظرة رضا منك متوسِّلين..

يا ذا الجلال والإكرام..

أكرِمنا ولا تُهِنّا.. وزِدنا ولا تُنقِصنا.. وأعطنا ولا تحرِمنا.. وأعِزَّنا ولا تُذِلَّنا..

يا ذا الجلال والإكرام..

أجِلَّنا عن معاصيك، وعن أن لا نخاف منك ونتقيك.

يا ذا الجلال والإكرام..

أعتذر إليك من كل ذنب أفسدتُ به ما رزقتني..

ثم استرزقتك على عصيانك فرزقتني..

ثم استعنْتُ برِزْقك على مخالفتك فستَرتني..

ثم سألتك الزيادة فأعطيتَني..

ولم تزل عائدًا عليَّ بنعمائك وبإحسانك غمرتني..

فاغفر لي ذلك كله ولا تقطع عني ما به وصلتني.

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٥٥.

عرف ربَّه ذا الجلال والإكرام من أضاف إلى نيات عباداته نية إجلال الله عز وجل.

خامسًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تحرص على الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام بعد الصلوات الخمس، وبالذكر المطلق؟			
٢	هل تتورع في عملك عن الاستفادة بما ليس لك من مستلزمات العمل؟			
٣	هل تستكثر من المباحات ومنها إلى المكروهات؟			
٤	هل تجعل بينك وبين المحارم حاجزًا من النوافل؟			
٥	هل تجعل نية إجلال الله من نوايا عباداتك وطاعاتك؟			
٦	هل تجد في قلبك إجلال من أجلَّ الله كذي الشيبة المسلم وحامل القرآن وإكرام السلطان العادل؟			

ما عرف ربَّه ذا الجلال والإكرام من تبرَّم بقضائه واعترض على قدره.

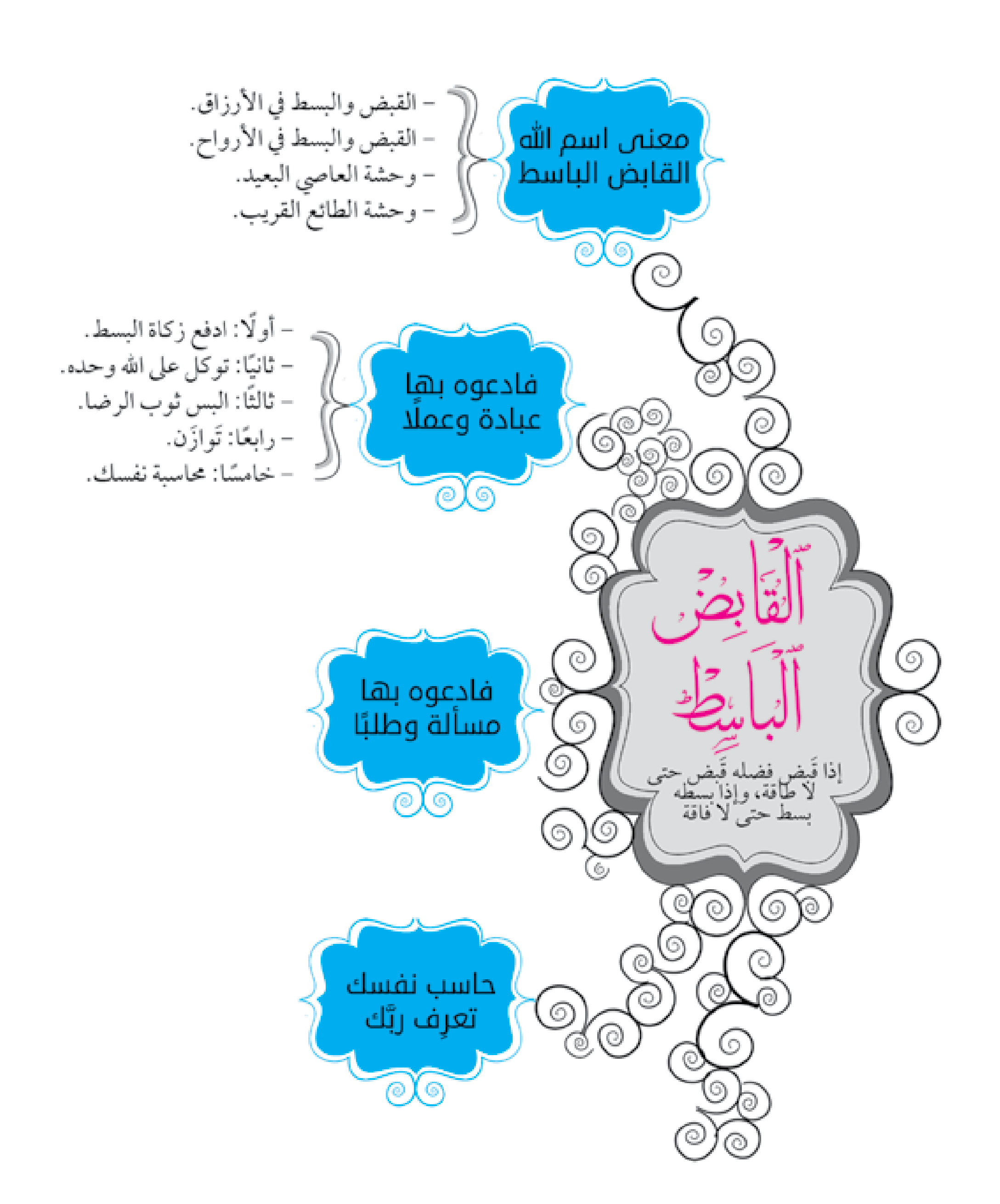


إذا قَبض فضله قَبض حتى لا طاقة، وإذا بسطه بسط حتى لا فاقة

يقبض الأرزاق والأرواح ويبسطها بحكمة بالغة..



وَاللَّهُ
يَقْبِضُ
وَيَبْسُطُ
حياة
الغنى
الصحة
القوة
النهار
الفقر
المرض
الضعف
الليل
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
موت



معنى اسم الله القابض الباسط
- القبض والبسط في الأرزاق.
- القبض والبسط في الأرواح.
- وحشة العاصي البعيد.
- وحشة الطائع القريب.
فادعوه بها عبادة وعملًا
- أولًا: ادفع زكاة البسط.
- ثانيًا: توكل على الله وحده.
- ثالثًا: البس ثوب الرضا.
- رابعًا: تَوازَن.
- خامسًا: محاسبة نفسك.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرِف ربّك
القابض الباسط
إذا قَبض فضله قَبض حتى لا طاقة، وإذا بسطه بسط حتى لا فاقة

لم يرد هذان الاسمان في القرآن الكريم بالصيغة الاسمية، وإنما وردا بصيغة الفعل كما في قوله سبحانه:

﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

أما الحديث النبوي فقد ورد فيه ذكر هذين الاسمين الكريمين كما في سنن **أبي داود** و**ابن ماجة** عن **أنس** رضي الله عنه قال:

قال الناس: يا رسول الله غلا السعر، فسعِّر لنا، فقال رسول الله ﷺ:

«إن الله هو المسعِّر، القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحدٌ منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال»(١).

أولاً: معنى اسم الله القابض الباسط

في اللغة:

القَبضُ: التَّقتير والتَّضييق.

ومن ذلك قولك: فلانٌ قَبيض، أي: بخيل شديد لا يبسط كفَّه بخير إلى أحد.

وفلانٌ باسط الكف، وباسط الجاه، وإنما يُراد به السخاء وبذله ماله وجاهه.

والبسط: التَّوسعة في الرزق والإكثار منه.

وهذان الاسمان من الأسماء المتقابلة التي لا يجوز أن يُفرَد أحدها عن الآخر، ولا أن يُثنى على الله تعالى بواحد منها إلا مقرونًا بالثاني، فلا يجوز أن يُفرَد القابض عن الباسط، وذلك لأنَّ الكمال المطلق إنما يحصل بمجموع الوصفين.

قال **ابن الحصار**:

«وهذان الاسمان يختصان بمصالح الدنيا والآخرة، وذلك يتضمن تسيير أمور الخلق باللطف والخبرة، وحسن التدبير والتقدير، والعلم بمصالح العباد في الجملة والتفصيل، وبحسب ذلك يُرسِل الرِّياح، ويسخِّر السحاب، فيُمطِر بلدًا ويمنع غيره، ويُقِلّ ويُكثِر، وكذلك يصرف جملة العوالم لجملة العالمين»(٢).

وفي اقتران القابض الباسط قال بعضهم: يقبض ليبسط، كما أنه قد يضُرُّ لينفع، ويمنع ليعطي، ويُذِلُّ ليُعِزَّ.

(١) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ١٠٥٩، وصحيح سنن أبي داود رقم: ٣٤٥٠.
(٢) النهج الأسمى محمد حمود النجدي ٢/ ١٢٩.

عرف ربه القابض الباسط من سأله بسْطَ الرزق الذي لا يلهيه ولا يُطغيه.

والقبض والبسط ينصرف إلى أحد معنين:

الأول: القبض والبسط في الأرزاق

قال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]

تأويله: يُقتِّر على من يشاء، ويوسِّع على من يشاء بحسب ما يرى من مصلحة عباده، وقد رأى بعض الصحابة أن صلاحهم في العطاء والغنى، فقال **أنس بن مالك** رضي الله عنه:

«اللهم إني من عبادك الذين لا يُصلِحُهم إلا الغنى، فلا تُفقِرني»[(١)].

لكن الله يعطيك ابتلاء، ويمنعك لا بخلاً ولا حرمانًا..

فليس كل عطاء من الله إكرام، بل قد يكون العطاء صورة من صور البلاء..

والغافل يراه إكرامًا ويقول ما قال قارون: إنما أوتيته على علم، وإنما أعطاه استدراجًا لمصرعه..

فالخيرة في ما اختاره الله؛ ولذا احتار **صالح بن مسمار** في أفضلية النعم المبسوطة أو المقبوضة حتى قال رحمه الله:

«ولَنِعمة الله علينا فيما زوى عنا من الدنيا أفضل من نعمته علينا في ما بسَط علينا منها»[(٢)].

فهل مثل هذا الرجل سيحسد غيره يومًا أو يحقد عليه أو يسخط على خالقه في ما رزقه؟!

ممَّ خاف علينا الحبيب؟

هل خاف علينا القبض أم البسط؟

من ضيق الرزق أم السَّعة؟

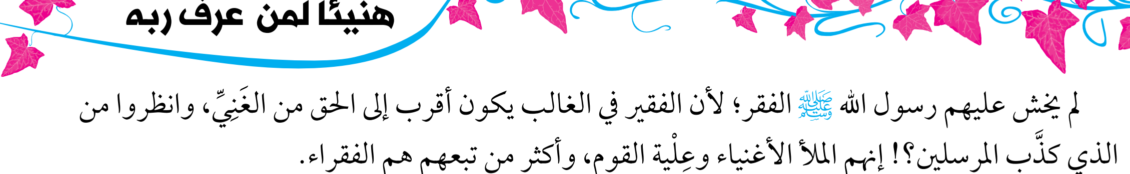
اسمعوا:

لما وصلت جزية البحرين وسمع بها الأنصار، وافق ذلك صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف تعرَّضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم:

«أظنُّكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين، فأبشِروا وأمِّلوا ما يسُرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسَط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنَافَسوها كما تنافسوها، فتُهلِكَكُم كما أهلكتهم»[(٣)].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٣٦ - ابن عطية الأندلسي - دار الكتب العلمية.
(٢) السابق ٥/ ٣٦.
(٣) صحيح: رواه أحمد والشيخان والترمذي عن عمرو بن عوف الأنصاري كما في صحيح الجامع رقم: ١٠٣٦.

ما عَرَف ربه القابض الباسط من كان همُّه بسط رزقه ولو على حساب إيمانه وحظه من ربِّه.



لم يخش عليهم رسول الله ﷺ الفقر؛ لأن الفقير في الغالب يكون أقرب إلى الحق من الغَنِيِّ، وانظروا من الذي كذَّب المرسلين؟! إنهم الملأ الأغنياء وعِلْية القوم، وأكثر من تبعهم هم الفقراء.

والواقع يشهد أنه كلما كان العبد إلى الفقر أقرب، كان لله أتقى وأقرب، وكلما كَثُر المال، زاد الإعراض عن الله، وحصل الطغيان.

لكن احذر!

لا يعني بسط الله رزقه على أحد من خلقه في شيء من الدنيا رضاه عن المبسوط له، كما لا يعني قبضه سبحانه عن أحَدٍ من خلقه في شيء من الدنيا سخطه عليه، بل قد يدل ذلك على العكس، إذ أن الله يضيِّق على بعض أوليائه رحمة بهم ولطفًا، فبعض حرمانه دواء، وقد يوسِّع ويبسط على أعدائه إملاء لهم واستدراجًا، فبعض عطائه بلاء.

ولذا جزم **سفيان الثوري**:

«ما بُسِطَت الدنيا على أحدٍ إلا اغترارًا، وما زُوِيَت عنه إلا اختبارًا»[1].

القابض قد يقبض الرزق ولا يمنح، فلا يستطيع أحدٌ من الخلق الوصول إليه، فهذا إلياس فرحات أحد شعراء المهجر، ترك لبنان إلى أمريكا، ثم أنشد قائلاً:

أُغَرِّب خلف الرزق وهو مُشرِّقٌ ... وأُقسِم لو شرَّقْتُ راح يُغرِّبُ



فإذا أغلق الله بابًا لم يقوَ أحدٌ على فتحِه.

وإذا فتح بابًا لم يقوَ أحدٌ على غلقه.

إذا بسَط الله فلا قابض، وإذا قبَض فلا باسط.

القابض الباسط في الأرزاق

القابض الباسط يقبض رزقه على من قبض كفَّه عن الإنفاق، ويُمسِك عن من أمسك عن الصدقة، ويبسط رزقه لمن بسط يده بالعطاء، فاعلم أن إمساكك المال لن يبسط لك الرزق، وأن إنفاقك لن يضيِّق رزقك، فالإنفاق في سبيل الله غير ضائع، بل يرده الله عليك أضعافًا مضاعفة، وفي الحديث: «ما نقص مال من صدقة».

القابض الباسط إن قبض رزقه فبالعدل، وإن بسط فبالفضل.

القابض الباسط إذا قبض لم يقبض عدمًا ولا بخلاً، وإذا بسط لم يبسط سرفًا.. حاشاه.

(١) حلية الأولياء ٧/ ٦٨

عرف ربه القابض الباسط من شعر بالقبض بعد المعصية، والوحشة بعد مخالفة أمر ربه.

القابض الباسط إذا قَبض فضله عنك قَبض حتى لا طاقة ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾.. وإذا بسط بسط حتى لا فاقة، ولو أحاطت بك كل فاقة.

القابض الباسط يقبض لِحكمة، فلربما أفسدك الغنى وأطغاك، ويبسط لرحمة، فلربما أفسدك الفقر، وأساء ظنك بربك.

قال **المناوي** عن بعض ملامح لُطْف القابض في قبض رزق العبد:

«فإن العبد إذا أعرض عن ربِّه واشتغل بما أسبغ عليه من نِعمه، وأحب الله إقباله عليه، حَرَمَه سَعَة ما بَسط له ليخاف فيرتدع، ويُضيِّق عليه جهات الرزق، فيلجأ إليه، ويُقبِل بالتضرع إليه»[1].

الثاني: القبض والبسط في الأرواح

وأما القبض المعنوي فيكون بما يلي:

قد يقبض القابض الباسط بعض القلوب فلا تنشط للخير، ويبسط بعضها فتبذل كل خير..

قد يقبض القلوب ويُضيِّق الصدور حتى تصير حَرجًا كأنها تصَّعَّد في السماء، أو يبسطها بالفرح والانشراح والبهجة والسكينة بما يفيض عليها من ألوان بِرِّه ولُطفه.

قال تعالى:

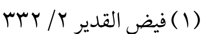
﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قال **الزجاج**:

«الحرج: أضيق الضيق»[2].

أحيانًا نشعر بالسعادة والغبطة والسرور والانشراح بحيث نرى أنفسنا وكأننا في الجنة، وأحيانًا تمر بنا ساعات نشعر معها بالانقباض والضيق والوحشة، فما تفسير الحالتين؟

هذه الوحشة أو الضيق أو القبض نوعان:


وحشة العاصي البعيد

لو حزنت على ذنبك وضاق له صدرك، فأبشر.. فهذه علامة إيمان.

ولو فرحت بذنبك ولم تسعد بطاعتك، فهذه منزلة هوان.

وكلٌّ يعمل على شاكلته، فإلى أي الفريقين تنتسب اخي القارئ؟!

---

(١) فيض القدير ٢/ ٣٣٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٨٢

ما عرف ربه القابض الباسط من لم يشعر بالقبض بعد العصيان، ويحس بالوحشة بعد الذنب.

وكلما كان العبد إلى الله أقرب كلما كانت العقوبة إليه أسرع، وآثار القبض معه أوضح، والسِّر: أن الله حريص على أوليائه، «فيؤدِّب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة وهفوة، فلا يزال مستيقظًا حذرًا، وأما من سقط من عينه وهان عليه، فإنه يُخلِّي بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنبًا أحدث له نعمة، والمغرور يظن أن ذلك من كرامته عليه، ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة»(١).

يجد العاصي في قلبه عقب الذنب وحشةً (لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تَفِ بتلك الوحشة، وهذا أمرٌ لا يُحِسُّ به إلا من في قلبه حياة، وما لجُرْحٍ بميِّتٍ إيلام)(٢).

لقد كان كالسكران حال سُكْرِه؛ يعتدي ويضرب ويكسر ويخبط، فإذا أفاق رأى رأسه قد جُرِح، وثيابه قد مُزِّقت، وممتلكاته بُدِّدت، فيتعجَّب لما حدث! وعندما يفيق ويرى ما جنى وقتَ سُكره، يتألم غاية الألم لما فعل! وهكذا العاصي المؤمن إذا أفاق.

وصدق القائل:

أَمُسْتَوحِشٌ أنت مما جنيتَ ... فأحسِنْ إذا شئتَ واستأنسِ

وإذا نزل بك عقب الذنب حزن ووحشة وألم وضيق، فأنت تملك مفتاح التخلص من كل هذا.

دع الذنب فورًا، وأتبعه ندمًا وبِرًّا، فبتوبة من عملٍ صالح تدرك كل المصالح.

قال **ابن الجوزي**:

«ومتى رأيت تكديرًا في حال، فاذكر نعمة ما شكرت، أو زلة قد فُعِلَت»(٣).

القابض الباسط إذا أوحش قلبك لبُعدِك عنه، فقد أنعم عليك بأعظم النعم؛ لتستأنس من جديد بالقرب منه يا طريد ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾.

تعطيش الروح

قال **ابن القيِّم** فى الحكمة من تخليته بين العبد وبين الذنب، وأنه لو شاء الله لعصمه منه:

«أن يذيقه ألم الحجاب والبعد بارتكاب الذنب ليكمل له نعمته أو فرحه وسروره إذا أقبل بقلبه إليه وأقامه فى طاعته، فيكون التذاذه فى ذلك -بعد أن صدر منه ما صدر- بمنزلة التذاذ الظمآن بالماء العذب الزلال، والشديد الخوف بالأمن، والمحب الطويل الهجر بوصل محبوبه»(٤).

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٠٦.
(٢) الداء والدواء ص ٥٢.
(٣) الداء والدواء ص ٥٢.
(٤) طريق الهجرتين ١ / ١٧١.

عرف ربه القابض الباسط من استلم رسالة الله إليه، بانقباض روحه بعد الذنب.

ولذا قال **ابن عطاء**:

«ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾»[1].

القابض الباسط (تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه، وتارة ينوِّره وتارة يُظلِمه، وتارة يقسّيه وتارة يُليِّنه، وتارة يثبِّته على طاعته ويقويه عليها، وتارة يُسلِّط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق)[2].

وحزن القلب على الذنب أو لفوات الطاعة، إما أن يحرِّكك لحركة وتوبة، وإما أن يظل حبيس الصدر والأمنيات فتموت، والعاقل من استثمر حزنه.

ومن لَمْ يجد وحشة الغفلة والبعد لم يعرف قيمة الأُنس بالله والقرب.

إن مفاتيح سعادة القلب في يد القابض الباسط، ولا سعادة في غير طاعته، والعبد العاصي محروم، والقابض الباسط وحده يملك زمام القلوب، فقلب متصحِّر وقلب أخضر، وروح مجدبة وأخرى مشرقة، ونفس متفائلة وأختها بجوارها متشائمة، وكل هذا بحسب بُعْدِ العبد أو قربه من الله، وليس تعذيبًا بل تأديبًا وتهذيبًا.

والمؤمن وحده يملك هذه الحساسية الإيمانية المفرطة، والتي يتعرَّف بها كل لحظة على رسائل ربه، فإذا شعر بغياب قلبه في الصلاة، رجع على نفسه باللائمة، فلعله فرطت منه كلمة، أو أفلتت منه نظرة، أو ساء ظنه بربه في موقف من المواقف.

وعندها يرجع إلى رحاب ربه، يعز بعد ذل، ويقوى من ضعف، ويحظى بالبسط بعد ليل القبض. قال **ابن القيِّم**:

«فشهود العبد نقص حاله إذا عصى ربه، وتغيُّر القلوب عليه، وجفولها منه، وانسداد الأبواب في وجهه، وتوعُّر المسالك عليه، وهوانه على أهل بيته وأولاده وزوجته وإخوانه، وتطلبه ذلك حتى يعلم من أين أُتِيَ؟ ووقوعه على السبب الموجب لذلك مما يقوّي إيمانه، فإن أقلع وباشر الأسباب التي تُفْضي به إلى ضد هذه الحال، رأى العزَّ بعد الذُلِّ، والغنى بعد الفقر، والسرور بعد الحزن، والأمن بعد الخوف، والقوة في قلبه بعد ضعفه ووهنه»[3].

ومن شرف نفس هذا العبد على الله أن أقسم بها في القرآن، فأقسم بالنفس اللوامة، فهي دومًا في حساب مع صاحبها وتلاوم، فتلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه.

---

(١) فيض القدير ٢ / ٢٦٤.
(٢) إحياء علوم الدين ٢ / ٢٨٩.
(٣) مدارج السالكين ١ / ٤٢٥.



وحشة الطائع القريب

يجدها الطائع رغم طاعته، فما السر؟!

أنا أفشي لك هذا السر:

يشكو الفتور؛ لكي يلجأ بكل الطرق إلى رحاب الرب الغفور..

يعاني غياب قلبه في صلاته كي يضطر للبحث عنه في خلواته.

يعاني الوحشة بين الأهل والأحباب، ولا يستأنس بها تعوَّد على الاستئناس به بين الأصحاب كي يبحث عن أنسه في رحاب القرآن والأذكار.

تضيق به طرق المعاش في النهار؛ لتضطره إلى واحة الأنس في الأسحار.

إنها وحشة فتور لا وحشة فجور.

وهي تشبه حالة السكون تجهزًا لانطلاقة أقوى.

أو تعطيش الروح ليكون إقبالها على الله أقوى.

قال رجل لأحد الصالحين:

كنتُ أجِد فى قلبى حلاوة قيام الليل، وأنا لا أجدها الساعة!

قال:

«لعلك اشتد حِرصك بشيء من الدنيا فذهبت بحلاوة ذلك من قلبك، وربما يعرف الله ضعفك ويريك قدرتَه، فيسلب حلاوة مناجاة الليل؛ حتى تتفرَّغ إليه؛ لئلا تأمن مكره»[(١)].

أسباب القبض الروحي والتصحر القلبي

قد يُعجب العبد برأيه وماله ومركزه، فيُحجَب عن الله، فالعُجْب أحد أسباب القبض.

وكذلك التكلم في ما لا يعنيك.

قال **مالك بن دينار**:

«إذا رأيتَ قساوة في قلبك، أو وهنًا في بدنك، أو حرمانًا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك»[(٢)].

(١) ملتقط الحكايات ص ٢٤٣ - ابن الجوزي.
(٢) بحر الدموع ١/ ١٢٥.

عرف ربه القابض الباسط من حاسب نفسه إذا شعر بالقبض، ثم صحَّح مساره.

واتفق معه **يونس بن ميسرة** فقال:

«إذا تكلَّفْتَ ما لا يعنيك، لقيت ما يعنيك»(١).

وكلامك في ما لا يعنيك علامة تقصيرك في ما يعنيك.

قال **الفضيل**:

«تكلمتَ في ما لا يعنيك فشغلك عما يعنيك، ولو شغلك ما يعنيك تركت ما لا يعنيك»(٢).

واعتبره **معروف الكرخي** خذلانًا، فقال:

«كلام العبد فيما لا يعنيه، خذلان من الله تعالى»(٣).



١) ادفع زكاة البسط

وهي زكاة واجبة، إن لم تبذلها عوقِبتَ بالقبض والسلب، وألوان الرزق لا حدَّ لها، وكلنا ذو رزق. يقول **القرطبي**:

«فإن كنت مبسوط القلب بالمعارف والحقيقة والعلوم الدينية فابسط بساطَك، وابسطْ وجْهك، واجلسْ للناس حتى يَقتبسوا من ذلك النِّبْراس.

وإنْ كنت ذا بسطة في الجسم، فابْسطه في العبادة التي تُفْضي بك إلى السعادة، وفي الصَّولةِ على الأعداء، بما خُوِّلتَ من المنَّة والشِّدة.

وإنْ كنت ذا بَسطٍ في المال، فابسطْ يدكَ بالعَطاء، وأزلْ ما على مالك من الغِطَاء، ولا تُوكي فيوكي الله عليك، ولا تُحْصي فيحصي الله عليك.

وإنْ كنت لم تَنَلْ حظًّا من هذه البَسَطاتِ فابسط قلبكَ لأحكام ربِّك، ولسانَك لِذكره وشكره، ويدك لبذل الواجبات عليك، ووجهك لَلخْلق، كما قال ﷺ في بَذل المعروف:

«فإن لم تَجِدْ، فالْقَ أخاكَ بوجه طَلْقٍ»(٤).

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٠.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣١٥.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٦١.
(٤) صحيح لغيره: رواه أحمد ٣٥/ ٤٠٨ واللفظ له كما في مسند أحمد رقم: ٢١٥١٩- ط الرسالة.

ما عرف ربه القابض الباسط من لم يقف مع نفسه وقفة محاسبة إذا شعر بالقبض أو البسط.



ولقد أحسنَ القائل:

بُنَيَّ إنَّ البرَّ شيءٌ هَيـن   وَجهٌ طليقٌ ولسانٌ ليِّنٌ[1]

٢) توكَّل على الله وحده

وتفويض الأمور إليه سبحانه، ذلك أنه القابض الباسط وحده، إذ لا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، كما جاء في دعائه عليه الصلاة والسلام في غزوة أحد حين حمي الوطيس كما قال **رفاعة الزرقي**:

لما كان يوم أحد، وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ:

«استووا حتى أثني على ربي عز وجل»..

فصاروا خلفه صفوفًا فقال:

«اللَّهم لك الحمد كله، اللَّهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مُقرِّب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللَّهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك...» الحديث[2].

فكل المترادفات اللفظية في الحديث: (قابض.. باسط.. هادي.. مُضِل.. معطي.. مانع.. مقرِّب.. مُباعِد) الهدف منها أن تغرس في قلبك توحيد الله، وأن لا فاعل على الحقيقة إلا الله، ومن هذه صفاته فهو المستحق أن يُتوكل عليه وحده، ويُستعَان به وحده، ومن عرف هذا لم يَرجُ أحدًا من الخلق، ولم يسكن إلى وعد بشَرٍ أو يخف من وعيده، ولم ييأس من الفرج عند البلاء، ولم يغتر بالعطاء.

٣) البس ثوب الرضا

لأنه سبحانه الحكيم الأعلم بخلقه، وهل الأصلح لك القبض أم البسط؟ فله الحمد على كل أفعاله، وله الحمد في خلقه وأمره.

قال الله عز وجل:

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٢٧]، وخَتْم الآية بقول الله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ فيه تمام المناسبة؛ لأنه يشير إلى أن القابض الباسط لم يبسط الرزق لبعض عباده؛ لأنه خبير بهم، بصيرٌ عليم بما هو أصلح لهم، وأنه لو بسط لهم الرزق لبغوا في الأرض، ولما صلح لهم أمر.

(١) النهج الأسمى محمد حمود النجدي ٢/ ١٣٢، ١٣٣.
(٢) صحيح: صحيح الأدب المفرد ١/ ٢٥٩ - رقم: ٥٤١/ ٦٩٩.

عرف ربه القابض الباسط من بسَط خيره على غيره إذا بسَط الله عليه من فضله وبِرَّه.

وقد قال في سورة العنكبوت:

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

أي أن الله تعالى يَسلب أناسًا ويعطي آخرين وفق مشيئته وحكمته.

ويجوز أن يكون المعنى: أنه يوسِّع الرزق لعبد من عباده تارة، ويضيِّقه عليه تارة أخرى، فالتوسعة والتضييق على نفس العبد تقلبًا في الأحوال، ليؤدِّب الله عبده مرة بالمنع، ومرة بالعطاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي إنه هو العليم بمصالحكم، فيغرس اليقين باسم القابض الباسط: الرضا والتسليم في قلب كل مستقيم، ولعل هذا ثمرة دعاء داوم عليه صاحبه جاء فيه:

«وأسألك أن تجعل كل قضاءٍ قَضَيتَه لي خيرًا»(١).

٤) تَوازُن

في الحكم العطائية:

«بسَطَك كي لا تكون مع القبض، وقبضك كي لا تكون مع البسط، وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه».

وهذا البسط مادي في الأرزاق أو معنوي في الأرواح.

في الأرزاق:

بسط لك رزقه كي لا تيأس من رحمته، وقبض رزقه في وقت آخر كي لا تتكبَّر.

قال **الفضيل بن عياض**:

«قيل: يا **موسى**.. أيُحزِن عبدي المؤمن أن أزوي عنه الدنيا وهو أقرب له مني، ويفرحُ أن أبسط له الدنيا وهو أبعد له مني؟»(٢).

وفي الأرواح:

خوَّفك حتى عن معاصيه ترتدع، ورغَّبك حتى بالرجاء ترتفع، فلا تزال تتأرجح بين نيران الخوف ونسائم الرجاء.

إذا أطـاع العبد ربه، فلربما تسرَّب إليه الكبر والعجب، وعنـدئذ علاجه بأن يسلبه الله بعضًا مما أعطاه حتى يرجع إلى رحابه، فهذا علاج رباني لمن أعجبته بنفسه، واستطال على عباد الله باستقامته، وهي حالة

(١) صحيح: رواه ابن ماجة عن عائشة كما في الصحيح رقم: ١٢٧٦.
(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ١٤٣.

ما عرف ربه القابض الباسط من قبض رزقه عن غيره مع ما بسَطَه الله له.

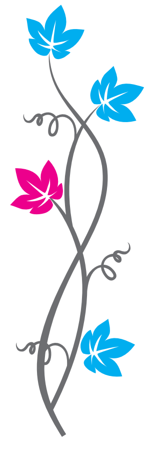


قبض.

قال رسول الله ﷺ:

«لو لم تكونوا تُذنِبون لخِفْتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك: العُجب العُجب»[١].

٥) حاسب نفسك



متى انقبضت؟ ومتى انبسطت؟

متى تفاءلت؟ ومتى تشاءمت؟

متى شعرت أني أسعد الناس؟

ومتى شعرت أني في ملل وضجر وضيق؟

إذا فهمت عن الله تأديبه في قبضه وبسطه، لقد فُزْتَ إذًا في الدنيا والآخرة، فإنَّ أعظمَ البسط بسطُ الرَّحمات على القلوب حتى تستضيء وتخرج من ظلمات الذُّنوب.

إنه مقياس دقيق يعرف به العبد قربه أو بعده عن ربه، ورضاه أو سخطه، وكفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا.

وتذكَّر أنك بالقبض والبسط في امتحان!

قال **ابن القيم**:

«سبحانه..

يُذيقُ عبدَه ألم الحجاب عنه، وزوال الأُنسِ به، والقرب منه؛ ليمتحن عبده، فإن أقام العبد على الرضا والحال..

ولم يجد نفسه تطالبه بحالها الأول مع الله..

بل اطمأنت وسكَنَتْ إلى غيره..

علم أنه لا يصلح، فوضعه في مرتبته التي تليق به!

وإن استغاث استغاثة الملهوف، وتَقَلَّقَ تَقَلُّقَ المكروب، ودعاه دعاء المضطر، وعلِم أنه قد فاتته حياته حقًّا، فهو يهتف بِربِّه أن يُرُدَّ عليه ما لا حياة له بدونه..

علِم أنه موضعٌ لما أُهِّلَ له..

(١) حسن: رواه البيهقي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٥٣٠٣.

عرف ربه القابض الباسط من رأى كل قبض في الأرزاق أو الأرواح منه وحده لا من غيره.

فردَّ عليه أحوج ما هو محتاج إليه..

فعظمت به فرحته، وكملت به لذته، وتمَّت به نعمته، واتصل به سروره، وعلم حينئذٍ مقداره، فعضَّ عليه بالنواجذ، وثنَّى عليه بالخناصر..

فالعبد إذا بُلِيَ بَعْدَ الأنْسِ بالوحشة، وبعد القرب بنار البعاد..

اشتاقت نفسه إلى لذة تلك المعاملة..

فحنَّتْ، وأنَّتْ، وتصدَّعت، وتعرَّضَت لنفحات مَنْ ليس لها عنه عوضٌ أبدا..

ولا سيما إذا تذكر برَّه، ولطفه، وحنانه، وقُربَه»[1].

ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللَّهم لك الحمد كله..

اللَّهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت..

ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت..

ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت..

ولا مُقرِّب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت..

اللَّهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك...».

أسالك باسم القابض الباسط..

ابسط لنا الرزق الذي يقوّينا على طاعتك.

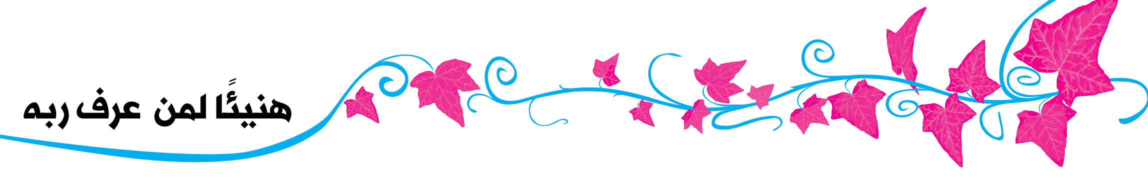
أسالك باسم القابض الباسط..

ابسط قلبي بالفرح والسرور بالقرب منك، واقبضه بالحزن والألم عند مخالفتك.

أسالك باسم القابض الباسط..

ابسط يدي بالإنفاق على عبادك الفقراء، ثم ابسط على عبدك رزقك، فأنا أفقر الفقراء.

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٩٦ بتصرف.





رابعًا: حاسِب نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تبسط الرزق الذي بسطه الله لك على غيرك، وتنفق مما أعطاك؟			
٢	هل تراجع نفسك إن شعرت بانقباضٍ لا تعرف له سببًا ظاهرًا؟			
٣	هل ترى بسط الرزق لك اختبارًا لشكرك؟			
٤	هل ترى قبض الرزق عنك اختبارًا لصبرك وعفافك؟			
٥	هل يشكِّل قبض روحك وضيقها وبسطها وانشراحها مفتاح محاسبة لنفسك على ما قدَّمته؟			



من استبعد رحمته فقد استعجز قدرته

التَّامُّ القدرة، ومن كمال قدرته تدبيرُ أمور الخلق دون أن يلحقه إعياءٌ أو ضعفٌ، فإذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وبقدرته يُقَلِّبُ القلوبَ ويَصرِّفها كيف يشاء.



قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ

ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا

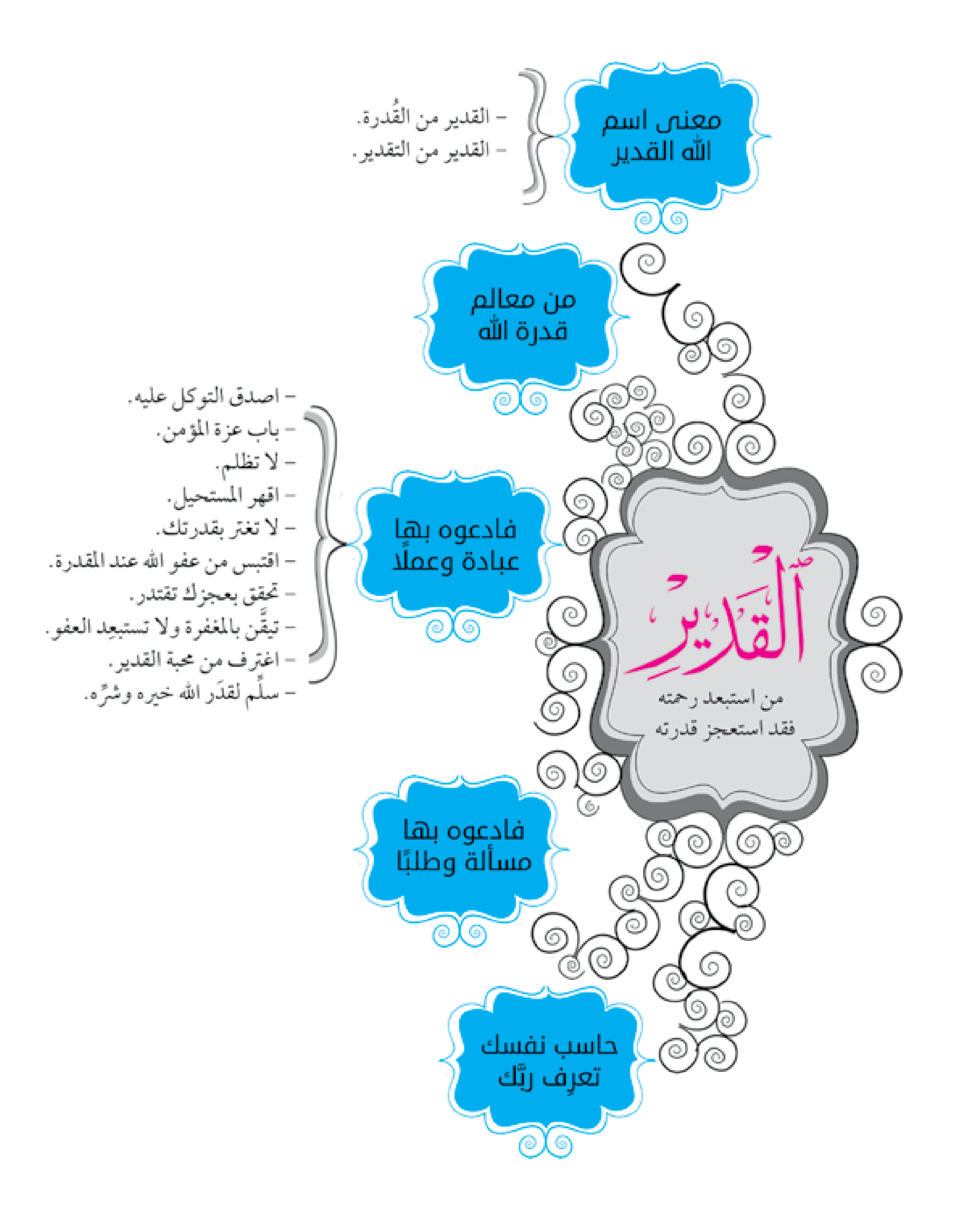




ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا







ٱلْقَدِيرِ
من استبعد رحمته
فقد استعجز قدرته
معنى اسم
الله القدير
- القدير من القُدرة.
- القدير من التقدير.
من معالم
قدرة الله
فادعوه بها
عبادة وعملًا
- اصدق التوكل عليه.
- باب عزة المؤمن.
- لا تظلم.
- اقهر المستحيل.
- لا تغتر بقدرتك.
- اقتبس من عفو الله عند المقدرة.
- تحقق بعجزك تقتدر.
- تيقَّن بالمغفرة ولا تستبعِد العفو.
- اغترف من محبة القَدير.
- سلِّم لقدَر الله خيره وشرِّه.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرِف ربّك



ورد اسمه سبحانه القادر في القرآن (اثنتي عشرة مرة)، (سبعا) منها بصيغة المفرد كما في قوله تبارك وتعالى:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

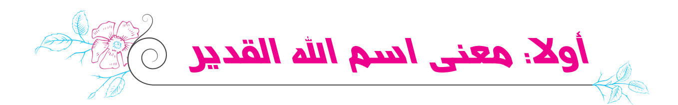
(وخمسا) منها بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٥].

وأما اسم الله القدير فقد ورد في القرآن (خمسًا وأربعين مرة)، وأما اسمه سبحانه (المقتدر) فقد ورد في القرآن (أربع مرات) واحدة منها بصيغة الجمع كما في قوله عز وجل:

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤٢].

و(ثلاث مرات) بصيغة المفرد كما في قوله:

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢].



أولا: معنى اسم الله القدير

المعنى الأول: من القدرة..

قال **ابن الأثير**:

«في أسماء الله تعالى (القادر، والمقتدر، والقدير) فـالقادر اسم الفاعل من قدر يقدر، والقدير فعيل منه وهو للمبالغة، و(المقتدر) مفتعل من اقتدر وهو أبلغ»[(١)].

وقال **الزجاج**:

«المقتدِر: مبالغة في الوصف بالقدرة، والأصل في العربية أن زيادة اللفظ زيادة في المعنى، فلما قلت: اقتدر أفادت زيادة اللفظ زيادة المعنى»[(٢)].

وقال **الحليمي**:

«والقدير التام القدرة لا يلابس قدرته عجز بوجه»[(٣)].

قال **ابن القيم** في نونيته:

«وهو القدير وليس يعجزه إذا مارام شيئًا قط ذو سلطان»

(١) النهاية ٤/ ٢٢.
(٢) تفسير الأسماء ص ٥٩.
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي ١١١.

عرف ربه القدير من تأمَّل دلائل قدرته في الكون، فازداد به إيمانًا وله تعظيمًا وإجلالاً.

المعنى الثاني: من التقدير..

فما هي مراتب القدر؟

مراتب القدر أربعة:

الأول: علم الله الثابت، وهو ما يسمى بالتقدير، وهو ما يدل عليه اسم القادر.

الثاني: كتابة هذا العلم في اللوح المحفوظ، وقد تمَّ ذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما في صحيح **مسلم**.

الثالث: مشيئة الله في تنفيذ ما كُتِب في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وهذه الثلاث تُسمَّى بالقضاء، فالقضاء علمٌ وكتابة ومشيئة، فالقاضي يقضي في المحكمة بحكمه، فيعلم تفاصيل الحكم ثم يأمر بكتابة الحكم، مع مضاء مشيئته أن يمضيه، لكن ليس له سلطة تنفيذ هذا الحكم، بل تقوم السلطة التنفيذية بهذا الدور، لكن الله سبحانه يقضي وينفِّذ ما قضاه.

ومشيئة الله مطلقة، وإنفاذ مشيئة الله متعلِّق بالحكمة؛ ولذا قال **الغزالي**:

«والقادر هو الذي إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، فإن الله تعالى قادر على إقامة القيامة الآن؛ لأنه لو شاء أقامها، فإن كان لا يقيمها لأنه لم يشأها ولا يشاؤها لما جرى في سابق علمه من تقدير أجلها ووقتها، فذلك لا يقدح في القدرة»(١).

الرابع: القدرة على تنفيذ ما شاء، وإلى ذلك أشار الإمام **أحمد** فقال عن القدَر:

«القدر قُدْرَةُ الله»(٢).

فالقدر: علم وكتابة ومشيئة وخلق، ومن هنا يشمل القدَر كلًّا من التقدير والقدرة، والتقدير علم، والقدرة تنفيذ هذا العلم.

ولذلك جاء في تعريف القدير أنه الذي يتولى تنفيذ المقادير، ويخلقها على ما جاء في سابق التقدير.



بدء الخلق:

قال سبحانه: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾:

(١) المقصد الأسنى ص ١١٩.
(٢) منهاج السنة النبوية ٣/ ٢٥٤ وشفاء العليل ١/ ٢٨.

ما عرف ربه القدير من لم يتفكَّر في آثار القدرة ودلائل الحكمة في كل ما حوله.



وفي قوله ﴿كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ حذفٌ، تقديره: إلا كخلق وبعث نفسٍ واحدة، فالله تعالى لا يصعب عليه ما يصعب على العباد، وخلق العالم كله كخلقِ نفس واحدة لديه، فلا يَشُقُّ عليه سبحانه ولا يصعب، والقليل والكثير عنده سواء.

ولما سُئِل الإمام علي رضي الله عنه: كيف يُحاسِب اللهُ الناسَ جميعًا في وقت واحد؟ قال: كما يرزقهم جميعًا في وقت واحد.

وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إشارة إلى إحاطة علم الله تعالى بكل الأسباب وتفاصيلها، فمن شأن القدير أن يتصرف في المعلومات كيف يشاء؛ لأن العجز وعدم القدرة في كثير من الأحيان إنما يكون من غياب المعلومة.

وآثار قدرة الله في الخلق لا نهائية، وكلما صغر المخلوق كلما عظمت فيه آثار قدرة الله، وخذ البرغوث مثلاً.. يستطيع البرغوث القفز بارتفاع يزيد عن طوله من ٨٠ إلى ١٠٠ مرة، وبسرعة تقارب سرعة الرصاصة، ويستطيع على صغر حجمه أن يواصل قفزاته الخارقة لمدة ٧٨ ساعة، ولو امتلك الإنسان ميكانيكية البرغوث في القفز؛ لتمكَّن من عبور مضيق البوسفور في إسطنبول بقفزة واحدة فحسْب، وبسرعة توازي سرعة الرصاص!

إعادة الخلق:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

إن إعادة الخلق أهون من ابتداء إنشائه؛ لأن الخلق يُنقَلون في الابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا ثم يولَدون، والقدير تستوي عليه النشأتان، فلا فارق في قدرته بين الصعب والسهل، ولا يحتاج معاونة شريك ولا الاستعانة بحكيم، وقد خاطب العباد بما يرون ويشاهدون ويعقلون، فبدء الخلق بعلوقه في الرحم قبل الولادة، وأما إعادته فإحياؤه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث، فجعل ما رأى الناس من ابتداء الخلق دليلاً على ما خفي عليهم من إعادته؛ استدلالاً بالشاهد على الغائب، فمن قَدَرَ على الإنشاء المشاهَد للناس كافة كان البعثُ الغائب أهونَ عليه.

عدم تشابه الخلق:

قال **ابن حزم** في لفتة رائعة عن قدرة الله:

«من عجيبِ قُدرَة الله تعالى كَثْرَة الْخلق، ثمَّ لا ترى أحدًا يشبه آخر شبهًا لا يكون بَينهمَا فيه فرق»(١).

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ١/ ٦٤ - ابن حزم الأندلسي - ط دار الآفاق الجديدة - بيروت

وتأمل هذا جيدًا لتتعرف على قدرة القدير، فمنذ آلاف السنين، وعبر عشرات المليارات من البشر الذين خَلَقهم الله والذين سوف يخلقهم، فإن من المحال أن تجد اثنين من الخلق متشابهين في الخلقة تمامًا، وهذا قمة الإعجاز الذي لا ينتبه له أكثر الناس.

تقليب القلوب:

فمهما بلغت قدرة المخلوق وسطوته وقهره، فلا يقوى بشر على تغيير ما في قلب البشر قسرًا، فلو امتلأ قلبك بمحبة أحد، فلا يستطيع كائن أن يقلب محبتك كرهًا إلا أن يشاء الله، ولو كرهت أحدًا، فلن تستطيع قوى الأرض مجتمعة أن (تسيطر) على قلبك وتُرغِمَه على محبته، ولا تتحوَّل هذه الكراهية إلى محبة بضغطة زر، ولكن الله يفعل.

(هذا **فضالة بن عمير**.. المشرك الذي امتلأ قلبه حقدًا وبغضًا للنبي ﷺ حتى عزم على قتله عام الفتح، فلما دنا منه وهو يطوف بالبيت وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فسكن قلبه، أو إن شت قلت ثار على ماضيه وانقلب، فكان **فضالة** بعدها يحدِّث عن هذا اللحظة الفارقة قائلاً:

«والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه»

وهذا **ثمامة بن أثال** ما إن نطق بالشهادتين حتى انطلق لسانه مفصحًا عن الثورة التي اجتاحت كيانه كله بإسلامه، ثورة أخبر النبي ﷺ بتفاصيلها حين قال:

«يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي».

لكن هذه الثورة القلبية العارمة التي رعاها الله ليست حكرًا على الرجال، بل إن من النساء من قاد وتبنى انقلابات إيمانية خارقة، فهذه **هند بنت عتبة** وقد جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله.. والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يُذِلَّهم الله من أهل خبائك، وما على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يعزهم الله من أهل خبائك.

فما سر هذه (الثورة)؟

وكيف تمت في لمح البصر.

أغير الله؟

من الذي نزع عن هذه القلوب كسوة الشقاوة والبغضاء ليُلبسها بدلاً منها أثواب المحبة والهناء؟

ما عرف ربه القدير من استعظم ذنبه، فأخَّر توبته وأسرف على نفسه.





أإله مع الله)[1].

فالله وحده يحول بين المرء وقلبه، وهو الذي يقلِّب القلوب، ومن هنا كان هذا هو أكثر قسم النبي ﷺ:

«لا ومقلِّب القلوب».

قال **ابن القيم**:

«القدير الذي لكمال قدرته يهدي من يشاء ويُضِلُّ من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمنًا والكافر كافرًا، والبَرَّ برًّا والفاجر فاجرًا، وهو الذي جعل إبراهيم وآله أئمة يدعون إليه ويهدون بأمره، وجعل فرعون وقومه أئمة يدعون إلى النار»[2].

كمال قدرته في الآخرة:

أخرج **الترمذي** عن **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُحشَر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفًا مشاة، وصنفًا ركبانًا، وصنفًا على وجوههم.

قيل:

يا رسول الله.. وكيف يمشون على وجوههم؟

قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم.. أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»[3].

فالحديث يقسِّم الناس في الحشر إلى أقسام ثلاثة عجيبة، وما أكثر ما في القيامة من عجائب!

«صنفٌ مشاة»: وهم المؤمنون الذين خلطوا صالح أعمالهم بسيئها.

«وصنفٌ ركبانًا»: وهم السابقون الكاملون في الإيمان.

وإنما بدأ بالمشاة جبرًا لخواطرهم، أو لأنهم الأعظم احتياجًا إلى المغفرة، أو لأنهم الأكثرون بين أهل الإيمان.

«وصنفٌ على وجوههم»: أي يمشون عليها، وهم الكفار، وقد أخبر في وصفهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ [الفرقان: ٣٤]، وإخباره حق، ووعده صدق، وهو على كل شيء قدير، فمن أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يمشّيهم على وجوههم.

---

(١) جنتان ص ٥٨، ٥٩ – خالد أبو شادي – ط دار طيبة

(٢) طريق الهجرتين ١/ ٢١١.

(٣) ضعيف: رواه في المشكاة رقم: ٥٥٤٦ وضعيف الجامع الصغير رقم: ٦٤١٧، ورمز له البعض بالحسن.

وإنما كان ذلك لأن الوجه الذي هو أعز الأعضاء لم يضعوه ساجدين على التراب، ولما عدلوا عن السجود تكبرًا؛ جعل الله أمرهم في الآخرة على عكس ما كانوا يفعلون في الدنيا.

إحياء الموتى:

وقد عرض لها القرآن في هذا السياق قصتين:

الأولى: قصة عزير..

ذلك الرجل الصالح الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقد بليت واندثرت وانمحت آثارها ومات أهلها، فقال:

﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وأوجه قدرة الله في هذه الآية متعددة، وكل منها أعظم من الآخر:

الوجه الأول: أن الله أماتَ عزيرًا مائة عامٍ ليتحلل جسده بالكلية، ثُمَّ بَعَثَه بعد الموت في سابقة لا تحدث إلا يوم القيامة.

الوجه الثاني: أن الله أعاده إلى قريته شابًّا كما كان، فوجد أولاده وأولاد أولاده شيوخًا وعجائز.

وسأله الله تعالى فقال: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ ليُظهِر له عجزه عن الإحاطة بأحواله وشؤونه، ويعرِّفه قصورَ علمه بنفسه فضلاً عن غيره مع كمال إحاطة الله بكل شيء.

الوجه الثالث: أن الله لم يُشعِره بطول الزمان، فمرَّت عليه المائة عام كأنها يوم أو بعض يوم، وفي هذا إشارة أن الله بيده أن يغيِّر نواميس الكون ومراكز الاستشعار عند الإنسان، ويقلِّبها كيف يشاء، فجعل عشرات السنوات هنا كأنها ساعات، وبيده أن يجعل اللحظات العابرة كأنها عشرات الأعوام.

الوجه الرابع: ومن بدائع قدرة الله حفظه للطعام أعوامًا طويلة دون تغيُّر، والطعام عظيم المسارعة إلى الفساد مع ما في حفظه لهذه المدة من مخالفة الطبيعة؛ ولذا قال الله منبِّهًا:

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾.

والنظر هنا يفيد الاعتبار، وحرف ﴿إِلَىٰ﴾ أفاد التنبيه على إمعان النظر ليشعر الناظر بهذه الأمور الدقيقة التي لا تظهر إلا بالتأمل وتكرار النظر.

ما عرف ربه القدير من استعظم عليه شفاء المرض وكشف الضر، فاستسلم ليأسه وعجزه.



الوجه الخامس: أن بدنه صار ترابًا وكذلك حماره، فتأثير الزمان على الأبدان اختلف عن تأثيره على الطعام، فقد أذِن الله للزمان أن يُحدِث أثره المتعارف عليه بين الناس في تحلل الجسد، فمَنْ غير (القدير) أذن للزمن أن يحدِث أثره على الأبدان، ومنع تأثيره على الطعام؟!

الوجه السادس: إعادة خلق حماره، فقد رأى «عزيرٌ» كل عظمة في حماره، وهي تُرفَع من على الأرض، وشاهِد كلَّ عظمة تُركَّب مكانها، وبعد تكوين الهيكل العظمي للحمار بدأت رحلة كسوة العظام لحمًا، ثم انبسط الجلد على اللحم، ثم خرج الشعر من تحت الجلد، ثم نفَخ فيه الروح، فاذا هو قائم حيًّا ينهق!

قال **الطاهر بن عاشور**:

«قد جمع الله له أنواع الإحياء؛ إذ أحيا جسده بنفخ الروح عن غير إعادة، وأحيا طعامه بحفظه من التغير، وأحيا حماره بالإعادة، فكان آية عظيمة للناس الموقنين بذلك»[1].

وانجلت هذه التجربة المثيرة عن إيمان عميق بقدرة القدير، مما ملأ كيان عزير يقينًا، فاندفعت غيوم الشك من صدره، وزال دخان الرَّيب من قلبه، وهنا أقرَّ واعترف:

﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الثاني: **قصة إبراهيم** عليه السلام..

حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾، فقال الله عزوجل له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، **فإبراهيم** عليه السلام كان كامل الإيمان، ولكنه أراد الارتقاء من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين، فيشاهد قدرة الله بإحياء الموتى بعينه، فأمره القدير:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فأخذ **إبراهيم** الطير حسبما أُمِر وذبحها، ثم قطَّعها قطعًا، وجمع ذلك مع الدم والريش، ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءًا على كل جبل، ووقَف حيث يرى تلك الأجزاء، ثم قال: تعالين بإذن الله، فاستجابت له، وتطايرت الأجزاء، وطار الدم إلى الدم، والريش إلى الريش، حتى التأمت كما كانت، وطارت بين يديه بإذن الله تعالى.

معجزة هود:

دعا **هود** عليه الصلاة والسلام قومه، فكذَّبوه قائلين له: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٣٧

عرف ربه من وثق في قدرته على إهلاك الظالمين ونصر المستضعفين.



﴿قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾، فردَّ عليهم في تحدٍّ بالغ:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾.

هم كثرة طاغية، وهو فرد واحد؛ فلابد لهم أن يغلبوه، ومع ذلك تحداهم وطلب منهم أن يحشدوا كل مكرهم وكيدهم، وأن يقتلوه لو استطاعوا، وهي قمة التحدي، ولذا كانت معجزة؛ لأنه تحدّاهم لثقته بقدرة الله الغالبة، ولا يمكن أن يلقى إنسان مثل هذا التحدي جزافًا، فيجازف بحياته في كلمة.

قال **السمعاني**:

«وهذا القول معْجزةٌ لهود صلوات الله عَلَيْه، فإنَّهُ أَمَرَهم أن يحتالوا بِكُل حِيلَة لإيصال المكْرُوه إليه، ومنعهم الله تعالى عن ذلك فلم يقدروا عليه»[1].

تعطيل الأسباب والتأثير بلا أسباب:



من قدرة الله أن يجعل السبب عدمًا، ويجعل من العدم سببًا، فليس للسبب عند رب الأسباب قدر ولا قيمة، وحتى كلمة (كن)، فلا تظن أن أمر الله النافذ متوقِّف على كلمة (كُنْ) المكوَّنة من (كاف) و(نون)، فإن إرادة (القدير) سبحانه ليستْ في حاجة إلى قول (كُنْ)، لكن لما كانت كلمة (كُنْ) أقصر كلمة في قاموسنا، فإن الحق سبحانه يخاطبنا بما تفهمه عقولنا، فما يريده الله كائن بمجرد إرادته، وكل أمر من أوامره موجودٌ أزلاً، فالأمر بقول (كُنْ) ليس لإيجاده من العدم، بل لإظهاره إلى عالم الواقع.

عاش المريض ومات الطبيب!

كتب الدكتور **أحمد خالد توفيق** قصة حقيقية تعرَّض لها عندما كان طبيبًا في مستشفى حكومي، وتلمح فيها فعل القدير:

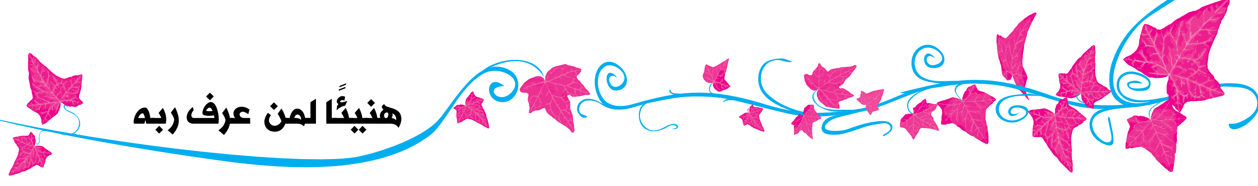
«محمد محمد خميس.... فلاح مصري تقليدي فقير في الستين من عمره.. أصيب في الغدة اللمفاوية التي يسميها الأطباء غدة فيرشاو أو فيرخوف، ومعناها ببساطة أن المريض مصاب بسرطان متقدم في بطنه.

ودخل عم **محمد خميس** قسم الجراحة، فتبين أنه مصاب بسرطان متقدم منتشر في أسفل المريء، وعامة لا يجرون جراحة لحالات كهذه، ويتركون المريض يعود ليموت مع أهله، لكن أستاذًا مسنًّا في قسم الجراحة

(١) السمعاني ٢/ ٤٣٦

ما عرف ربه من شك في قدرة الله في إنفاذ وعده ووعيده.





كان مهتمًا بهذه الجراحات. يقول لي عم **محمد**:

«نفسي نعمل العملية يا بيه وارجع آكل تاني».

فأؤكد له أنها ستتم وستكون ناجحة، عالمًا أن فرصة هذا البائس في أن يعيش للشهر القادم صفر.

ويدخل الأستاذ الكبير غرفة الجراحة، ويرقد عم محمد محمد خميس غائبًا عن الرشد بينما نحتشد لنرى ما يحدث.. الجراح الكبير المسن يشق الجلد تحت الضلوع، ثم يتذكر أنه هذا هو الاتجاه الخطأ فيغير اتجاه الجرح.. يتبادل الجرّاحون نظرات صامتة.. خطأ قاتل لكن لا أحد يجرؤ على الاعتراض.

بعد الجراحة أسأل الطبيب المقيم عما يجب أن أفعله للرجل عندما يفيق، فيقول في مرارة: «إنت فاكره ممكن يفوق بعد العَكّ ده؟»

الرجل يرقد في الفراش صابرًا وبطنه مفتوحة، وابن الرجل يقول لي:

«أبويا كويس.. بس المشكلة إنه لما بيشرب بيبسي بتخرج من رقبته!».

الممرضة طيبة القلب تنصحني بألا أجري الغيار على الجرح؛ حتى يموت عم محمد محمد خميس ويستريح.

لقد صار عم **محمد محمد خميس** تمثالاً للمعاناة التي حطمت حدود الجسد.. لا يشكو ولا يتألم..

وجاء اليوم الذي جاء فيه أربعة رجال يشبهونه في الفقر والنحول والملامح، ليحملوه عائدين لقريته..

خطر لي أنه كان من الأفضل أن يموت بالسرطان ميتة أنيقة سريعة بلا معاناة.

بعد شهرين..

الأستاذ الكبير المُسِنُّ الذي أجرى جراحة عم **محمد محمد خميس** قد مات صباح اليوم بنوبة قلبية، وجنازته ظهر اليوم! وغادرت القسم وأنا استرجع شريط ذكرياتي عن هذا الأستاذ، وفجأة وجدت أنني أقف أمام عم **محمد محمد خميس**! نفس الفقر والنحول والبؤس والعينين الزجاجيتين لكنه سليم.. لكنه حي! وكان ابنه المذعور بجواره يضحك. قال لي في حرارة:

«أنا الحمد لله خفّيت يا بيه.. بس فيه مشكلة مضايقاني.. البيبسي لسه بيخرج من رجَبْتي!».

ولسان الحال:

وكم من مريض نعاه الطبيب	إلى نفسه وتولى كئيبا
فمات الطبيب وعاش المريض	فأضحى إلى الناس ينعى الطبيبا

قدرة الله على إهلاك المجرمين:

إن التاريخ حافل بقصص مصارع الأمم التي حادت عن أمر الله، فأنزل بها القدير عذابه، وسلَّط عليها

انتقامه، وقد امتلأت آيات القرآن بالحث على الاعتبار من عاقبة الذين من قبلنا، وكأنه يأمرنا بدراسة السنن الربانية المطردة، والتي لا تتم إلا عبر الاستقراء التاريخي للأحداث، ودراسة أحوال الأمم الماضية، والوقوف على عوامل تقدمها وأسباب سقوطها، وأما عرض الوقائع والأحداث دون استجلاء العبر والسُّنَن، فلا يفيد شيئًا في تقوية البناء الإيماني والنفسي للمؤمن.

وإليك مثلاً هذه الآية التي تتجلى فيها قدرة الله الخارقة:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾.

هي آية تخاطب مشركي قريش، ومن خلفهم من المعاندين:

أوَ لم تمروا في طرق التجارة إلى الشام واليمن والعراق، فتشاهدوا ديار الأمم الماضية العاتية وقد هلكوا لما كذَّبوا الرُّسل، وبقيت آثار هلاكهم باقية شاهدة أنهم كانوا أشدَّ مِنكم قُوَّة وآثارًا في الأرض، فما نفعهم ذلك لما جاء أمر الله؛ لأن الحقيقة الراسخة استقرَّت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾..

واللام في ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾ و﴿مِن﴾ تأكيدان اثنان للنفي، ﴿وَلَا﴾ في قوله ﴿وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ تأكيدٌ ثالثٌ، ففي عبارة واحدة وآية واحدة تلمح ثلاثة تأكيدات على قدرة الله، فلن يُعجِز الله هؤلاء المكذِّبون لرسوله والمحاربون لدينه، ولن يسبقوه هربًا، ولن ينجوا من الهلاك إن أراد الله إهلاكهم، والسبب في ذلك ببساطة:

كمال علمه وقدرته ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾.

فهو بليغ العلم بكل شيء في هذا العالم، فلا يخفى عليه شيء مما وُجِد أو سيوجِد.

وبليغ القدرة على كل شيء، ولذلك علِم أعمال القوم المجرمين، فعاقبهم بموجبها بقدرته الغالبة.

ومن كان قادرًا على معاقبة من مضى كان قادرًا على معاقبة من حضر، فإن كانت أعمالكم مثل أعمالهم، فقانون التماثل سارٍ وَجارٍ لا يتوقف.

وقد حصر الله في العلم والقدرة أسباب انتفاءِ أن يكون شيءٌ يُعْجِز الله؛ لأن عجز أي صاحب إرادة عن تحقيق ما يريد: إما أن يكون سببه عدم علمه بالطريق الموصل إلى ما يريد، وهو ما ينافي تمام العلم، أو عدم استطاعته الوصول إليه والتمكن منه، وهو ما ينافي عموم القدرة.

قدرة المخلوق عجزٌ

قدرة كل مخلوق مسبوقة بعجز، فقد كان طفلاً صغيرًا لا يقوى على تصريف شؤون نفسه فضلاً عن شؤون غيره.

ما عرف ربه من استسلم للظروف وأوقفته العقبات، فكان ذا همة سافلة وعزيمة خائرة.



- قدرة المخلوق مخوَّلة له من قِبَلِ الخالق، فلو نزع الله منه قدرته لما قدر على شيء! فقدرته بحسب ما سمح الله به، وليست قدرة مستقلة.
- قدرة المخلوق مهما عظم ملكه وسلطانه لا تستطيع أن تنفِّذ ما أراد إلا أن يستعين بالأعوان والخبراء.
- قدرة المخلوق تتناول بعض الجوانب والأجزاء، فيعجز عن أشياء كثيرة لا يحيط بها علمًا ولا قدرة.
- قدرة المخلوق مصيرها إلى انهيار، وذلك بالحوادث والمرض؛ وإلا فبالهِرَم وسوء الكِبَر.

وهذا الضعف لصالح الإنسان، وأحد أهم أسباب تدينه وقوة عزيمته، فالضعيف لابد له من قوي يلتجئ إليه، وليس أقوى من الله، فهذا الضعف سبب اللجوء إلى الله والتوكل عليه.



ثالثًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١) اصدق التوكل عليه

من عرف أن الله على كل شيء قدير، فإنه يتوكل عليه ويفوض أموره جميعًا إليه في قضاء الحوائج وتفريج الكربات، فيركن إلى جنابه، ولا يلتفت بقلبه يمنة ولا يسرة إلى غير الله، لأن مقاليد الأمور بيده، فلا يستعصي عليه شيء.

وأما المخلوق الضعيف، فمهما أوتي من القوة والقدرة والملك، فكل ذلك محدود لديه، وهو الموصوف بالعجز والقصور.

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾..

هذا قول **القدير** سبحانه **لزكريا** عليه السلام لما تعجَّب أن يكون له ولد، وقد بلغ من الكِبَر عتيًّا وامرأته عاقر، وهو نفس قوله لمريم لما تعجَّبت أن تأتي بولد من غير زوج، ومعنى هذه العبارة:

افهموا أن طلاقَة القدرة الإلهية لا تقف على عتبة الأسباب المادية، فتعلَّقوا به وتوكَّلوا عليه.

إذا داهَمَتْكَ عظامُ الأمـور	ولم تَرَ منها عليها مُجيرا
وصيَّـرك الهَمُّ في قبضـة	من النائبات أسيرًا حسيرا
هُنالك فارْجُ القديرَ الَّـذي	يُصيِّـر كلَّ عسيـرٍ يسيـرا

٢) باب عزة المؤمن

إيمانك بقدرة الله **القدير** التي لا يعجزها شيء هو بابٌ إلى العزة وقوة القلب في مواجهة الظالمين والكافرين، فهؤلاء في قبضة الله تعالى وتحت قدرته وقهره، وهذا الشعور كفيل بالأخذ بكل أسباب النصر،

عرف ربه القدير من تواضع لقدرة الله، ولم يفتخر بقدرته على ضعيف.

ودفع اليأس عن النفوس، كما أنه سبب عدم الاكتراث بقوة الكافرين.

٣) لا تظلم

لأن القدير قادر على الانتقام للمظلومين من كل ظالم مما يردعك عن ظلمك وعدوانك، وما أحسن قول **عمر بن عبد العزيز** إلى بعض عماله:

«أما بعد.. فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد، فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئًا إلا كان زائلاً عنهم باقيًا عليك، واعلم أن الله عز وجل آخذٌ للمظلومين من الظالمين، والسلام»[(١)].

فإذا ولّاك الله على أحد من المسلمين، فتذكَّر أن يد الله فوق يدك، وأن الله قادر عليك كما أقدرك على هؤلاء.

إن كنت مديرًا.. وتحت إمرتك موظفون، فإياك أن تظلم منهم أحدا، واعلم أن خطأك في العفو خير من الخطأ في العقوبة، وإذا التبس عليك أمر فغلِّب جانب العفو تسلم، فالقصاص واقعٌ في الدنيا وإلا كان يوم القيامة.

هم تحت سلطتك اليوم، ولكن الله عزوجل قادرٌ على أن يبدِّل الأحوال، فتكون في موقف أنت أحوج ما تكون فيه إلى لطف الله، فتحرمها لأنك لم تلطف بعباده، فلا تقْسُ على من تحت يدك من ضعفاء وأجراء فتُحرَم رحمة الله، وتذكر:

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها ... ولا ظـالمٌ إلا سيُبْلى بظالم

الظلم ديدن كل مستطيع!

ولا تحسبنَّ نفسك بمنأى عن الظلم، فلعلك ضالع فيه وأنت لا تشعر، أو لا تقع فيه لأنك لا تقدر عليه، فراجِع نفسك.

قال **ابن عقيل**:

«رأيتُ الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز، ولا أقول العوام، بل العلماء...

كانت أيدي الحنابلة مبسوطة في أيام **ابن يوسف (عبد الملك بن محمد بن يوسف البغدادي)**، فكانوا يتسلطون بالبغي على أصحاب **الشافعي** في الفروع، حتى لا يمكنوهم من الجهر بالقنوت، وهي مسألة اجتهاد، فلما جاءت أيام النظام (نظام الملك **أبو علي الحسن بن علي إسحاق الطوسي**)، ومات **ابن يوسف**

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٥٦.

ما عرف ربه القدير من افتخر بقدرته، ولم يرها نعمة من الله يستطيع أن يسلبها متى شاء.

وزالت شوكة الحنابلة استطال عليهم أصحاب **الشافعي** استطالة السلاطين الظلمة، فاستَعْدَوْا بالسجن، وآذوا العوامَّ بالسعايات، والفقهاء بالنبز بالتجسيم.

قال: فتدبَّرتُ أمر الفريقين، فإذا بهم لم تعمل فيهم آداب العلم، وهل هذه إلا أفعال الأجناد يصولون في دولتهم، ويَلزَمون المساجد في بَطالَتهم»[1].

وهذا قد يجيب على سؤالٍ حيَّر الكثيرين:

- كيف يظلم غيره وقد حافظ على الصلوات الخمس؟!
- كيف يأكل مال اليتيم وهو الحاجُّ لبيت الله الحرام كل عام؟!
- كيف يهضم حق زوجته وأبنائه وهو العالم الشرعي الذي يدرِّس في محاضراته حقوق الزوجة والأبناء؟!

ولذا قرَّر **ابن تيمية** قولاً قد يصدم البعض، فقال:

«وأما قول من يقول: الأصل في المسلمين العدالة فهو باطل، بل الأصل في بني آدم الظلم والجهل، كما قال تعالى:

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ومجرد التكلم بالشهادتين لا يوجب انتقال الإنسان عن الظلم والجهل إلى العدل»[2].

٤) اقهر المستحيل

قوة الإنسان إنما هي من الله، ومن استمد من القدير أمدَّه بالقدرة اللامحدودة، ومن قصَّر في الطلب عوقب بالعجز.

تستطيع أو لا تستطيع بحسب ما تفتح وعاء روحك لينسكب فيه عون الله أو تغلقه، فتكون من المحرومين.

ومن هزيمة المستحيل أن تقلع عن عاداتك السيئة ولو كنت مدمنًا لها، فكيف لو كانت من الكبائر الواجب الإقلاع عنها كالزنا والسرقة والظلم والرشوة!

ومن هزيمة المستحيل أن تتحلى بالخصال الحميدة ولو قضيتَ عمرك هاجرًا لها، فكيف لو كانت من الفرائض كالصدق وسلامة الصدر والوفاء بالعهد؟!

(١) كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي ٣/ ٢٢، ٢٣ - محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الحنبلي - مؤسسة الرسالة.
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٥٧.

عرف ربه القدير من لم يستعظم على قدرة الله أن تغفر ذنوبه، فملأ قلبه بالرجاء.

٥) لا تغتر بقدرتك

تبرَّأ من حولك وقوتك وتعلَّق بحول الله وقوته؛ ولذا أرشدنا رسول الله ﷺ إلى كنز من كنوز الجنة: «لا حـول ولا قوة إلا بالله»، فلا حول أي لا يحول بيننا وبين ما نكره إلا الله، ولا قوة أي لا قوة لنا على ما نحب إلا بالله.

كان بعض المرضى يبكي بكاءً مرًّا؛ لأنه يشتهي الطعام، فلا يأكله بأمر الطبيب، فكان يبكي شفقة على نفسه، ثم بلغت به الحال أن صار يضرب نفسه بالحذاء ليجبِرَها على الأكل، فلا يستطيع.

ولذا علَّمنا النبي ﷺ في كل وقت وعند كل كرب:

«يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، اللهم أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا»[١].

٦) اقتبس من عفو الله عند المقدرة

قال سبحانه وتعالى:

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ أي تتجاوزوا عَنْ السوء وهو الظلم مع ما أُذِن لكم من مؤاخذة الظالم والمسيء، وتعفو عن الجناة مع قدرتكم على الانتقام منهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، وختام الآية بهذين الاسمين يدل على أن المستحب هنا: العفوُ عند المقدرة، بل مع المبالِغة في هذا العفو مع كمال القدرة على المؤاخذة اقتداءً بسُنة الله العفو القدير، وأنتم أوْلى بهذا من الله سبحانه، فإن القدير إذا عفا، فغير القادر أوْلى، فثمرة هذه الآية الحث على العفو.

قال **عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد:**

يا أمير المؤمنين.. أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني.

فعفا عنه لما ذكَّره قدرة الله تعالى[٢].

وهي وصية **أبي حامد الغزالي** لعلاج الغضب:

«أن يخوِّف نفسه بعقاب الله، وهو أن يقول: قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيتُ غضبي عليه؛ لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة، أحوج ما أكون إلى العفو»[٣].

(١) صحيح: رواه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم: ٥٧٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٣٤٥ رقم: ٦٥٤.
(٢) أدب الدنيا والدين ٢٥٩.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٣.

ما عرف ربه القدير من استعظم على الله أن يغفر ذنبه، فهو يائس قانط.



٧) تحقق بعجزك تقتدر

قال **ابن عطاء** في الحكم:

«تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه، تحقق بذُلك يمدك بعزه.

تحقق بعجزك يمدك بقدرته.

تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته».

إذا جلست على بساط الذل وقلت: يا عزيز.. من للذليل سواك؟! أعزَّك.

وعلى بساط العجز وقلت: يا قادر.. من للعاجز سواك؟! قدَّرك.

وعلى بساط الضعف وقلت: يا قوي.. من للضعيف سواك؟! قوَّاك.

وعلى بساط الفقر والحاجة وقلت: يا غني.. من للفقير سواك؟! أغناك.

وعندها تسعى الإجابة بين يديك، فتصير عزيزًا وقادرًا وقويًّا وغنيًّا بالله، فقد أمدك بأوصاف الربوبية بعد أن تحقَّقْتَ بأوصاف العبودية.



وبصدق دعائك وصدق افتقارك تبلغ أعلى درجات العبودية من خلال اعترافك بالعجز والضعف والجهل؛ وعندها تبلغ عند ربك أسمى الدرجات المرضية.

قال **ابن القيم**:

«الفقر إلى الله عز وجل هو عين الغنى به، فأفقر الناس إلى الله أغناهم به، وأذلهم له أَعزُّهم، وأضعفهم بين يديه أقواهم، وأجهلهم عند نفسه أعلمهم بالله، وأمقتهم لنفسه أقربهم إلى مرضاة الله»[١].

وفي الحديث:

«ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء»[٢].

قال **المناوي** وهو يُفصِح عن سر كرامة عبادة الدعاء:

«لدلالته على قدرة الله وعجز الداعي»[٣].

(١) طريق الهجرتين ١/ ٣٣.
(٢) حسن: رواه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٣٩٢.
(٣) فيض القدير ٦/ ٣٦٥.

عرف ربه القدير من أكثر المسألة وأعظَم ما طلبه من ربه.

سبحان ربي القدير..

- لو أراد أن يعطي عقيمًا عشرة من الولد لأعطى.
- لو أراد أن يتفضَّل بالفردوس الأعلى لمن قصُر به عمله عن بلوغ ذلك لفعل.
- لو أراد العفو عن أعظم الخلق إساءة؛ لأدخله الجنة بغير مناقشة حساب ولا سابقة عذاب.
- لو أراد هداية أشد الخلق ضلالة وغواية؛ لقال له كن فيكون.
- لو أراد شيئا من هذا أو كل هذا ما أعجزه.. حاشاه.

٨) تيقَّن بالمغفرة ولا تستبعِد العفو:

من عرف قدرة الله عزوجل، علم أن القدير لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره.

قال **ابن عطاء**:

«من استغرب أن يُنقِذه الله من شهوته، وأن يُخرِجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية.. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾».

وعلَّق **ابن عباد النفري** على هذه الحكمة فقال:

«ومن أغرب ما رأيته في هذا المعنى ما رواه عبد الصمد بن مغفل عن عمِّه وهب بن مُنبِّه أن رجلاً قتل نفسًا، فجاء إلى سائح من سائحي بني إسرائيل، فسأله عن ذلك وهل له توبة؟ فرفع له السائح من الأرض عرجونًا (عذق النخل إذا يبس واعوجَّ) أبيض قديمًا، ثم قال له: إذا اخضرَّ هذا العرجون قُبلت توبتك، وأراد السائح بذلك أن يؤيِّسه من التوبة لعظم ذنبه، فأخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم، فتاب وجعل يعبد الله زمانًا ويدعو حتى اخضر ذلك العرجون بإذن الله وقدرته!»[1].

٩) اغترف من محبة القدير:

ولماذا كان من الواجب علينا محبة الله القدير؟!

وما علاقة الحب بالقدرة؟!

يجيب **أبو حامد الغزالي** فيقول:

«وأما صفة القدرة فهي أيضًا كمال، فكل كمال وبهاء وعظمة واستيلاء، فإنه محبوب وإدراكه لذيذ حتى إن الإنسان ليسمع في الحكاية شجاعة **علي وخالد** رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاؤهما على الأقران، فيضاف في قلبه اهتزازًا وفرحًا وارتياحًا ضروريًّا بمجرد السماع فضلاً عن المشاهدة! ويورث ذلك

---

(١) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية لابن عباد النفري ص ٣١٦ - مكتبة الإيمان القاهرة.

ما عرف ربه القدير من لم يرضَ بقدره واعترض عليه.





حبًّا في القلب ضروريًّا للمتصف به، فإنه نوع كمال.

فانسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى، فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكًا وأقواهم بطشًا وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس، إنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه، وعلى بعض أشخاص في بعض الأمور، وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتًا ولا حياة ولا نشورًا ولا ضرًّا ولا نفعًا، فليست قدرته من نفسه وبنفسه، بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكِّن له من ذلك، فليس للعبد قدرة إلا بتمكين مولاه، فيستحيل أن يحب (أحدٌ) عبدًا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته، ولا يحب الله تعالى لذلك»[(١)].

١٠) سلِّم لقدَر الله خيره وشرِّه:

القدير هو ملك التقدير، فالقضاء علمٌ وكتابة ومشيئة، ثم تنفيذ هذا القضاء، ولا يملك هذا إلا القدير، وهو ما يجعل العبد مستسلمًا لقضاء ربه، راضيًا به، وغير متذلل لأحد غير ربِّه، غير ندمان على قرار أمضاه كائنًا ما كان.

دخل **أبو الحجاج الأزدي** على **سلمان الفارسي** رضي الله عنه: ما معنى قول الناس (حتى تؤمن بالقدر خيره وشره)؟

قال: «حتى تؤمن بالقدَر، تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، ولا تقول: لو فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولو لم أفعل كذا وكذا، لم يكن كذا وكذا»[(٢)].

رابعًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهم بِعِلمكَ الغيْب وقدْرَتِك على الخَلقِ، أحيني ما علِمْت الحَيَاةَ خيرًا لي، وتوفني إذا علِمْت الوفاة خيرًا لي».

أسألك باسمك القدير..

اقدر لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به مهما كان.

أسألك باسمك القدير..

يا ملاذنا في المعضلات، ومقصدنا في المُلِمّات.. هوِّن علينا كل شيء، ويسِّر لنا كل صعب، وفرِّج عنا كل كرب، وارفع عنا كل بلاء.

(١) إحياء علوم الدين بتصرف ٤/ ٣٠٤.
(٢) الشريعة ٢/ ٨٥٥ - الآجُرِّيُّ البغدادي - ط دار الوطن - الرياض.

عرف ربه القدير من رضي بالقَدَر خيره وشره.

أسألك باسمك القدير..

أرنا قدرتك في كل شيء حتى نزداد لك إيمانًا وعليك توكلاً..

أسألك باسمك القدير..

أرنا قدرتك على إهلاك الظالمين.. أرنا قدرتك في نصرة الحق المبين، حتى لا نخاف غيرك، ولا نتعلق إلا بك..

أسألك باسمك القدير..

هب لنا من قدرتك ما نجتاز به الصعاب..

هب لنا من قدرتك ما نحقِّق به المحال..

هب لنا من قدرتك ما نجتاز به في مرضاتك كل واد..

أسألك باسمك القدير..

اجعلنا نسلِّم لتقديرك لنا في السراء والضراء، والمنع والعطاء.

خامسًا: حاسب نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل وقع منك ظلم على من حولك؟			
٢	هل تثق في قدرة الله على تغيير أحوالك، مهما أحاطت بك أسباب العجز والقهر؟!			
٣	هل تعفو عند المقدرة رجاء أن يعفو الله عنك في الآخرة؟			
٤	هل استبعدت المغفرة يومًا ما لعظيم جرمك؟			
٥	هل تُسلِّم لقدَر الله في البأساء والضراء؟			

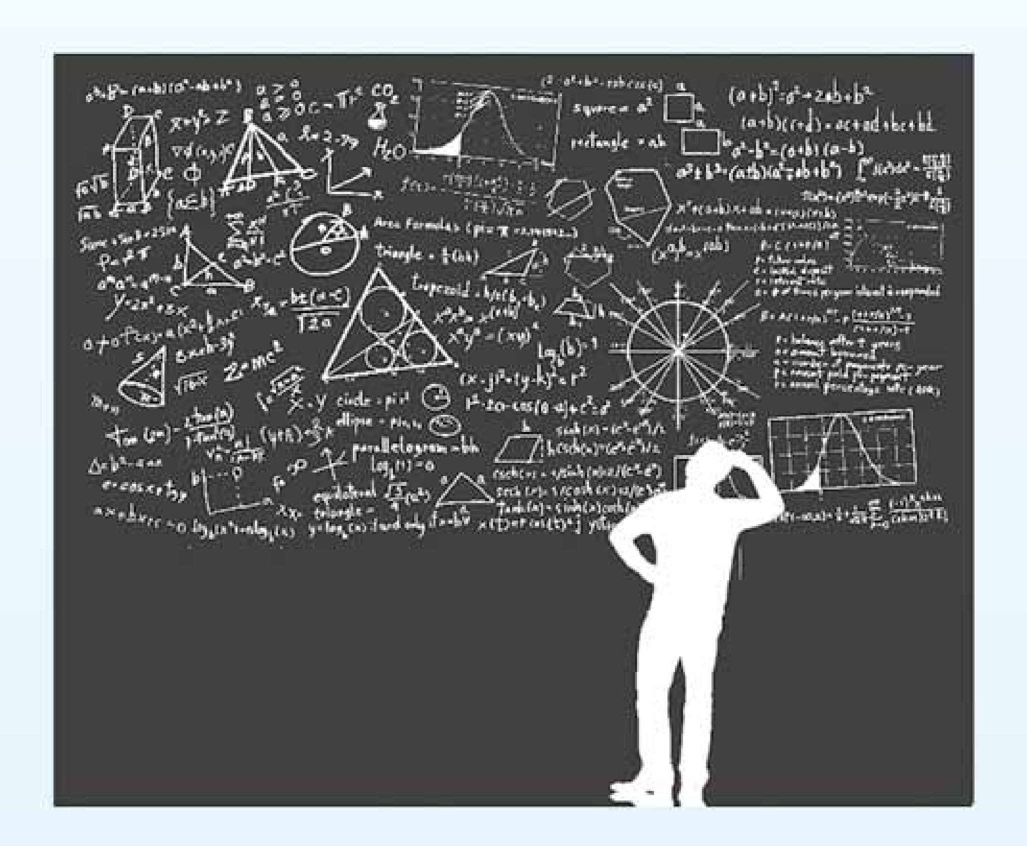
ما عرف ربه القدير من استبعد على قدرة الله أي شيء.

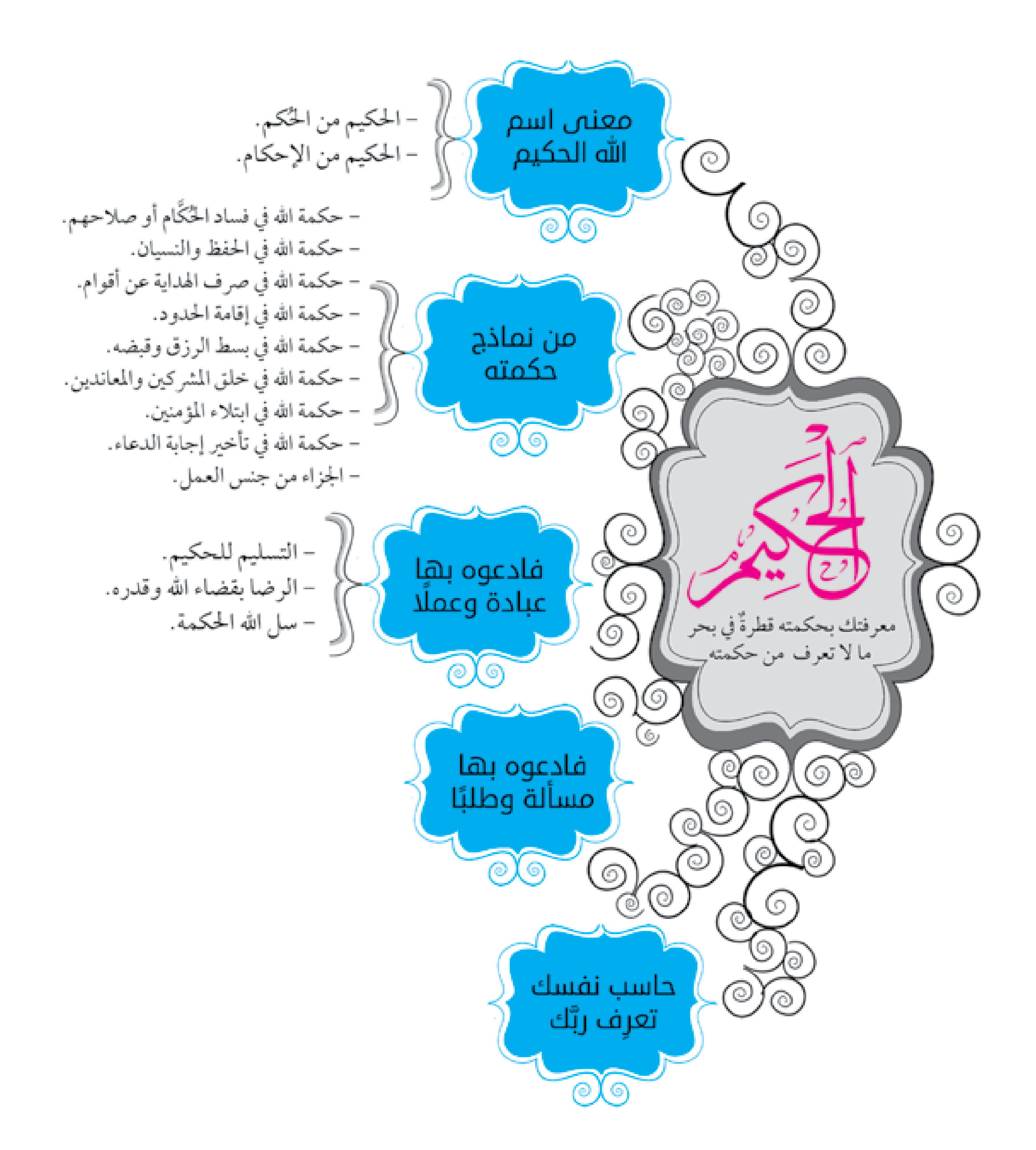


معرفتك بحكمته قطرةٌ في بحر ما لا تعرف من حكمته

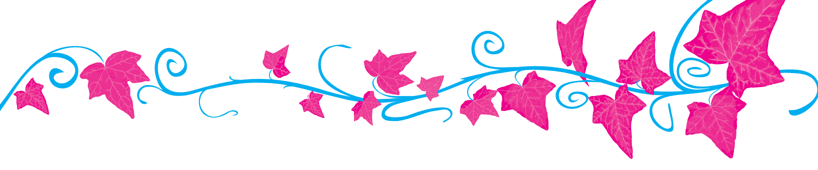
المتقن الذي لا يدخل تدبيره أدنى خلل ولا زلل، فأفعاله سديدة وصنعه مُتقن.

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾





الحكيم
معرفتك بحكمته قطرةٌ في بحر
ما لا تعرف من حكمته
معنى اسم
الله الحكيم
- الحكيم من الحُكم.
- الحكيم من الإحكام.
من نماذج
حكمته
- حكمة الله في فساد الحُكَّام أو صلاحهم.
- حكمة الله في الحفظ والنسيان.
- حكمة الله في صرف الهداية عن أقوام.
- حكمة الله في إقامة الحدود.
- حكمة الله في بسط الرزق وقبضه.
- حكمة الله في خلق المشركين والمعاندين.
- حكمة الله في ابتلاء المؤمنين.
- حكمة الله في تأخير إجابة الدعاء.
- الجزاء من جنس العمل.
فادعوه بها
عبادة وعملًا
- التسليم للحكيم.
- الرضا بقضاء الله وقدره.
- سل الله الحكمة.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرِف ربّك



ورد اسم الحكيم في القرآن في واحد وتسعين موضعًا.

وهو أكثر الأسماء اقترانًا باسمه سبحانه (العزيز) في القرآن حيث ورد في نحو ستة وأربعين موضعًا.

أولاً: معنى اسم الله الحكيم

وقد اشتُقّ هذا الاسم الكريم من (الحُكْم) أو (الحكمة)

المعنى الأول: الحكيم من الحُكم

(الحُكم) أي أن له سبحانه الحكم كله في الدنيا والآخرة والحكم هنا يتناول الأحكام الثلاثة: الأحكام الكونية القدرية، والأحكام الدينية الشرعية من الحلال والحرام، والأحكام الجزائية بالثواب والعقوبة، فله الحكم فيها كله لا شريك له في حكمه، كما لا شريك له في عبادته. قال سبحانه وتعالى:

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

المعنى الثاني: الحكيم من الإحكام

(الإحكام) أي الذي له الحكمة البالغة في خلقه وأمره وشرعه، فلا يخلق ولا يأمر إلا بما فيه المصلحة والحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

قال الحليمي:

«الحكيم: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير»(١).

يقول صاحب الظلال:

«إنه من يدري فلعل وراء المكروه خيرًا، ووراء المحبوب شرًا، إن العليم بالغايات البعيدة المطلع على العواقب المستورة هو الذي يعلم وحده، حيث لا يعلم الناس شيئًا»(٢).

قد يملك الإنسان قدرة باطشة وعلمًا دقيقًا، لكن من غير حكمة قد يُفسِد أكثر مما يصلح، ولا يكون الكمال البشري إلا بالحكمة، فكيف بحكمة الحكيم؟!

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٦٦.
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٢٢٣.

قال ابن القيِّم:

«إن العلم والقدرة المجردين عن الحكمة لا يحصل بهما الكمال والصلاح، وإنما يحصل ذلك بالحكمة معهما، واسمه سبحانه الحكيم يتضمن حكمته في خلقه، وأمره في إرادته الدينية والكونية، وهو حكيم في كل ما خلقه وأمر به»[1].

وعن سبب تقديم اسم الله (العزيز) على الحكيم في جميع الآيات أن العِزَّة هي كمال القدرة، والحكمة هي كمال العلم، والله سبحانه موصوف بكلِ صفة كمالٍ، وتقدَّم وصف القدرة؛ لأنها الأقرب إلى ما يشاهده الخلق؛ وهي ما فعل الله تعالى وأظهر من آياته، وأما الحكمة فمتعلِّقة بالنظر والتفكر في الأغلب، وجاءت متأخرة لأنه لا يشاهدها كل الناس، بل أولو الفكر والاعتبار.

«الحكيم الذي إذا أمَر بأمرٍ كان المأمور به حسنًا في نفسه، وإذا نهى عن شيء كان المنهي عنه قبيحًا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقًا، وإذا فعل فعلاً كان صوابًا، وإذا أراد شيئًا كان أوْلى بالإرادة من غيره.

وهذا الوصف على الكمال: لا يكون إلا لله وحده»[2].



ثانيًا: من نماذج حكمته

حكمة الله في فساد الحُكّام أو صلاحهم:

قال ابن القيِّم:

«وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم، بل كأن أعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم، فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جارت ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها منعت ملوكهم وولاتهم ما لهم عندهم من الحق، وإن أخذوا ممن يستضعفونه مالا يستحقونه في معاملتهم أخذت منهم الملوك مالا يستحقونه، وضربت عليهم المكوس والوظائف، وكل ما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة، فعُمَّالهم ظهرت في صور أعمالهم، وليس في الحكمة الإلهية أن يولي على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم.

ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها كانت ولاتهم كذلك، فلما شابوا شابت لهم الولاة، فحكمه

(١) طريق الهجرتين ١/ ١١٠.
(٢) التفسير القيم ١/ ١٨٨.

ما عرف ربه الحكيم من غابت عنه حكمة الله في توسيع الرزق وتعسيره.

الله تأبى أن يولي علينا في مثل هذه الأزمان مثل **معاوية وعمر بن عبد العزيز** فضلاً عن مثل **أبي بكر وعمر**، بل ولاتنا على قدرنا، وولاة من قبلنا على قدرهم»[١].

حكمة الله في الحفظ والنسيان:

قال ابن القيم:

«فإنه لولا القوة الحافظة التي خص بها لدخل عليه الخلل في أموره كلها، ولم يعرف ماله وما عليه، ولا ما أخذ ولا ما أعطى، ولا ما سمع ورأى، ولا ما قال ولا ما قيل له، ولا ذكر من أحسن إليه، ولا من أساء إليه، ولا من عامله، ولا من نفَعَه فيُقرِّب منه، ولا من ضرَّه فينأى عنه، ثم كان لا يهتدي إلى الطريق الذي سلكه أول مرة، ولو سلكه مرارًا، ولا يعرف علمًا ولو درسه عمره، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئًا على ما مضى، بل كان خليقًا أن ينسلخ من الإنسانية أصلاً، فتأمل عظيم المنفعة عليك في هذه الخلال، وموقع الواحدة منها فضلاً عن جميعهن.

ومن أعجب النِّعم عليه نعمة النسيان، فإنه لولا النسيان لما سلا شيئًا، ولا انقضت له حسرة، ولا تعزَّى عن مصيبة، ولا مات له حُزن، ولا بطل له حقد، ولا تمتَّع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات، ولا رجا غفلة عدو، ولا نقمةً من حاسد.

فتأمَّل نعمة الله في الحفظ والنسيان مع اختلافهما وتضادهما، وجعله في كل واحد منهما ضربًا من المصلحة»[٢].

حكمة الله في صرف الهداية عن أقوام:

قال ابن القيم:

«وتأمل حكمة الله تعالى في صرفه الهدى والإيمان عن قلوب الذين يصرفون الناس عنه، فصدَّهم عنه كما صدوا عباده، صدًّا بصد، ومنعًا بمنع»[٣].

حكمة الله في إقامة الحدود:

في الحديث: قال رسول الله ﷺ:

«حدٌّ يُقام في الأرض خيرٌ من مطر أربعين صباحًا»[٤].

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٥٣، ٢٥٤.
(٢) مفتاح دار السعادة ص ٢٧٧.
(٣) مفتاح دار السعادة ٢٥٣.
(٤) حسن لغيره: رواه ابن حبان في صحيحه رقم: ٤٣٨٢.

عرف ربه الحكيم من فهم الحكمة من الابتلاء، فلم يجزع ولم يسخط.

لكن.. هل في إقامة الحد قسوة؟! خذ حدَّ السرقة- بقطع اليد- مثلاً..

يقول الدكتور **محمد عبد الله دراز**:

«على أننا ينبغي أن نذكر أن هذه القسوة ضد اللصوص ليست سوى قسوة ظاهرة، وفي نطاق النظرية، أما من الناحية العملية؛ فكلما كانت العقوبة أشد تنكيلاً قلَّ غالبًا تطبيقها، فعِظَم الجزاء يجعل مخالفته أدنى إغراء وأقلَّ إغواء، فلا يجد النظام أمامه عقبات كبيرة يتعين عليه اجتيازها كي ما يسيطر سيطرة كاملة.

وما علينا لكي نقتنع بهذا إلا أن نرجع إلى السجلات القضائية في البلاد التي تعاقب على السرقة بالغرامة، والتعويض، أو الحبس، وفي بلد آخر كالعربية السعودية، حيث ما زال الجزاء القرآني معمولاً به، هنالك سوف نجد أعدادًا لا حصر لها من الرجال الذين لا يُرجَى صلاحهم، وهنا يكاد الناس يكونون معصومين.

ولربما قيل: إنه فرق في الطبيعة، ولقد زرت بنفسي الحجاز في أوائل عام ١٩٣٦م فأذهلني أني حيثما وجهت وجدت تباينًا كاملاً بين بلادنا وهذا البلد، فإن السرقة لم تختفِ من المدن فحسب، بل إنها لم تلحظ حتى في الجبل، والصحراء، بل لم يشك في حدوثها، أو يظن. حتى إن حقيبة ضائعة ملقاة على الطريق غير المأهولة، والتي لا يمكن أن تصبح مأهولة، يحتمل أن تبقى في مكانها إلى ما لا نهاية، دون أن يجرؤ امرؤ على لمسها، ولو بدافع الفضول.

ومع ذلك فكل شيء هنالك كان يغري بها: الفقر المدقع بين سكان الجبال، وثراء السياح والحجاج، وندرة وسائل المواصلات، وعدم وجود الشرطة تقريبًا على مسافة بعيدة.

ولكن كان حسب **ابن سعود**، في مستهل ارتقائه السلطة، بضعة أمثلة واعظة، وإن كانت عنيفة، حتى يقضي مرة واحدة، وفي كل مكان على كل محاولة للسرقة، والاختلاس في مملكته الواسعة، وكأنما كانت معجزة»[1].

وإنه لقانون سارٍ على الصغير والكبير، الفقير والأمير؛ ولذا صدح نبينا: **«ولو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»**، وأما أن تحمي الظالم وتعاقب المظلوم، فهزلٌ لا يمُتُّ لدين الله بصِلة، وعندها يقوم (السارق الكبير) بمعاقبة (صغار السارقين) الذين زلَّت أقدامهم في مزالق تسبَّب فيها كبار لصوص القوم، وتصير يد السارق الكبير- الذي يجب أن يُقام عليه الحد- تقطع يد السارق الصغير الجائع الذي يجب أن يُرفَع عنه الحد.

وقد تغيب حكمة الحكيم في الحدود عن أصحاب العقول، لكنها لا تغيب أبدًا عن أهل الإيمان. قال

(١) دستور الأخلاق في القرآن ص ٢٦٨، ٢٦٩ - محمد بن عبد الله دراز - ط مؤسسة الرسالة.

عرف ربه الحكيم من لم يفهم الحكمة من الابتلاء فجزع وسخط وفقد الرضا.



ابن القيم:

«وأما قطع اليد في ربع دينار وجعل ديتها خمسمائة دينار فمن أعظم المصالح والحكمة، فإنه احتاط في الموضعين للأموال والأطراف، فقطعها في ربع دينار حفظًا للأموال، وجعل ديتها خمسمائة دينار حفظًا لها وصيانة»(١).

وقد تساءل **أبو العلاء المعرّي** عن حكمة قطع اليد في سرقة رُبع دينار مع أن ديَّتَها خمسمائة دينار، فقال:

يدٌ بِخَمسِ مئيــن عسْجَدٍ وُديَـت ... ما بالها قُطِعَت فـي ربـع دينــارِ

فأجابه القاضي **عبد الوهاب المالكي**:

عـزُّ الأمانــة أغـلاها، وأرخصها ... ذُلُّ الخيانة، فافهم حكمة الباري

إن عقوبات الذنوب نوعان: شرعية بالحدود، وقدَرية بالمصائب، فإذا أقيمت الحدود الشرعية رفع الله العقوبة القدَرية وخفَّفها، وإذا عُطِّلت العقوبات الشرعية استحالت عقوبات قدرية، وربما كانت أشد من الشرعية وأشمل وأعمَّ، فإن الحدود الشرعية تخصُّ، وأما القدَرِيَّة، فهي عامة تنزل بالخاصة والعامة.

حكمة الله في بسط الرزق وقبضه:

فهذا يُبسَط الرزق له فيوسَّع عليه في طعامه وشرابه وكسائه ومسكنه، وهذا يُضيَّق عليه، فلماذا؟!

والجواب: يُوسَّع امتحانًا للعبد؛ هل يشكر أو يكفر، ويضيِّق ابتلاءًا للعبد؛ هل يصبر أو يسخط، فالغِنى لا يدل على رضا الله على العبد ولا على سخطه، والفقر كذلك لا يدل على سخطٍ أو رضا.

حكمة الله في خلق المشركين والمعاندين:

ومن حكمته سبحانه أن يُظهِر لعباده حلمه وصبره وأناته وسعة رحمته وجوده، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به، ويضاده في حكمه، ويجتهد في مخالفته، ويسعى في سخطه، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات ويرزقه ويعافيه، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه كما في الصحيح عنه ﷺ أنه قال:

«ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله تعالى إنهم ليدعون له ولدًا ويجعلون له أندادًا وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم»(٢).

قال ابن القيم:

«فلولا خلق من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها

(١) إعلام الموقعين ٢/ ٤٨.
(٢) صحيح: رواه الشيخان عن أبي موسى كما في صحيح الجامع رقم: ٥٣٧٠.

عرف ربه الحكيم من فهم حكم تأخير الإجابة، فلم يستعجلها.

وأضعاف أضعافها، فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ذو الحكمة البالغة والنعم السابغة»[(١)].

حكمة الله في ابتلاء المؤمنين:

ذكر **ابن القيِّم** طرفًا منها في كتابه إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، وهو مناسب لوضعه في تناولنا لاسم الله الحكيم لأن الشيطان يتخذ ابتلاء المؤمنين وسيلة لبث الشكوك في قلوبهم وزلزلة إيمانهم، فقال في إظهار بعض حكم الابتلاء الغائبة عن الكثيرين:

أن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التى لو بقيت فيه لأهلكته، أو أنقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويأخذ بيده لتمام الأجر وعلو المنزلة، ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأقرب إليهم فالأقرب.

الابتلاء جسرٌ موصِلٌ إلى أكمل الغايات:

فإن الخوارق لا تحدث إلا بالعبور على جسور الآلام.

يقول **ابن القيم**: «إذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته وجدت أنه ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنهج في حقهم والكرامة، فصورته صورة ابتلاء وامتحان وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمةٍ جسيمة ومِنَّة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان، فتأمل حال أبينا آدم عليه السلام وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المنزلة، ولولا تلك المحنة التي جرت عليه وهي إخراجه من الجنة وتوابع ذلك؛ لما وصل إلى ما وصل إليه»[(٢)].

الابتلاء طريق التمكين في الأرض:

قيل **للشافعي**: يا أبا عبد الله.. أيهما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى؟ (أي بالضراء).

فقال **الشافعي**:

«لا يُمَكَّن حتى يبتلى، فإنَّ الله تعالى ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا -صلوات الله عليهم أجمعين- فلما صبروا (على الابتلاء) مكَّنهم»[(٣)].

أترجـو أن تسـودَ بـلا عنـاءٍ ... وكيف يسودُ ذو الدَّعَة البخيلُ؟!

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١/ ٢٣٩ - ابن قيم الجوزية - ط دار المعرفة.
(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٩٩.
(٣) الفوائد ١/ ٢٨٣.

ما عرف ربه الحكيم من لم يفهم الحكمة من تأخير إجابة دعائه، فغمره اليأس.

❍ تمحيص المؤمن وتخليصه من الشوائب المنافية للإيمان:

إن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم أو أرزاقهم حكمتها في التمحيص الناتج عن هذا الابتلاء والامتحان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾.

فالبلايا والمحن كواشف لما في القلوب وتظهر بها مكنونات الصدور، فلا يبقى معها زيف ولا دخَل، وإنما هو تصحيحٌ لا يبقى معه غبش أو خلل.

❍ صناعة العبودية:

من فوائد المحنة: استخراج عبودية العباد وذلهم لله، وانكسارهم له، وافتقارهم إليه، وسؤالهم نصرهم على أعدائهم، وقد كتب **أبو الدرداء** رضي الله عنه إلى **سلمان الفارسي**:

«يا أخي...، واغتنمْ دعوةَ المُبتَلى»(١).

وفي المقابل.. لو كانوا دائمًا منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا، ولو كانوا دائمًا مقهورين مغلوبين منصورًا عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة، ولا كانت للحق دولة.

❍ إزاحة المنافقين:

أنهم لو كانوا دائمًا منصورين غالبين قاهرين، لدخل معهم أصحاب الأغراض ممن ليس قصده الدين ومتابعة الرسول، فإنه إنما ينضاف إلى من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائمًا لم يدخل معهم أحد، فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة وعليهم تارة، فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله، ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

❍ استكمال عبودية الضراء:

سبحانه! يحب من عباده استكمال عبوديتهم في السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد، والجوع والعطش والنَّصَب، وأضدادها.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**:

«العوارض والمحن هي كالحر والبرد، فإذا علم العبد أنه لابد منهما لم يغضب لورودهما، ولم يغتم لذلك ولم يحزن»(٢).

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢١٤.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ٣٦١.

عرف ربه الحكيم من اطمأن لحكمة الله ووثق فيها، فاستراح وأراح.

فمـا نُـوَبُ الحوادث باقيــاتٌ ... ولا البؤس يـدوم ولا النعيـم
كما يمضي سرورك وهُو جـمٌّ ... كذلك مـا يســوؤك لا يــدوم
فلا تهلك على مـا فـات حزنًا ... ولا تعـروك بالأسف الهمـوم

كلما تمكَّنت المحبة فى القلب ورسخت فيه، كان أذى المُحب فى رضا محبوبه مُستَحلًى غير مسخوط، والمحبون يفتخرون عند أحبابهم بذلك، حتى قال قائلهم:

لَئِنْ سَاءنِى أَنْ نِلْتَنِى بَمِسـاءةٍ ... لَقَدْ سَرَّنِى أني خَطَرْتُ ببالك

فما الظن بمحبة المحبوب الأعلى، الذى ابتلاؤه لحبيبه رحمة منه له وإحسان إليه؟!

❍ حتمية الابتلاء فـي هذه الدار:

خلق السماوات والأرض وخلق الموت والحياة لابتلاء عباده وامتحانهم، وليعلم من يريده ويريد ما عنده ممن يريد الدنيا وزينتها. قال تعالى:

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢]

فأما من قال: آمنت فلا بد أن يمتحنه الرب ويبتليه، ليتبين: هل هو صادق فى قوله: آمنت، أو كاذب؟ فإن كان كاذبًا رجع على عقبيه، وفرَّ من الامتحان، كما يفرُّ من عذاب الله.

وإن كان صادقًا ثبت على قوله، ولم يزده الابتلاء والامتحان إلا إيمانًا على إيمانه.

وأما من لم يؤمن، فإنه يُمتَحن فى الآخرة بالعذاب، ويُفتَن به، وهى أعظم المحنتين، هذا إن سلم من امتحانه بعذاب الدنيا ومصائبها، وعقوبتها التى أوقعها الله بمن لم يتبع رسله وعصاهم، فلا بد من المحنة فى هذه الدار وفى البرزخ وفى القيامة لكل أحد، ولكن المؤمن أخفُّ محنة وأسهل بلية، فإن الله يدفع عنه بالإيمان، ويحمل عنه به ويرزقه من الصبر والثبات والرضا والتسليم ما يهون به عليه محنته.

وأما الكافر والمنافق والفاجر، فتشتد محنته وبليته وتدوم، فمحنة المؤمن خفيفة منقطعة، ومحنة الكافر والمنافق والفاجر شديدة متصلة.

أربعة أقسام للبلاء

إن البلاء الذى يصيب العبد فى الله لا يخرج عن أربعة أقسام، فإنه إما أن يكون في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه، أو في أهله ومن يحب.

وأشد هذه الأقسام: المصيبة فى النفس.

ومن المعلوم أن الخلق كلهم يموتون، وغاية هذا المؤمن أن يُستَشهد فى الله، وتلك أشرف الموتات

ما عرف ربه الحكيم من لم يثق في حكمة ربه في أقداره، فجزع واشتكى وناح وبكى.

وأسهلها، فمن عدَّ مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل، بل موت الشهيد من أيسر الميتات وأفضلها وأعلاها، ولكن الفارَّ يظن أنه بفراره يطيل عمره، وقد أكذب الله سبحانه هذا الظن، حيث يقول: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦]

وإذا كان هذا فى مصيبة النفس، فالأمر هكذا فى مصيبة المال والعرض والبدن، فإن من بخِل بماله أن ينفقه فى سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، سلبه الله إياه، أو قيَّض له إنفاقه في ما لا ينفعه دنيا ولا أخرى، بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلاً وآجلاً، وإن حبسه وادَّخره منعه التمتع به، ونقله إلى غيره، فيكون له مَهْنَؤهُ وعلى مخلِّفه وزره.

وكذلك من رَفَّه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفى سبيله أتعَبَه الله سبحانه أضعاف ذلك فى غير سبيله ومرضاته، وهذا أمرٌ يعرفه الناس بالتجارب.

حكمة الله في تأخير إجابة الدعاء:

١) تأخر الإجابة اختبار صعب يحتاج إلى صبر.

هو اختبار ثقة في الله، واليقيـــن بوعده، فمن نجح فيه نال عظيم الأجر بلا سقف ولا حدٍّ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فلا يصل عبدٌ لأعظم الأجر إلا عن طريق المشقة والنصب والحرمان والتعب.

والحقيقة أن عدم استعجال الإجابة من أعلى مقامات الدين، لأن حقيقته: تفويض الأمر لرب العالمين في كشف الشدائد ونيل الرغائب، ولا يصدر إلا عن قوة دين وحسن ظنٍّ ويقين.

٢) سبحان مالك الملك.

قال ابن الجوزي:

«قد ثبت بالبرهان أن الله عز وجل مالكٌ، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه»[١].

٣) لتحقِّق عبوديتك الكاملة:

فلا تكون عبد الله في الرخاء دون الشدة، وفي العطاء دون المنع، فتكون ممن عبد الله على حرف.

٤) لا حقَّ للمخلوق على الخالق:

فلأنه هو الذي خلق، فهو الذي له الأمر والنهي، فإن شاء أعطى، وإن شاء منع، ومع هذا يبحث العبد

(١) صيد الخاطر ١/ ٨٢.

عرف ربه الحكيم من سأل الله أن يرزقه الحكمة.



دومًا عما له، ويغفل عما عليه!

٥) فلله الحكمة البالغة:

فلا يعطي إلا لحكمة، ولا يمنع إلا لحكمة، وقد ترى في العطاء مصلحة ظاهرة، ولكن الحكمة لا تقتضيه، وقد تخفى الحكمة في مشرط الجراح، مع أنه يُقصَد بها إنقاذ المريض، فلعل هذا من ذاك.

٦) قد يكون في تحقق دعائك أبلغ الضرر:

قال تعالى: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِ﴾؛ ولذا رُوِي عن بعض السلف أنه كان يسأل الله الغزو، فهتف به هاتف:

«إنك إن غزوت أُسِرْتَ، وإن أسرت تَنَصَّرْتَ»(١).

فلعل الله بالمنع حجَبَك عن أضرار دينية أو دنيوية، فتساميتَ عن الرذائل السفلية، وسِرْتَ مع أصحاب الهمم العلية إلى أشرف الغايات وأسمى المقامات.

٧) اختيار الله لك خيرٌ من اختيارك لنفسك:

وهذا يريح العبد من تشتت الذهن في ألوان الاختيارات، ويفرِّغ قلبك من عناء التدبير، ويضمن راحة البال، فقد وكَّلت أمرك إلى **الحكيم**.

قال سفيان الثوري:

«منعه عطاء، وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم، وإنما نظر في خير العبد فمنعه اختيارًا وحسن نظر»(٢).

٨) أنت لا تعلم عاقبة أمرك:

فربما تطلب ما لا تُحمَد عاقبته، وربما كان فيه ضررك، فتكون كالطفل المحموم الذي يطلب الحلوى وهي تضره، ومريض الأزمة الذي يأكل الطعام الذي يقتله، ومدبِّر الأمر **الحكيم** أعلم بما يُصلِحك، وهو وحده يعلم عاقبةِ أمرك:

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة ٢١٦]

ولهذا كثيرًا ما يسعى المرء خلف ما يضرُّه، ويفِرُّ مما ينفعه!

فكم فـائت في فَوتـه لَكَ خيــرةٌ　　　وإدراكــه لــو نلتَــه لك أعطَـبُ
وكـم مُــدرِكٍ أُمْنِيَّـــةً كان داؤه　　　بإدراكها والغيب عَـنْـــهُ مُحجَـبُ

(١) صيد الخاطر ١/ ١٠٩.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢١٥.

ما عرف ربه الحكيم من لم يسأل الله الحكمة.

٩) حتى تنقطع عن الأسباب والمسبِّبات:

لتستحق وصف المضطر، فالمضطر هو المفلس الذي انقطعت به الأسباب، وتأكد أن طلبه بالمقاييس المادية محالٌ، وعندها يأتيه فَرَج الله ليستقر في يقينه أن الأمر كله لله، وأنه إن أراد جبر كسرك فعل ذلك بالسبب وبغير سبب بل وبضد السبب.

١٠) الفوز بمحبة الله:

ففي الحديث: «**إذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم**»[١].

١١) أن ما تكره قد يأتي بما تحب:

قال سفيان بن عيينة:

«ما يكره العبد خيرٌ له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيِّجه للدعاء، وما يُحِبُّه يلهيه»[٢].

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي:

إذا اشتدت البلوى تخَفَّفْ بالرضا	**عن الله قد فاز الرَّضيُّ المراقِبُ**
وكم نعمةٍ مقرونةٍ ببليةٍ	**على الناس تخفى والبلايا مواهب**

١٢) تأخر الإجابة سبب لتفقد العبد تقصيره مع الأسباب الإيمانية والدنيوية:

فتراجع حالك مع ربك، لتسد خللاً، وتستدرك تقصيرًا، وتجبر كسرًا.

قال ابن الجوزي واعظًا نفسه:

«قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فربما يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه، فابحث عن بعض هذه الأسباب، لعلك تقع بالمقصود»[٣].

فالدعاء كالسَّهم، والسَّهْمُ الضعيف يخْرج من القَوْس الضعيف الرخوة، فلا يَصِلُ إلى مراده، فيدفعك ذلك إلى مراجعة الأسباب المادية والإيمانية التي قصَّرت في الأخذ بها؛ لأن الله لا يجبر تقصيرك فيها.

قال ابن رجب:

«إن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأنس منه بعد كثرة دعائه وتضرُّعه، ولم يظهر عليه أثر الإِجابة يرجع إلى

---

(١) صحيح: رواه الطبراني والبيهقي عن أنس كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٤٦ وصحيح الجامع رقم: ٢٨٥.
(٢) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص٢٢.
(٣) صيد الخاطر ١/ ٨٣.

نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أُتيتُ من قِبَلِك، ولو كان فيك خيرٌ لأُجِبْتِ، وهذا اللوم أحبّ إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإِجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذٍ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإِنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله»[١].

١٣) قد يكون دعاؤك استجيب وأنت لا تشعر:

فترى أثره في الدنيا، أو قد يُؤخَّر لك من الأجر مثله يوم القيامة، أو يصرف الله عنك من السوء مثل ما دعوت به، أو أن لا يعطيك ما دعوت به ويعوِّضك بغيره مما هو أنفع لك، كل هذا وأنت لا تشعر، وقد تقرر هذا في الحديث النبوي الصحيح، فكيف تستبطئ الإجابة طالما أن الثمرة مضمونة لكنها منوَّعة؟!

١٤) قد يكون دعاؤك أضعف من البلاء:

قال **ابن القيم**: «وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما، ويمنع كل واحد منهما صاحبه»[٢].

١٥) قد تكون سددت طريق الإجابة بالمعاصي:

وفيها يقول الشاعر المؤمن:

نحن ندعو الإلهَ في كل كربٍ ... ثم ننساهُ عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابةً لدعاءٍ ... قد سددنا طريقَها بالذنوب!

وقد يكون ذنبك هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو سببٌ لا يفطن له كثيرٌ من الناس:

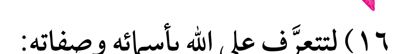
«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر؛ أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعُنَّه فلا يستجيب لكم»[٣].

وقد يكون ذنبك لقمة حرام. قال **وهب بن الورد:**

«لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك أحلال أم حرام»[٤].

فعجَبًا لعبدٍ يستبطئ الإجابة، ولا يستبطئ إجابة ربه إذا دعاه للإنابة!

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٤٩٤ – ط مؤسسة الرسالة.
(٢) الجواب الكافي ١/ ١٠.
(٣) حسن: رواه أحمد والترمذي عن حذيفة كما في صحيح الجامع رقم: ٧٠٧٠.
(٤) صيد الخاطر ١/ ٨٤.



١٦) لتتعرَّف على الله بأسمائه وصفاته:

فمن أسماء الله عز وجل: الغني، والمانع، والكريم، والعليم، والبر، والرحيم، والحكيم.

وهي أسماء تستدعي متعلقات تظهر فيها أحكامها وآثارها، وتأخر الإجابة من أسباب ظهور هذه الآثار والأحكام، فقد يمنع الله عز وجل عبدًا لحكمته وعدله وعلمه، وقد يعطيه برحمته وحكمته وبره وعلمه.

١٧) استخراج أعلى مراتب عبودية القلب:

وأبرز عبادات القلب عند البلاء:

(أ) عبودية انتظار الفرج

(ب) عبودية حسن الظن بالله

(ج) عبودية الرضا

(د) عبودية طول المناجاة

(هـ) عبودية مراغمة الشيطان ومجاهدته

(و) عبودية الاضطرار والانكسار بين يدي الجبار

١٨) التلذذ بالدعاء:

والتمتع بالمناجاة والقرب.

وقد حكي عن **يحيى البكَّاء** أنه رأى ربه عز وجل في المنام، فقال: يا رب، كم أدعوك ولا تجيبني؟ فقال: «يحيى، إني أحب أن أسمع صوتك»(١).

١٩) إدمان الدعاء:

فتتأخر الإجابة حتى يتعوَّد لسانك الدعاء، ويداوم عليه، حتى بعد زوال الشدة وانكشافها.

٢٠) لا يمل حتى تملوا:

فلا يمل الله من إرسال ألطافه ونعمه ما دام سؤال العبد مستمرًا، وتذلله لربه قائمًا، وافتقاره حاضرًا، فإذا قطع العبد قطع الرب!

قال **سفيان الثوري** مشيرًا لفضل إطالة الدعاء:

«لقد أنعم الله على عبدٍ في حاجة أكثر من تضرعه إليه فيها»(٢).

(١) عدة الصابرين ١/ ١٣٥.
(٢) عدة الصابرين ١/ ١٣٥.

عرف ربه الحكيم من أخذ بحظه من عبادة التفكر.

الجزاء من جنس العمل.

من تمام حكمة الله أنه أجرى سُنَّة الجزاء من جنس العمل، فقال **ابن القيِّم**:

«لذلك كان الجزاء مماثلاً للعمل من جنسه في الخير والشرِّ..

فمن ستر مسلمًا ستره الله..

ومن يسّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة..

ومن نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدّنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة..

ومن أقال نادمًا أقاله الله عثرته يوم القيامة..

ومن تتبَّع عورة أخيه تتبَّع الله عورته..

ومن ضارَّ مسلمًا ضارّ الله به..

ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه..

ومن خذل مسلمًا في موضع يحبُّ نصرته فيه خذله الله في موضع يحبُّ نصرته فيه..

ومن سمح سمح الله له..

والرّاحمون يرحمهم الرَّحمن..

وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء..

ومن أنفق أُنفِقَ عليه..

ومن أوعى أوعي عليه..

ومن عفا عن حقّه عفا الله له عن حقِّه..

ومن تجاوز تجاوز الله عنه..

ومن استقصى استقصى الله عليه.

فهذا شرع الله، وقدره، ووحيه، وثوابه، وعقابه، كلّه قائم بهذا الأصل وهو إلحاق النّظير بالنّظير، واعتبار المثل بالمثل»[1].

إن معرفة الناس بحكمة الحكيم محدودة، وقد تغيب عنهم حكمته مهما بلغوا القرب منه، فالملائكة مع قربهم من الله وعلمهم بجلاله وقدرته، لم يعلموا حكمته سبحانه في خلق من يفسد في الأرض، فقالوا:

(١) إعلام الموقعين ١/ ١٥٠.

ما عرف ربه الحكيم من لم يعرف حكمة الله في المنع مع قدرته على العطاء.

﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، والبشر أولى أن لا يعلموا كثيرًا من حكَمِه، لكن.. كلما ازداد العبد قربًا من الحكيم كلما ازداد معرفة بالحكمة الربانية واستشرفها، واستدل بما عرف منها على ما لم يعرف كما قال **ابن القيم**:

«فإن الحكمة لا يجب أن تكون بأسرها معلومةً للبشر ولا أكثرها، بل لا نسبة لما علموه إلى ما جهلوه فيها، ولو قيست علوم الخلائق كلهم بوجوه حكمة الله تعالى في خلقه وأمره إلى ما خفي عنهم منها كانت كنقرة عصفور في البحر!

وحسب الفطن اللبيب أن يستدل بما عرف منها على ما لم يعرف، ويعلم الحكمة فيما جهله منها مثلها فيما علمه بل أعظم وأدق»[1].



ثالثًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- التسليم للحكيم

وذلك لأن أفعال الحكيم وأقواله وأوامره ونواهيه كلُّها خير، وإن جَهِل العبد الحكمة منها، فالواجب على العبدِ أن يطمئنَّ إلى كلِّ أمرٍ أمَرَ الحكيم به، وينتهي عن كل ما نهاه عنه، فلا يُقدِّم العبد على شرع الله تعالى قولاً، ولا عقلاً، ولا حكمًا، ولا رأيًا.

وحالات العبد مع التسليم ثلاثة: الكمال أو النقصان أو الجهل التام كما قال **ابن الجوزي**:

«فإن تحقق التسليم باطنًا وظاهرًا، فذلك شأن الكامل.

وإن وجد في الباطن انعصار من القضاء لا من المقضي - فإن الطبع لا بد أن ينفر من المؤذي؛ دلَّ على ضعف المعرفة.

فإن خرج الأمر إلى الاعتراض باللسان، فتلك حال الجُهَّال، نعوذ بالله منها»[2].

ومهما خفيت عليك الحكمة فسلِّم الأمر لربك الحكيم. قال **ابن الجوزي**:

«ينبغي لمن آمن بالله تعالى أن يسلِّم له في أفعاله، ويعلم أنه حكيم ومالك، وأنه لا يعبث، فإن خَفِيت عليه حكمة فعله، نسب الجهل إلى نفسه، وسلَّم للحكيم المالك؛ فإذا طالبه العقل بحكمة الفعل، قال: ما بانت لي، فيجب عليَّ تسليم الأمر لمالكه.

(١) مفتاح دار السعادة ٢٧٢.
(٢) صيد الخاطر ١/ ٣٠٢.

عرف ربه الحكيم من ترك الاعتراض وسلّم لله بِحسن الاختيار.

والواجب نسبة الجهل إلى النفوس، فإن العقول قاصرة عن مطالعة حكمته، وأول من فعل ذلك إبليس، فإنه قد رآه قد فضل طينًا على نارٍ، والعقل يرى النار أفضل، فعاب حكمته!»[1].

قد خفي عن **موسى الكليم** حكمة فعل **الخضر الحكيم**، وقد يخفى على العوامِّ ما يفعله الملك، فقد قال **المتنبي** يمدح **سيف الدولة**:

ولكن تفوقُ النـاسَ رأيًا وحكمةً ... كما فُقتَهُم حالاً ونَفسًا ومَحتِدا

يَـدِقُّ على الأفكارِ مـا أَنتَ فاعلٌ ... فيُترَكُ ما يخفى ويُؤخَذُ ما بدا

يقول له قد خفي عن أفكار الناس الحكمة من أفعالك، فقد فقتهم حالاً، ونفسًا، ومحتِدًا أي أصلاً ونسبًا، وهذا قول بشَرٍ في بشَرٍ نفاقًا أو حقيقة، فما ظنكم بأحكم الحاكمين!

ثم آن لنا أن نرصَّع كلامنا ببعض جواهر **الجيلاني** التي أهداها لغلامه قائلا:

«يا غلام..

كن مع الله صامتا عند مجيء قدَره وفعله حتى ترى ألطافا كثيرة، أما سمِعْتَ بغلام جالينوس الحكيم؟ كيف تخارس وتباله وتساكت حتى حفِظ كل علم عنده، حكمة الله لا تجيء إلى قلبك من كثرة هذيانك ومنازعتك له واعتراضك عليه.. اللهم ارزقنا الموافقة وترك المنازعة»[2].

٢- الرضا بقضاء الله وقدره

هذا نبي الله **يعقوب** -عليه الصلاة والسلام- عندما جاءه الخبر بحجز ابنه الثاني عند عزيز مصر -وقد سبق ذلك فقده **ليوسف** عليه السلام توجه برجائه ودعائه لله عز وجل.

قال تعالى يحكي حاله:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

وكذلك الحال **ليوسف** عليه السلام عندما جمعه الله بأبويه، حيث قال:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومن خلال التأمل للآيتين السابقتين نلحظ أن يعقوب وابنه قد ختما تضرعهما لله عز وجل بعد المصائب التي حلَّت بهما بهذين الاسمين العظيمين ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

(١) صيد الخاطر ٤٧٨ بتصرف.
(٢) الفتح الرباني ص ٥١.

ما عرف ربه الحكيم من اتهمه في قضائه، ولم يتهم نفسه بتقصيره واتباع أهوائه.





واختيار هذين الاسمين في هذا المقام له دلالته ومغزاه؛ فأعرف الناس بالله عز وجل هم أنبياؤه ورسله، ولقد ختما تضرعهما إلى الله باسم ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، وذلك لما يبثه هذان الاسمان الكريمان في قلب المسلم من الرضا والطمأنينــة والتسليم لقدر الله، وأن شيئًا في هذا الكون لا يحدث إلا بعلم الله الشامل وحكمته البالغة.

وأحيانًا يقدِّم اسم ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ على ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ إذا كان الأمر متعلِّقًا بالجزاء والحكم والتشريع، فهو الحاكم سبحانه:

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام ١٢٨]

فهو هنا حاكمٌ يحكم بين عباده بالجزاء النهائي؛ لذا قدَّم اسم الحكيم.

وفي التشريع كذلك قدَّم الحكمة.

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾.

فهنا تشريعٌ حكيم من الحكيم، والتشريع حُكم، فلا يشرع ولا يأمر عباده بالتزام شرعه إلا الحكيم.

حكمة المحنة

هل في الحبس حكمة؟!

حبس **عبد الله بن طاهر**، **مُحمَّد بن أسلم الطوسي**، فكتب إليه بعض إخوانه يُعزّيه، فأجابه:

كتبتَ إليَّ تُعزّيني، وإنَّما كَانَ يجب أن تُهنّيني

أُريتُ العجائب، وعُرِضت عَليّ المصائب، إنِّي رأيت الله تعالى يتحبَّبُ إلى من يُؤْذيه، فكيف بمن يُؤْذَى فِيهِ!

إنّي نزلت بيتًا سَقَطَت فيه عني فروضٌ وحقوق، منها الجمعة، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وعيادة المريض، وقضاء حقوق الإخوان، وما نزلتُ بيتًا خيرًا لي في ديني منه.

فَأُخْبِر بذلك **ابن طاهر** فقال:

نحن في حاجة إلى **ابن أسلم**.. أَطْلقوه، فأُفرِج عنه»[1].

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ٢/ ١٥٨

عرف ربه الحكيم من التمس معرفة حكمته وإلا انقاد له واستسلم.

٣- سل الله الحكمة

لأنه الحكيم هو مالكها ومعطيها مع بذل الأسباب في تحصيلها، قال الله سبحانه:

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

[البقرة: ٢٦٩]

يقول الشيخ **السعدي** عند هذه الآية:

«والحكمة هي: العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات، ولهذا قال: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم. وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء في مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام، ولكن ما يتذكر هذا الأمر العظيم، وما يعرف قدر هذا العطاء الجسيم إلا ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ وهم: أهل العقول الوافية، والأحلام الكاملة، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه، والضار فيتركونه، وهذان الأمران، وهما: بذل النفقات المالية، وبذل الحكمة العلمية، أفضل ما تقرب به المتقربون إلى الله، وأعلى ما وصلوا به إلى أجل الكرامات، وهما اللذان ذكرهما النبي ﷺ بقوله: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعلمها الناس)»[1].

رابعًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

أسألك باسمك الحكيم..

احكم بيننا وبين القوم الظالمين..

أسألك باسمك الحكيم..

أرنا حكمتك في المشاهد كلها حتى لا نسخط، وفهِّمناها في سائر أوقاتنا فلا نجزع

أسألك باسمك الحكيم..

علِّمنا حكمتك إن جهلناها، وذكِّرنا بها عند الشدة إن نسيناها.

(١) الصواعق المرسلة ٤/ ١٥٦٠ - ١٥٦٢



أسألك باسمك الحكيم..

افتح علينا أبواب حكمتك، وانشر علينا أنوار الفهم عنك.

أسألك باسمك الحكيم..

أخرجنا من ظلمات الوهم، وأكرمنا بأنوار الفهم، ولا تجعلنا من القوم العمين.

خامسًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تتأمل حكمة الله في الأحداث من حولك؟			
٢	هل تسأل الله أن يرزقك الحكمة، وأن يفهِّمك حكمته؟			
٣	هل تستسلم لحكم الله مهما كان؟			
٤	هل تيأس من تأخر الإجابة أم تتأمل الحكمة من وراء ذلك؟!			
٥	هل تحكم بين الناس بما قضى الله، وتحرص على تحكيم الشرع في ما يعرض لك من مشاكل؟			

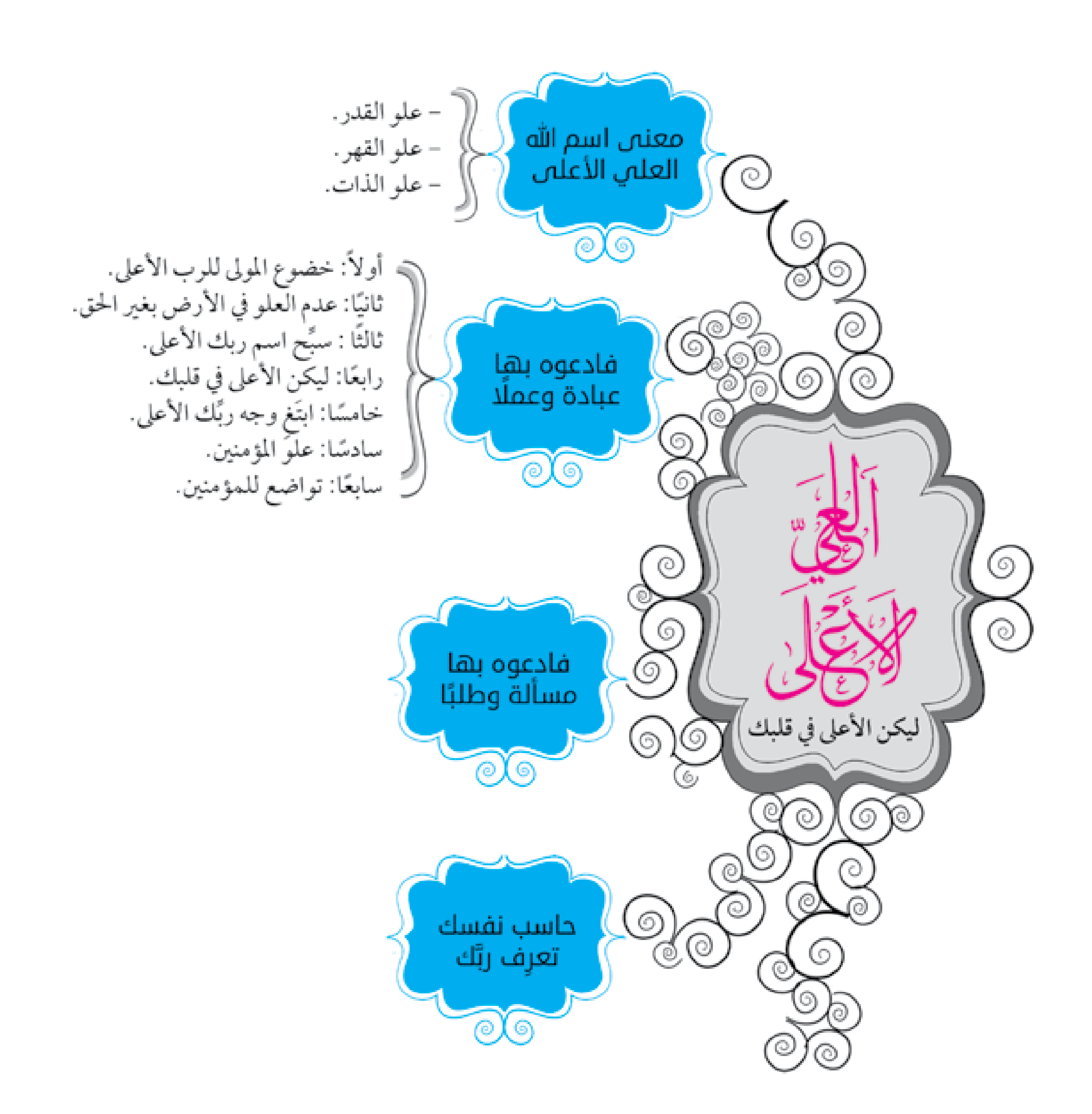
عرف ربه الحكيم من تفهَّم حكمة تأخير الإجابة.



ليكن الأعلى في قلبك

العلي من علو القدر، فلا يَقْدرُ الخلائقُ كُلُّهم أن يحيطوا بصفة واحدة من صفاته، وعلو القهر والسيطرة، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وعلو الذات باستوائه على العرش.


سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى
∞
10
8
6
4
2
0
الله
المال
الزوجة
الدنيا
الأصحاب
الاولاد


العلي الأعلى
ليكن الأعلى في قلبك
معنى اسم الله
العلي الأعلى
- علو القدر.
- علو القهر.
- علو الذات.
فادعوه بها
عبادة وعملًا
أولاً: خضوع المولى للرب الأعلى.
ثانيًا: عدم العلو في الأرض بغير الحق.
ثالثًا : سبِّح اسم ربك الأعلى.
رابعًا: ليكن الأعلى في قلبك.
خامسًا: ابتَغِ وجه ربِّك الأعلى.
سادسًا: علوّ المؤمنين.
سابعًا: تواضع للمؤمنين.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرف ربّك





أولاً: معنى اسم الله العلي

العلي: صفة على صيغة المبالغة من العلوِّ، فيقال عليٌّ مبالغةً لصفة عالٍ، كما يقال قديرٌ مبالغة لصفة قادر.

وقد ورد اسم **العلي** في القرآن (ثمان مرات).

فنلاحظ أنّ العليَّ أبلغ؛ لأنّها تثبت العلوَّ له مطلقًا سواء وُجِد من ينافسه في علوه أو لا، في حين أنّ الأعلى والمتعال تشير إلى أنه أعلى من غيره.

والعلو ثلاثة أنواع:

١ - علوُّ القدر:

وهو علوُّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله مخلوق، بل لو اجتمع الخلائق كلهم لما استطاعوا أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته سبحانه، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

قال **ابن القيم**:

«العلي الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص»[(١)].

٢ - علوّ القهر:

كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ أي الذي قهر بعزته وعلوِّه الخلق كلَّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يمانعه ممانع، وليس لأمره دافع، وذلك لكمال قدرته ونفاذ مشيئته وافتقار كل المخلوقات إليه.

وفي اللغة: علا فلان فلانًا أي قهره، وعلوت فلانًا: غلبته.

٣ - علوُّ الذّات:

فهو مُسْتوٍ على عَرْشه فوقَ خَلْقه، ومُطَّلعٌ على كل أحوالهم، فلا تخفى عليه خافية.

وبمناسبة علو الذات، ومن جميل الوقف والابتداء في القرآن: قول الله في سورة الأنعام ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾، فلو قرأتها ثم وقفت، ثم استأنفت قراءتك وقلت: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣]، فسيظهر لك من جلال الآية وعظمتها أنه الله سبحانه مع كونه في السماوات، فإنه يعلم سِرَّنا وجهرنا في الأرض، فليس علوه في السماوات بمانع من علمه بما في الأرض.

ولهذا قال **ابن القيم** يوجز اسم **العلي** بمعانيه الثلاثة:

(١) مدارج السالكين ١/ ٥٥.

عرف ربه الأعلى من عرف قدره الأعلى، فأطاع أمره ونهيه وما أعرض وما تولّى.

«من لوازم اسم العلي: العلو المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات»[1].

وأما **الأعلى**: فهو الذي ارتفع عن غيره وفاقه في وصفه، وهو يعبِّر عن مفاضلة بين اثنين أو الجميع، فالأعلى سبحانه أعلى مِن مَن؟!

والجواب: أعلى من كل شيء، فهي مفاضلة الجميع في عظمة الوصف أو عظمة الفعل.

وهو الاسم الذي علَّمه النبي ﷺ لأصحابه وغرسه في قلوبهم في أجواء المحنة، ورغم تجرُّعهم جرعات المرارة والألم عقب جراح غزوة أحد، فقد قال أبو سفيان مفاخرا منتشيًا بخمر الانتصار: اعلُ هُبَل، فقال النبي ﷺ لأصحابه: أجيبوه.

قالوا: ما نقول؟

قال: «قولوا: الله أعلى وأجل».

فقال **أبو سفيان** متحدِّيًا: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم.

فقال النبي ﷺ: «أجيبوه».

قالوا: ما نقول؟!

قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».



١- خضوع المولى للرب الأعلى:

فإذا كان سبحانه أعلى من كل شيء فينبغي أن يكون في قلبك أعلى من كل شيء، فتنكسر له وتخضع وتذل له لا لغيره، وكيف تخضع لغيره وهو الأعلى من كل شيء؟!

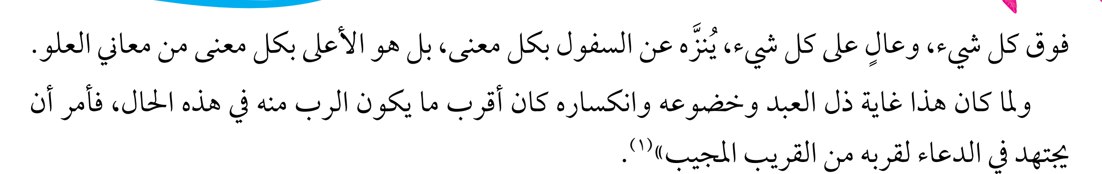
ولذلك كان السجود من أقرب القربات التي يتقرب بها العبد لله سبحانه؛ لأنه اعتراف عملي بأنه عبد، وهو خضوع واقعي للرب **الأعلى**.

قال **ابن القيِّم**:

«أمر أن يسبِّح ربَّه الأعلى، فيذكر علوه سبحانه في حال سفوله، ويُنزِّهه عن مثل هذه الحال، وأن من هو

(١) شفاء العليل ١/ ١٨٠.

ما عرف ربه الأعلى من لم يخضع لأمره ونهيه جهلاً أو خوفًا من غيره أو طمعًا.



فوق كل شيء، وعالٍ على كل شيء، يُنزَّه عن السفول بكل معنى، بل هو الأعلى بكل معنى من معاني العلو.

ولما كان هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره كان أقرب ما يكون الرب منه في هذه الحال، فأمر أن يجتهد في الدعاء لقربه من القريب المجيب»[1].

٢- عدم العلو في الأرض بغير الحق

لا ينجو من الوقوع في الظلم إلا من تذكر علو الله تعالى وقهره، وأن العبد مهما علا وظلم وقهر فإن العلي فوقه، يقتص للمظلومين من ظالميهم، ولذلك لما ذكر الله علاج نشوز الزوجات في سورة النساء ختم ذلك باسميه العلي و(الكبير).

قال تعالى:

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

وهو تهديد للرجال إذا بغوا على نسائهم وظلموهن من غير سبب، ومفاد هذا التهديد: احذروا ظلم نسائكم، فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، فالله سبحانه وتعالى وليُّهن، وهو العلي القادر على أن ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فلا تغتروا بكونكم أقوى وأقدر، فإن الله أعلى منكم وأقدر، فختام الآية بهذين الاسمين مناسب تمام المناسبة.

٣- سبِّح اسم ربك الأعلى

والمتتبع لمادة (سَبَّح) في القرآن الكريم يجد أنها جاءت بكل الصِّيَغ:

صيغة الماضي: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١].

ما في السماوات والأرض، ومنه الحصى الذي سبَّح في كف النبي ﷺ، والطعام الذي كان الصحابة يسمعون تسبيحه وهو يؤكل كما في صحيح **البخاري**.

فهل سبّحَ له من في السموات والأرض مرة، ثم سكتَ عن التسبيح؟!

كلا، بل لا يزال يسبِّح؛ ولذا جاءت صيغة التسبيح بالمضارع:

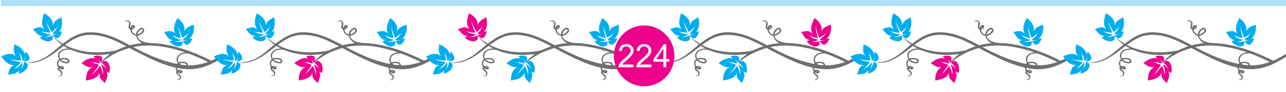
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١].

ليدل على أن تسبيح الخلق لله ليس فعلاً ماضيًا انقضى، بل دائمٌ حاضر، ومستمرٌ كذلك في المستقبل لا يتوقف.

---

(١) شفاء العليل ١/ ٢٩٩.

عرف ربه الأعلى من عدل بين الخلق، ولم يظلم منهم أحدًا.



ثم جاء أمر الله لنبيه:

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١].

فما دام الكون كله يسبِّح الله، ولم ينقطع عن التسبيح لحظة، فالخلق كذلك مأمورون بهذا التسبيح؛ لأنهم جزء من منظومة الكون المسبِّح، وعليهم أنْ يتناغموا معه، ولا يشكِّلوا بسكوتهم عن التسبيح حالة شاذَّة عن خلق الله.

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١]

واستحِ أن يكون الكون كله مُسبِّحًا لله وأنت غير مُسبِّح!

ثم ساق الله سبحانه المصدر (سبحان) جاء ليـدل به على التنزيه المطلق لله تعالى، حتى قبل أن يخلق الخَلْق وقبل أنْ يوجِد مَنْ يُنزِّهه ويسبِّحه، فذكر الله لفظة (سبحان) في القرآن في خمسة وعشرين موضعا، ومنها قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

ومناسبة ذلك:

أن معجزة الإسراء عجيبة وفوق إدراك العقول؛ ولذا جاء بالمصدر (سبحان) الدالَّ على التنزيه المطلَق لله، كأنه تعالى يُحذِّر الذين يُحكِّمون عقولهم، ولا يقدرون الله قدره ولا يعرفون قدرته، وهو الذي خلق قوانين الزمان والمكان والبُعْد والمسافة، وقادر على أن يعطِّلها متى شاء، فكُلُّ فعل يتناسب مع قَدْرِ وقُدْرَة فاعله.

الأمر بالتسبيح

عن **ابن عباس** أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قال:

«سبحان ربي الأعلى»(١).

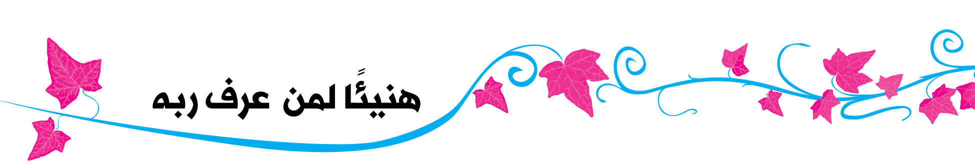
والتسبيح: التنزيه، فالأمر هنا بالتسبيح على قولين:

تنزيه أسماء الله:

أي: نزِّه أسماء ربك الأعلى عما لا يليق بها، فلا تُطلِق هذه الأسماء على غيره إذا كانت خاصة به، كلفظ الجلالة، واسم الله الرحمن، ولا تذكرها في موضع لا يناسب جلالها وعظمتها، ولا تحرفها عن المعاني التي وُضِعَت لها كما فعل الزائغون والمنحرفون.

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ٤٧٦٦ وصحيح أبي داود رقم: ٨٢٦.

ما عرف ربه الأعلى من علا على الناس ظلمًا وعدوانًا وهضم حقوقهم حسَدا وطُغيانا.



أو تنزيه الله:

أو نزِّه ربك الأعلى عن الشريك، وعن الوالد، وعن الولد، وعن الشبيه، وعن كل ما لا يليق به في ذاته، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه.

أما في ذاته: فاعتقِد أنه ليس كمثله شيء، فالحقُّ سبحانه لا شبيه له في ذاته.. تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأما في صفاته: فاعتقِد أنها ليست مُحدَثَة أي ليس لها بداية لم تكن كائنة قبلها، بل هي أزلية، وهي كذلك لا متناهية أي لا سقف لها ولا حدَّ، وهي غير ناقصة أي ليس فيها أي قصور أو خلل.

وأما في أفعاله: فاعتقِد أنه سبحانه مطلق الحكمة، فلا اعتراض لأحد عليه في أمر من الأمور.

وأما في أسمائه: فلا تذكره إلا بأسمائه الحسنى التي فيها الكمال المطلق، فلا تتوهَّم نقصًا أو عيبًا بوجه من الوجوه.

وأما في أحكامه: فأن تعلم أن الله ما كلَّفنا لنفع يعود عليه حاشاه، بل لمحض نفعنا ومصلحتنا.

ولله المثل الأعلى

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

وهو أسلوب حصر، فلم يقل المثل الأعلى لله، والمراد بالمثل الأعلى: الوصف الكامل الأعلى الذي لا شيء أعلى منه، فالله تعالى:

ليس له كفؤ. قال تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص ٤].

وليس له سَمِيٌّ. قال تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم ٦٥].

وليس له نِدٌّ. قال تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة ٢٢].

وليس له مثيل. قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى ١١].

فلا كفؤ يكافئه ويساويه، ولا سَمِيٌّ يساميه ويشابهه، ولا ندَّ أي لا نظير له ولا شريك، ولا مثيل يماثله في صفاته، وذلك لكماله من كل وجه.

٤- ليكن الأعلى في قلبك

كما اعترفت لله بالعلو بلسانك، فاجعل حبه أعلى حب عندك وأسمى ما تسمو إليه، وأمثال هؤلاء يصف **ابن القيم** أحوالهم فيقول:

«فهو ينزِّه قلبه أن يساكِن سواه، أو يطمئن بغيره، فهؤلاء قلوبهم قد قَطَعَتْ الأكوان، وسجدت تحت

عرف ربَّه الأعلى من أكثر التسبيح آناء الليل وأطراف النهار، واستحضَر تنزيه الله بقلبه.

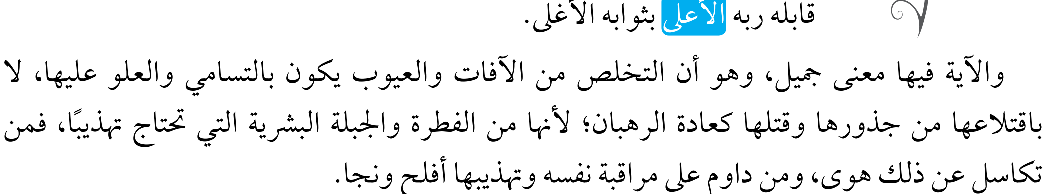
العرش، وأبدانهم في فُرُشهم، فإذا استيقظ هذا القلب من منامه صعد إلى الله بهَمِّه وحبه وأشواقه، مشتاقًا إليه، طالبًا له محتاجًا إليه، عاكفًا عليه، فحاله كحال المُحِبِّ الذي غاب عن محبوبه الذي لا غنى له عنه، ولا بُدَّ له منه، وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النَّفَس والطعام والشراب، فإذا نام غاب عنه، فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه، وإلى الشوق الشديد والحب المقلق، فحبيبه آخر خطراته عند منامه، وأوَّلُها عند استيقاظه»[1].

٥- ابتَغِ وجه ربِّك الأعلى

قال تعالى:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

فلا يعطي العبد ماله لمصلحة أو غرض، ولا رياء ولا سمعة، وقد ذيَّل الله الآية باسم الأعلى دون غيره من الأسماء الحسنى، لأن بذْل العبد ماله لله دليلٌ على أنه تغلَّب على ضعفه وسفوله البشري الذي جُبِل عليه: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، ففطرته تأمره بالبخل، وإيمانه بثواب الله وعِوَضه يأمره بالبذل، فلما علا على شهواته قابله ربه الأعلى بثوابه الأغلى.



والآية فيها معنى جميل، وهو أن التخلص من الآفات والعيوب يكون بالتسامي والعلو عليها، لا باقتلاعها من جذورها وقتلها كعادة الرهبان؛ لأنها من الفطرة والجبلة البشرية التي تحتاج تهذيبًا، فمن تكاسل عن ذلك هوى، ومن داوم على مراقبة نفسه وتهذيبها أفلح ونجا.

٦- علو المؤمنين

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وهو أمرٌ موجَّهٌ لمن اضطرب يقينه واهتز إيمانه أن يثق أن العاقبة له بالعلو والنصر والغلبة إن صحَّ إيمانه، وذلك في ظل علو نجم المنافقين اليوم، وهو إخبار بعلو أهل الإيمان إن أخذوا بشريعة الله، وهو فرضٌ فرَضه الله على نفسه:

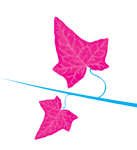
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

هؤلاء المؤمنون يرفع العلي قدرهم، فهو الذي يُعلي من حمل رسالته، وينصر من نصر شريعته، ويجعل العاقبة لهم على عدوهم، والمؤمنون وحدهم يعرفون سنن الله في إحقاق الحق وإقامة العدل، ولذا أخذوا بها

(١) الفوائد ١/ ١٧٨.

ما عرف ربَّه الأعلى من نَسِي تسبيحه بلسانه، والأخطر منه: بقلبه.





ولم ينحرفوا عنها، فعلوا وعزوا وسعِدوا.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾

وهذه الآية نزلت في العام التاسع من الهجرة لتقص خبر الهجرة التي خرج فيها النبي ﷺ مطاردًا من بلده، وهو موضع عجيب! أن تنزل الآيات لتعلّق على حدثٍ مضى من تسع سنين!

لكن مناسبتها أن غزوة تبوك كانت شدة أخرى عظيمة، ومحنة كاشفة رهيبة، وهي شبيهة في هذا بالهجرة، وإن زاد عدد المسلمين في تبوك عن وقت الهجرة حيث قاربوا الثلاثين ألفًا في جيش العسرة.

وقد أورد سبحانه الجملة الاسمية: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ كمبتدأ وخبر؛ لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات، فلا يتبدل شأن كلمة الله ولا يتغير حالها، فهي لم تكن في أي وقت من الأوقات إلا العليا، وهو دليل أن كلمته قد تمَّت كما أخبر في غير موضع في كتابه..

وذلك بعكس كلمة الذين كفروا التي جعلها الله السفلى، وجاءت الجملة الفعلية لتعبِّر عن التغير والتذبذب، فعُلُوُّ كلمة الكافرين أمر طارئ، وهو متعلِّق بتقصير المؤمنين لا بقوة الكافرين.

وإذا كان نصرنا لا يحتاج منا إلا التمسك بكلمة الله، ولا يتم إلا بإرادة الله، ففيم تخبط أمتنا اليوم؟!



٧- تواضع للمؤمنين

من شأن المؤمن الذي عرف اسم الله **العلي** أن يتواضع، لا أن يتعاظم، لأنه يعلم قدْرَ ربه الأعلى، وفضله الأعظم، ويعلم قدر نفسه الضعيفة العاجزة الجاهلة، فأنى له أن يتكبر؟!

وصدق **الرافعي** حين قال في وحي القلم:

«إنَّ كلَّ ذلك إلا كما ترى قبضة التراب تتكبَّر، وقد نَسِيَت أنه سيأتي من يكنسها!»[1].

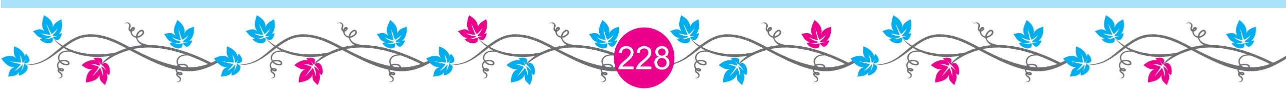


ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت، وعافِنا فيمَن عافيت وتولَّنا فيمَن تولَّيت، وبارِكْ لنا فيما أعطيت، وقِنا شرَّ ما

(١) وحي القلم ٢/ ٨٢.

عرف ربه الأعلى من جعله الأعلى فآثره على كل شيء.



قضيت، إنك تَقضي ولا يُقضى عليكَ، إنه لا يَذِلُّ مَن والَيت، ولا يَعزُّ مَن عاديت، تباركت ربَّنا وتعالَيت».

أسألك باسمك الأعلى..

أن تكون الأعلى في قلبي فوق كل الأشياء..

أسألك باسمك الأعلى..

أن تنزِّه ذكرك في قلبي وفي لساني عن كل ما لا ينبغي لك ولا يليق..

أسألك باسمك الأعلى..

أن تعلي ذكري بكثرة ذكرك، وتُعْلي قدري بإعلاء كلمتك.

أسألك باسمك الأعلى..

أن أبتغي وجهك الأعلى في كل قول أو فعل أو حال.

أسألك باسمك الأعلى..

أن لا تجعلني أتعالى على أحد من خلقك بعلمٍ أو نسبٍ أو عمل.. إنك أنت الأعلى.

رابعًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل لك ورد يومي ثابت من التسبيح، وهل تسبيحاتك بحضور قلب؟			
٢	هل تعتز بالتزامك وتفخر بدينك بين الناس؟			
٣	هل تتعالى على غيرك بعلمك أو مالك أو سلطانك؟			
٤	هل تستشعر في سجودك علو أسماء الله وصفاته وأفعاله، فتزداد له حبًّا وتعظيمًا؟			
٥	هل تجعل أمر الله هو الأعلى لديك، فتقدِّمه على سائر الأمور؟			

ما عرف ربه الأعلى من جعل غيره الأعلى، وقدَّم أمره على أمر ربه.



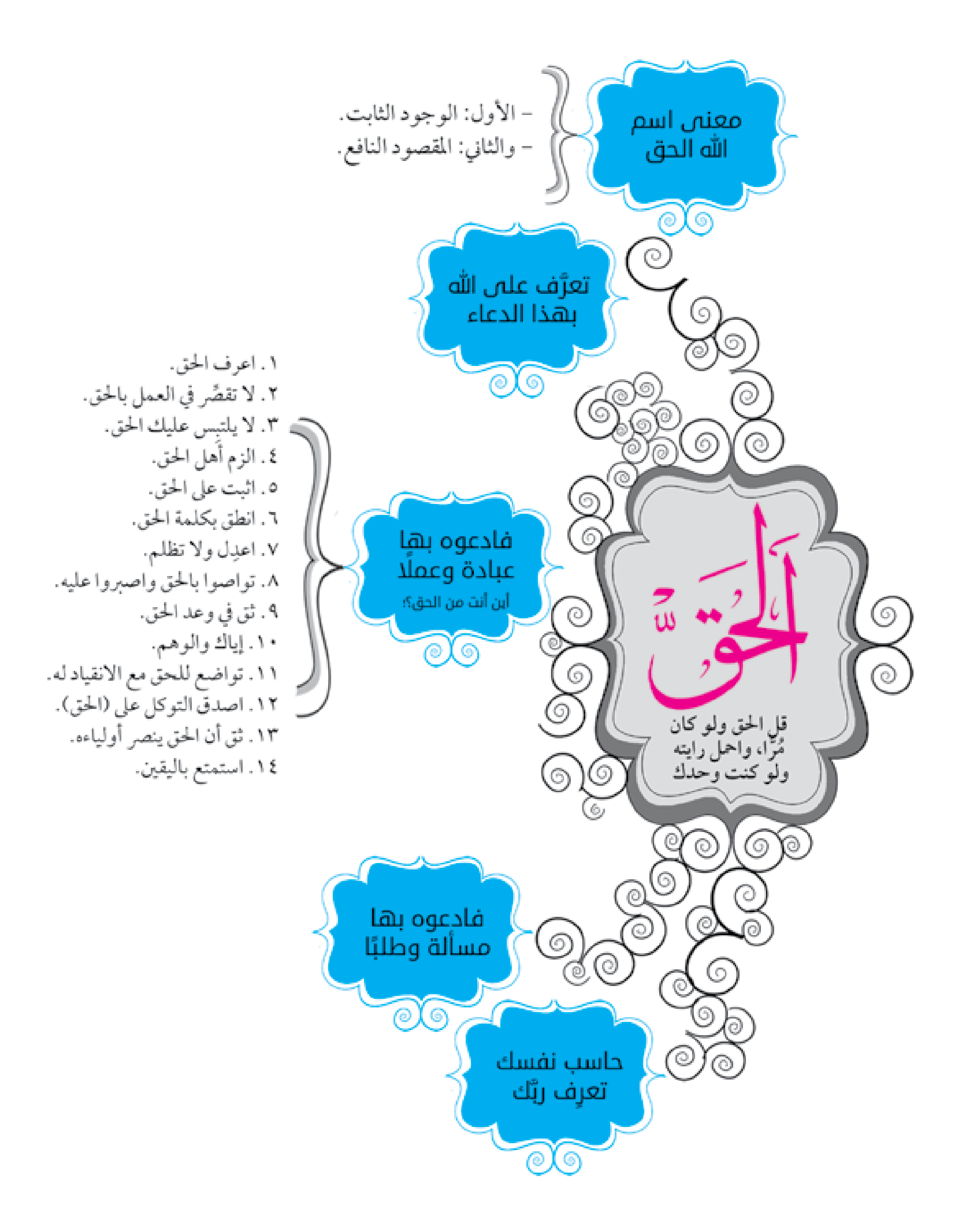
قل الحق ولو كان مُرًّا، واحمل رايته ولو كنت وحدك

المتحقِّقُ كونه ووجوده، بل لا وجود لشيء من الأشياء إلا به،
وهو الذي يُحِقُّ الحق، ووعده الحق، وقوله الحق، ولقاؤه الحق.

وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ

وَ
زَ
هَ
قَ
ٱ
لْ
بَ
ا
طِ
لُ

إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً


معنى اسم الله الحق
- الأول: الوجود الثابت.
- والثاني: المقصود النافع.
تعرَّف على الله بهذا الدعاء
فادعوه بها عبادة وعملًا
أين أنت من الحق؟!
١. اعرف الحق.
٢. لا تقصِّر في العمل بالحق.
٣. لا يلتبس عليك الحق.
٤. الزم أهل الحق.
٥. اثبت على الحق.
٦. انطق بكلمة الحق.
٧. اعدِل ولا تظلم.
٨. تواصوا بالحق واصبروا عليه.
٩. ثق في وعد الحق.
١٠. إياك والوهم.
١١. تواضع للحق مع الانقياد له.
١٢. اصدق التوكل على (الحق).
١٣. ثق أن الحق ينصر أولياءه.
١٤. استمتع باليقين.
الحق
قل الحق ولو كان مُرًا، واحمل رايته ولو كنت وحدك
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرِف ربّك



ورد هذا الاسم في عشر آيات من القرآن الكريم.

أولاً: معنى اسم الله الحق

الحق في اللغة:

«الحق: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحِقاق؛ وحَقَّ الأمر يَحِقُّ حقوقًا: صار حقًّا وثبت.

قال **الأزهري**: معناه: وجب يجب وجوبًا، وحق الأمر يُحِقُّه وأحَقَّه: كان منه على يقين»[1].

«وحاقَّ فلانٌ فلانًا، إذا خاصمه وادَّعى كل واحد منهما الحق، فإذا غلبه قال: حَقَّه وأحَقَّه.

وطعنة مُحتقَّة، إذا وصلت إلى الجوف لشدَّتها.

وثوب مُحقَّق، إذا كان مُحكَم النَّسْج.

والحِقَّ من أولاد الإبل: هو الذي استحق أن يُحمَل عليه، والجميع حِقاق (لكمال قوتها وبأسها)»[2].

«والأحَقُّ من الخيل: الذي لا يَعْرَق، وذلك يكون لِصلابته وقُوَّته وإحْكامه.

والحاقَّة: القيامة؛ لأنها تَحِقُّ بِكُلِّ شيء.

المُحْتقُّ الذي يُقْتَل مكانه (لشجاعته وبراءته من الجبن والتردد)»[3].

فكلمة الحق في جميع الأمثلة اللغوية السابقة تشير إلى اكتمال الصفات المطلوبة في الشيء ليكون نافعًا تامًّا على الوجه الأكمل، من غير عيب ولا نقصان (الحِقُّ والأحَقُّ من الإبل -ثوب مُحقَّق- طعنة محققة - مقاتل مُحتَقٌّ).

ولله المثل الأعلى، فهو **الحق** سبحانه الذي له صفات الربوبية الكاملة (الخلق - الرزق - العلم - الحكمة - القدرة - الحفظ)، وهو المنزَّه عن النقص والعيب والمثيل.

معناه في حق الله:

الحق له معنيان:

الأول: الوجود الثابت.

والثاني: المقصود النافع.

(١) لسان العرب ٢/ ٩٣٩، ٩٤٠ - انظر تفسير الأسماء للزجاج ص ٥٣، واشتقاق الأسماء للزجاجي ص ١٧٨.
(٢) مجمل اللغة لابن فارس ١/ ٢١٥.
(٣) مقاييس اللغة ٢/ ١٦، ١٧.

والباطل نوعان أيضًا:

أحدهما: المعدوم.

الثاني: ما ليس بنافع ولا مفيد.

قال **ابن تيمية**:

«والزائل الذي لم يكتسب به ما يدوم نفعه يُسمَّى باطلاً، فالموتُ حق والحياة باطلٌ، فإن الباطل ضدُّ الحق، والحقُّ يقال على الموجود، فيكون الباطلُ هو المعدوم. ويقال أيضًا على ما ينفع ويُنفَى نفعُه، فيكون الباطلُ اسمًا لما لا ينفع، أو لما لا يدومُ نفعُه»[1].

يقول الشيخ **السعدي**:

«الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفًا»[2].

وأصل معني الحق: الثابت الذي لا يتغير.

ولذلك تُقاس عليه الأشياء، فدَوْما يُقارَن المتغيِّر بالثابت، والنوازل الحديثة بالحق القديم.

ومن أسماء الله سبحانه الحق الذي لا باطل يأتيه، وهو الباقي الذي لا يُغيِّره شيء، فالزم الحق لأنه الثابت، وما دونه فهو باطل وزائف.

فالحق لا يتغير ليتواءم مع من حوله أو الظروف التي تحيط به، بل على كل من حوله أن يُغيِّر نفسه ويدور في مدار الحق إن أراد أن يستقيم أمره ويعلو شأنه، وإلا خاب وخسر، وبذلك ننهل من معين هذه الآية بشكل أفضل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾.

والمطلوب:

غيِّر نفسك لتقترب من مراد الحق وما يجب أن تكون عليه، وعندها يتدخل الحق سيغيِّر ما نزل بك، ولو كان مستحيلاً!



ثانيًا: تعرف على الحق بهذا الدعاء

ومن الدعاء باسم الله الحق ما يغرس في النفس الإيمان بكل ما يستوجبه هذا الاسم، وقد أغنتنا البلاغة

(١) جامع المسائل لابن تيمية ١/ ٤٣ - دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
(٢) تفسير السعدي ٥/ ٤٩٢.

ما عرف ربه الحق من التبس عليه الحق، فناصر الباطل وهو يظن أنه الحق.



النبوية المستقاة من الوحي الإلهي عن تكلف البلاغة البشرية، أو البحث عن المناسب من العبارة لشرح اسم الله **الحق**، فقد صحَّ أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يتهجد قال:

«اللهمَّ لكَ الحمْدُ أنت قيِّم السَّماواتِ والأرض ومَن فِيهن، ولكَ الحمْدُ لكَ ملك السَّماواتِ والأرض ومَن فِيهن، ولكَ الحمْدُ أنت نورُ السَّماواتِ والأرض، ولكَ الحمْدُ، أنت الحق، ووعْدُكَ الحق، ولقاؤُكَ حق، وقولكَ حق، والجَنة حق، والنارُ حق، والنبيون حق، ومحمَّدٌ ﷺ حق، والسَّاعة حق، اللهمَّ لكَ أسلمْتَ وبك آمَنت، وعليْكَ توكَّلت، وإليْكَ أنبْت، وبكَ خاصَمْت، وإليْكَ حاكَمْت، فاغفِر لي مَا قدمْت ومَا أخرت، ومَا أسرَرت ومَا أعْلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤَخرُ، لا إلهَ إلا أنت»[(١)].

«أنت الحق»: أي المتحقق الوجود الثابت بلا شك فيه. قال القرطبي: هذا الوصف له سبحانه وتعالى بالحقيقة خاص به لا ينبغي لغيره إذ وجوده لنفسه، فلم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم بخلاف غيره، فلا يلحقه زوال أو فناء، وكل أوصاف الحق كاملة جامعة للكمال والجمال والعظمة والجلال.

«ووعدك الحق»: أي الثابت المتحقِّق، فلا يعتريه خُلْف، ولا ذرة شك في وقوعه.

«ولقاؤك حق»: وفيه الإقرار بالبعث بعد الموت، وهو مآل كل الخلق في الدار الآخرة للجزاء على أعمالهم، ولقاؤه يتضمن رؤيته، والوقوف بين يديه، فلقاؤه غير وعده.

«وقولك حق»: أي مدلوله ثابت لأن قوله قديم وليس بمخلوق فيبيد، فكلامه حقائق مطلقة لا تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص، وأقواله قوانين راسخة تسير أحداث الكون كله وِفقها.

«والجنة حق والنار حق»: في هذا إشارة إلى أنهما موجودتان الآن تتجهَّزان وتنتظران سُكنى أهل النعيم وأصحاب الجحيم.

«والنبيون حق»: وإن لم نرهم لكننا نؤمن بهم كما أخبر بذلك (الحق) في كتابه.

«ومحمد ﷺ حق»: خصَّه بالذكر تعظيمًا له، وعطَفَه على النبيين إيذانًا بأنه يفوقهم بالأوصاف التي اختصه بها الله.

«والساعة حق»: أي يوم القيامة قادم لا محالة، وقد عبَّر عن حتمية هذا اليوم في القرآن بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾.

وإطلاق اسم **الحق** على ما سبق معناه أنه لا بد من كونها، وأنها مما يجب أن يصدِّقه المؤمن ويوقن به، وتكرار لفظ **الحق** للمبالغة في تأكيدها، فمن أنكر شيئًا من ذلك، فما عرف ربَّه **الحق** تمام المعرفة.

---

(١) صحيح البخاري رقم: ١٠٦٩ و تخريج الكلم الطيب ص ٨٥.

عرف ربه الحق من أحب أهل الحق ووالاهم فيه.



أين أنت من الحق؟

١) اعرف الحق

من عرف الحق فقد عرف كل شيء، ومن فاته معرفة الحق فقد فاته كل شيء، ومن جميل دعاء **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه الذي رفع فيه راية فقره وأعلى به صرخة استغاثته إلى ربه:

«اللهم أرِنا الحق حقًّا فنتبعه، والباطل باطلاً فنجتنبه، ولا تجعل ذلك علينا متشابهًا، فنتبع الهوى»[١].

وإن معرفة الحق تحتاج إلى جهد ومشقة، وانظر ما بذل **سلمان الفارسي** رضي الله عنه في سبيل البحث عن الحق، وانظر ما يبذله الذين يدخلون في الإسلام من جهد وبحث للتعرف على الحق.

لكن معرفة الحق ليست نهاية المطاف، بل لابد بعدها من اتباع الحق، فقد يُصاب القلب بالكِبر وهو بَطَر الحق، فيرفض اتباعه، والعقوبة عندها هائلة من الله: لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر.. نعم ذرة!

وآفة أخرى وهي..

٢) لا تقصّر في العمل بالحق

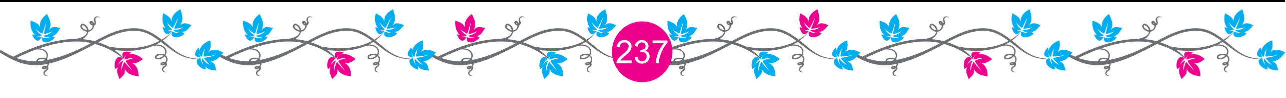
أو الأخذ بِبَعْضِه دون بعضه. قال **ابن القيِّم**:

«إن العبد كثيرًا ما يترك واجبات لا يعلم بها، ولا بوجوبها، فيكون مقصِّرًا فى العلم، وكثيرًا ما يتركها بعد العلم بها وبوجوبها، إما كسلاً وتهاونًا، وإما لنوع تأويل باطل، أو تقليد، أو لظنه أنه مشتغل بما هو أوجب منها، أو لغير ذلك، فواجبات القلوب أشد وجوبًا من واجبات الأبدان، وآكد منها.

فتراه يتحرج من ترك فرض أو من ترك واجب من واجبات البدن، وقد ترك ما هو أهم من واجبات القلوب وأفرضها، ويتحرج من فعل أدنى المحرمات وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشد تحريمًا وأعظم إثمًا.

بل ما أكثر من يتعبد لله عز وجل بترك ما أوجب عليه، فيتخلى وينقطع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مع قدرته عليه، وبزعم أنه متقرب إلى الله تعالى بذلك، مجتمع على ربه، تارك ما لا يعنيه، فهذا من أمقت الخلق إلى الله تعالى، وأبغضهم له، مع ظنه أنه قائم بحقائق الإيمان وشرائع الإسلام وأنه من خواص

(١) قوت القلوب ١ / ١٤٢.





أوليائه وحزبه»[1].

ولزوم الحق اليوم هو شرط النجاة غدًا؛ يوم لا يُقضى إلا بالحق، ولهذا كان من جميل وصايا الفاروق **عمر لمعاوية** رضي الله عنهما:

«الزم الحق يُنزِلْك الحق في منازل أهل الحق؛ يومَ لا يُقضى إلا بالحق»[2].

٣) لا يلتبِس عليك الحق

إن أعظم الخذلان أن تظن نفسك على الحق وأنت على الباطل، وهذا الذي أهلك كثيرًا من الناس اليوم، ومما ساعد على هذا:

تلبيس وسائل الإعلام الماكرة المضللة التي لبَّسَت على الناس دينهم، وخلطت الحق بالباطل، وقلبت الحقائق، فأظهرت الحق في صورة الباطل، والباطل في هيئة الحق، ومن ثم تشويهه وتشويه حَمَلتِه والداعين إليه.

وساعد على هذا التلبيس: سكوت كثير من العلماء عن النطق بكلمة الحق، وخاصة في نوازل الأمة وما حلَّ بها، وحين سكتت الأسود عدَت الذئاب على الغنم، فافترسوا إيمان العوام، وتكلم الرويبضات في أمر العامة، والأدهى والأمَرُّ أن من أهل العلم من ساهم في هذا التلبيس حين سمَّى الأمور بغير أسمائها، وأنزل النوازل غير منازلها، فضلَّ وأضلَّ، وبرَّر للظالم ظلمه، وللمفسد فساده، وشاركه فيه، فإذا عوتب في ذلك انتصر لنفسه وأرغد وأزبد! ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، وما أروع قول **العشماوي**:

قالوا: المثقَّف، قلتُ: ليسَ مُثقَّفًا	من يمنح الأخلاق والدين القفا
ليس المثقَّف من إذا سمع الهوى	لبَّى وإن سمع الأذان تخلَّفا

وإن كنت عالما من العلماء، فإياك أن تلبِّس الحق على الناس، فقد قال تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾.

فلدعاة الباطل في إغواء الناس طريقتان:

الأولى: لبس الحق بالباطل ليظل الحق ملتبِسا على الناس، ويمتزج في أذهانهم بالباطل، وهو ما أشار إليه

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٨٠، ١٨١.
(٢) الآداب الشرعية ١/ ٤٢.

عرف ربه الحق من نطق بكلمة الحق ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين.

ربنا بقوله: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾.

والثانية: كتمان الحق وإخفاؤه ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ ﴾.

ولذا قال **السعدي** يبيِّن موقف فريقي علماء الحق وعلماء السوء:

«فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبَّس الحق بالباطل، فلم يميِّز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتَم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين»[(١)].

٤) الزم أهل الحق

ومن علامات اتباع الحق: اتباع أهله وكراهية عدوِّه.

قال **ابن عقيل**:

«إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة»[(٢)].

والصحبة تُعدي، ولذلك قلَّ أن تجد صالحًا وسط أهل غفلة إلا وغيَّروه.

٥) اثبت على الحق

أخرجه **مسلم** من حديث **ثوبان** رضي الله عنه قال: قال رسُول الله ﷺ:

«لا تزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظاهرين على الحَقِّ لا يضُرُّهُم من خذلهم حتَّى يأْتِي أمر الله وهم كذلك».

ظاهرين على الحق أي أنهم غالبون له ومستمسكون به.

قال **النووي**:

«يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسِّر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٥٠.
(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٢٣٧.
(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٩٥.

ما عرف ربه الحق من سكت عن النطق بكلمة الحق خوفًا أو طمعًا.



إن المواجهة بين الحق والباطل دائمة لا تتوقف لحظة، ولن تهدأ أبدًا ما دام الليل والنهار، وسنة الله في هذا الصراع وحسمه موجزة في قوله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾.

فإذا تمسَّك أهل الحق بالحق دمغوا الباطل وغلبوا أهله، فإن شاب حقهم بعض الباطل ضعف تأثيرهم، فعلا عليهم الباطل، وإن من صفات الباطل الثابتة أنه زهوق، فإذا غلب، فما هذا لقوته؛ بل لعيبٍ في حملة الحق الذين يواجهونه.

٦) انطق بكلمة الحق

ويكون ذلك أوجب وأعظم أجرًا في الحالات التالية:

قول الحق ولو رأيت فيه الهلكة:

قال **الجنيد**:

«حقيقة الصدق أَن تصدق فِي مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب»(١).

وما أخرج آدم وحواء من الجنة إلا الكذب، كذب إبليس.

قال سبحانه عن إبليس:

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١].

وقد جعل **ابن تيمية** حال الكاذب أسوأ من حال البهائم! فقال شيخ الإسلام:

«فالكاذب أسوأ حالاً من البهيمة العجماء، فالكاذب لم يكفه أنه سلب حقيقة الإنسان حتى قلبها إلى ضدها ولهذا قيل: لا مروءة لكذوب»(٢).

والكذب متضمن لفساد الدنيا والآخرة. قال **ابن القيم**:

«كل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يُقعِده ويثبِّطه عن مصالحه ومنافعه، ويثيب الصادق بأن يوفِّقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استُجلِبَت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدها ومضارُّها بِمِثل الكذب»(٣).

في وجه الظالمين لإظهار الحق:

فإن أفضل الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر، وسيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله..

(١) الرسالة القشيرية ٢/ ٣٦٥.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٧٤ بتصرف.
(٣) الفوائد ١٣٦.

عرف ربه من نطق بكلمة الحق ولو كانت سببًا في إيذائه ومضرَّته.

لكن.. لماذا خصَّ السلطان الجائر بالذكر؟!

لأن كلمة الحق عند السلطان العادل لا تضر قائلها لأنه يقبلها، أما الجائر فينتقم من صاحبها أشد الانتقام.

خرج **أبو جعفر المنصور** الملك الجبار، والذي قال فيه الإمام **أحمد**:

رحم الله **ابن أبي ذئب** قال كلمة حق عند **أبي جعفر، وأبو جعفر أبو جعفر!**

كأنه يقول: من يستطيع أن يقول كلمة الحق في وجه هذا الجبار؟!

دخل عليه **ابن أبي ذئب**، فقال **أبو جعفر**: فإني أسألك عن نفسي، فقال: لا تسألني، فقال: أنشدك بالله.. فكيف تراني؟!

قال: اللهم ما أعلمك إلا ظالمًا جائرًا!

فقام إليه **أبو جعفر** وفي يده عمود، قال **الحسن** (الراوي) فجمعت إليَّ ثيابي مخافة أن يصيبني من دمه وقلت: الآن يضربه بالعمود، فجعل يقول له: يا مجوسي! أتقول هذا لخليفة الله في أرضه؟!

وجعل يردِّدها عليه **وابن أبي ذئب** يقول: إنك نشدتني بالله يا عبد الله.

ولم ينله بسوء[١].



إن كلمة الحق في وجه الطغاة مُرّة.. لا يقوى على قولها إلا القلة، فلم يخش قائلوها السيوف المسلَّطة، ولا المصير المظلم، ولا السجون المنتظرة، ولا السياط الملتهبة، بل نظروا فحسب إلى الحق الذي رفعوه؛ ولذا كانت كلمتهم أفضل الجهاد.

وهي وصية النبي **لأبي ذر** ﷺ حيث قال:

«أمرني خليلي ﷺ بِسَبْعٍ:...، وأمرَني أن أقول بِالْحَقِّ وإن كان مُرًّا، وأمرَني أن لا أخاف في الله لوْمة لائم»[٢].

ومن فوائد المجاهرة بكلمة الحق وعدم إسرارها أن يثق الناس بالعالم وعلمه، فلا يقولون: داهن أو نافق أو سكت عن الحق، بل يعرفون أنه قال بملء فيه ما يمليه عليه دينه وضميره.

ومن فوائد الجهر بكلمة الحق أن يشجِّع غيره على الإنكار إن رأى اعوجاجًا، فإن كثيرًا من الناس يقولون: إن سكت العالم فليسكت غيره من باب أوْلى.

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٢٣٢، ٢٣٣.
(٢) صحيح: مسند أحمد رقم ٢١٤١٥ وأخرجه الطبراني والبيهقي.

ما عرف ربه من سكت عن النطق بكلمة الحق، فصار شيطانًا أخرس.





ومن فوائد الجهر بكلمة الحق أن يزداد وعي الأمة، وتصبح قوة مؤثرة فعالة، ولكل فرد منها قيمته، ومكانته ورأيه، وليسوا مجرد أصفار لا يشاركون بالرأي والمشورة.

الفارق بين علماء الحق وعلماء السوء

وكلمة الحق أوجب في حق العلماء لأنهم ورثة الأنبياء، ويلتحقون بعلماء السوء إن نطقوا بالباطل أو جبنوا عن النطق بكلمة الحق.

قال **مصطفى صادق الرافعي** في الفارق بين الفرقتين:

«أتدري يا ولدي ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء وكلهم آخذ من نور واحد لا يختلف؟!

إن أولئك في أخلاقهم كاللوح من البلور، يظهر النور نفسه فيه ويظهر حقيقته البلورية..

وهؤلاء بأخلاقهم كاللوح من الخشب يظهر النور حقيقته الخشبية لا غير!

وعالم السوء يفكر في كتب الشريعة وحدها، فيسهل عليه أن يتأول ويحتال ويغير ويبدل ويظهر ويخفي..

ولكن العالم الحق.. يفكِّر مع كتب الشريعة في صاحب الشريعة، فهو معه في كل حالة يسأله: ماذا يفعل وماذا يقول؟»[1].

كلمة الحق في الغضب:

في الدعاء النبوي:

«وأسألُك كلمةَ الحقِّ في الرِّضَا والغضب».

وقليلٌ من يفعله! فقول الحق في الناس حال الغضب عزيز؛ لأنَّ الغضبَ يحمل صاحبه على أن ينطق خلافَ الحق ويفعل غير العدل، ومَن نطق بالحقَّ في حالتي الغضب والرضا، فهذا دليلُ شِدَّة إيمانه بالله الحق، فيعلو مقامه بين الخلق.

كلمة الحق وإن لم تر لها أثرًا:

كل كلمة حقٍ مؤثِّرَة، لكن لا يلزم أن يظهر أثرها على الفور، فقد تؤثِّر أثرًا بسيطًا لا تراه، فيتكلم غيرك بكلمة أخرى، فتنضم إلى كلمتك، وتتوالى المؤثِّرات حتى تأخذ بيد العبد إلى شاطئ الهداية، ولذلك تجد كثيرًا من الناس يهتدي لطريق الحق فجأة دون سببٍ ظاهر، وما هذا إلا لأن القوم تأثروا بمجموعة مؤثرات: سمعوا نصيحة هنا، ثم تلتها نصيحة هناك، ثم حضروا محاضرة، ثم قرأوا كتابًا، أو عاينوا جنازة، وهكذا تَتَابع الطَرَقات على أبواب القلوب حتى يفتح الله مغاليقها للحق، وترتوي من نهر الهداية.

(١) وحي القلم ٣/ ٤٤.

عرف ربه الحق من صدَّق وعوده وأيقن بها، فمضى لتنفيذ أوامر الله طمعًا في ما عنده.

إن أي كلمة حقٍّ غير ضائعة بوعد الحق في كتابه:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾.

وعلى من وثق بوعد الله الحق أن لا يتردد يومًا ولا يتأخر أبدًا عن النطق بكلمة (الحق)، بل يثق أن ثمرتها ستنمو بفضل ربها، وإن لم ير ذلك بعيني رأسه، لكن عيني قلبه تبصران!

٧) اعدِل ولا تظلم

العدل هو إقامة الحق، والمؤمن أعدل الناس، وكيف لا؟!

وإن سورة كاملة في القرآن كان من أهم مقاصدها إقامة العدل، وتربية المؤمنين عليه، وسُمِّيت هذه السورة بسورة الضعفاء وهي سورة النساء؛ لأنها جاءت لحفظ حقوق النساء والأبناء وأهل الكتاب، وأداء هذه الحقوق ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾؛ ولذا تضمنت أحكام المواريث..

كان **عبد الله بن رواحة** يقول مخاطبًا اليهود رافعًا راية العدل الذي قامت به السماوات والأرض:

«يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليَّ، وما ذاك يحمِلُني أن أحيف عليكم، قالوا: بِهذا قامت السموات والأرض»[1].

٨) تواصوا بالحق واصبروا عليه

كل الناس فـي خسـر، إلا من كمَّل قوته العلمية بالإيمـان بالله، وقوته العملية بطاعة الله، فبهذين يتحقق كمـال نفسه، لكنه عالي الهِمَّة؛ لا يكتفي بنفسه حتى يسعى في كمال غيره بتوصيته بذلك ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾.

ولأن النفس ملولة؛ قد تتخلى عن الحق بعد أن تصل إليه، فقد جاء الأمر لها بالصبر ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

وقد جمع الله بينهما في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣].

إن التواصي بالحق هو الكفيل بغرس اليقين في القلب ودفع (الشبهات)، والتواصي بالصبر هو الكفيل بغرس العزيمة ودفع (الشهوات)، وبالصبر واليقين تُنال الإمامة فى الدين كما أخبر بذلك رب العالمين:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

٩) ثق فـي وعد الحق

تعاملك مع وعود الحق لابد أن يكون بالقبول التام والتصديق الذي لا يخالطه أدنى ريبة أو شك في كل

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٦٩١.

ما عرف ربه الحق من أصغى لوعود الشيطان الباطلة بالفقر إن أنفق، والسعادة إن عصى.



ما أخبر به من الغيبيات؛ لأنها حق وصدق:

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فالله وعده حق، ولن يخلف وعده، ومما وعد به وكتبه على نفسه:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

أيها المؤمن...

هذا حق أوجبه الله على نفسه تفضلاً وتكرمًا أن ينجيك، وأن ينصرك، ما دمت قد أخذت بما شرعه الله وأوجبه، ومن لم يتيقَّن بذلك فما هذا إلا لأنه جاهل. قال **ابن القيم**:

«وإذا اعتقد أن صاحب الحق لا ينصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة، بل قد تكون العاقبة فى الدنيا للكفار والمنافقين على المؤمنين، وللفجار الظالمين، على الأبرار المتقين، فهذا من جهله بوعد الله تعالى ووعيده»(١).

أما إن وثقت بغيره، فليس إلا السراب، والوعود الكاذبة، والأقوال الفارغة، والكلمات الطنانة، ومن ذلك: وعود الشيطان الذي كثيرًا ما يخوِّفك بالفقر ويعِدك به، وتخويفه وهمٌ ووعده باطل

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾.

١٠) إياك والوهم

ومما يضاد الحق: الوهم، ومن حكم **ابن عطاء الله السكندري**:

«ما قادَك مثل الوهم».

وهذه الأوهام غمَرت أكثر الناس اليوم، فيُخيَّل إليهم عكس الحق، ويظنون أن من حولهم يملك ضُرَّهم ونفعهم، وأن الأسباب التي يستعملونها ذات قيمة وفاعلية حقيقية، وأن الجود مفقِر، وأن كلمة الحق تمنع الرزق وتقصِّر الأجل، وأن الزمن زمان فتن والدين يُسْر، فلا مانع من فتح بوابة الحرام قليلاً، وأن الحجاب الشرعي يضيِّع فرص إقبال الخاطبين، وغير ذلك من الأوهام التي تغشى قلوب من لا يعرفون الحق.

وإليكم نموذجًا من هذه الأوهام مما تعرَّض له الشيخ **محمد سعيد البوطي** في مقتبل شبابه مع أقرانه، واسمع الحكاية مباشرة منه:

«وجَّهَني والدي من نعومة أظفاري إلى دراسة الدين والشريعة التفرغ لذلك، وقال لي، وهو يمضي بي إلى أول مدرسة شرعية في دمشق:

اعلم يا بُني، أني لو عرفتُ أن الطريق الموصل غلى الله يكمن في كسح القمامة من الطُرُق، لجعلت منك

(١) إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ٢/ ١٨٠.

عرف ربه الحق من ثبت على الحق ودعا إليه وصبر على تبعاته.

زبالاً!

ولكنني نظرتُ، فوجدت أن الطريق الموصل إلى الله هو العلم به وبِدينه؛ لذا فقد قرَّرتُ أن أسلك بك هذا الطريق، ثم إنه أخَذ عليَّ العهد ألا أجعل قصدي من دراسة هذا العلم أي شهادة أو وظيفة، وأن أقتنع بأي رزق يسوقه الله إليَّ، وبأي عمل كريم يقيمني الله فيه.

كان لي رفقة في مثل سني.. اتجَهوا جميعًا إلى المدارس الحكومية؛ حيث السبيل إلى الشهادات والوظائف، فكان البعض منهم ينصحني ويحذِّرُني من أن سلوكي هذا لن ينتهي بي إلا إلى فقرٍ يجعلني عالة على الناس.. وكان فيهم من يقول لي:

إنه ليس أمامك إلا مستقبل واحد، هو أن تصبِح مغسِّلاً للموتى أو مؤذِّنًا أمام الجنائز!

وكان المفروض -لولا لطف الله بي- أن أستسلم لهذه الأوهام التي كان الرفاق يغزون بها عقلي ونفسي، ولكنها كانت -بحمد الله- تطرق سمعي، ثم لا تترك أي أثر في نفسي، وإني لأتساءل اليوم عن عن الوقاية التي كانت تحميني من تلك التشويشات، ولم أكن قد جاوزتُ السادسة عشرة بعد، فلا أتبين إلا وقاية واحدة كان الله عز وجل يحميني في داخلها:

كنتُ أنفِّذ نصيحة بها والدي، أن أواظِب على أوراد من الأذكار والتلاوات كل صباح ومساء، وكنتُ شديد الحرص عليها، فكيف كانت عاقبة أمري من بعد؟

ينبغي أن أعلِن هنا أن الله لم يضيِّعني، ولم يتركني عالة على الناس كما قد خوَّفني الرفاق، بل أغدَق عليَّ من النِّعَم ما لا يحصيه العَدُّ، وما لم يكن لي فيه مطمع ولا أمل، ولم يتحقق شيء من ذلك بتدبير مني ولا من أبي، ولم يكن شيء من ذلك كله متوقَّعًا ولا داخلاً في الحسبان، ولكنه المصداق الدقيق لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وإن في اولئك الرفاق الذين كانوا يلاحقونني بتحذيراتهم من قد وقعوا في شرٍّ مما حذَّروني منه.

أولئك انقادوا إلى الوهم، فأسلمهم الوهم إلى سوء المصير»(١).

١١) تواضع للحق مع الانقياد له

لأن الخير كله في الحق، وليس بعد الحق إلا الضلال، ومن ردَّ الحق بعد بيانه فهو متكبِّرٌ ظالم لنفسه.

قال رسول الله ﷺ:

«الكبر بطر الحق وغمط الناس»(٢).

(١) الحكم العطائية شرح وتحليل ٢/ ١٢٧، ١٢٨ – محمد سعيد رمضان البوطي- ط دار القلم.
(٢) صحيح: رواه مسلم كما في مختصر مسلم رقم: ٥٤.

ما عرف ربه الحق من أكل أموال الناس ظلما وعدوانا.



يقول الإمام **ابن القيم** وهو يبيِّن إذلال الله لمن تكبَّر عن اتباع الحق:

«كما أن من تواضَع لله رفعه، فكذلك من تكبَّر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه وصغَّره وحقَّره، ومن تكبَّر عن الانقياد للحق -ولو جاء على يد صغير، أو من يبغضه أو يعاديه- فإنما تكبره على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق؛ ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا ردَّه العبد، وتكبر عن قبوله، فإنما ردَّ على الله، وتكبَّر عليه»[1].

١٢) اصدق التوكل على (الحق)

والارتباط جد وثيق بين الحق وبين التوكل على الله.

قال الله عز وجل:

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩]

﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ تعليلٌ صريحٌ للتَّوكلِ على الله بكونه عليه الصلاة والسلام على الحقِّ البيِّن، وكل من كان على الحق فيجب عليه الوثوق بحفظِ الله وكفايته ونُصرتِه وتأييدِه لا محالة، فإن الله هو الحق، وهو ولي الحق، وناصره، ومؤيِّده، وكافي من قام به، فكيف لصاحب الحق ألا يتوكل عليه؟!

وكيف يخاف من كان على الحق؟!

كما قالت الرسل لقومهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

١٣) ثق أن الحق ينصر أولياءه

ثق أن الحق منتصر مهما طالت فترة الصراع بين الحق والباطل، ومهما التبس على الكثيرين أو خذله جمهور المستغفَلين، فإن الحق ينصر أهل الحق، ومن رفع لواء الحق.

ولا تغترَّ بانتفاش الباطل وزبده في وقت من الأوقات فإنه ذاهب، ولكن الله عز وجل يبتلي به العباد ليعلم المؤمن الصادق من المنافق أو ضعيف الإيمان الذين يبهرهم زبد الباطل، فيرتابون في وعد الله ونصرته لأوليائه.

١٤) استمتع باليقين

لو كانت نسبة تكذيب الخبر عندك أكبر من نسبة التصديق، فهذا هو الوهم.

وإذا تساوَت نسبة التكذيب مع نسبة التصديق، فهذه مرتبة الشك.

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٣٣.

عرف ربه الحق من توكل عليه ووثق به فاستراح.

وإن كانت نسبة التصديق في القلب أكبر من نسبة التكذيب، فهذا هو الظن.

وأعلى المراتب: مرتبة اليقين، والتي يكون فيه القلب مشبعًا بالتصديق، فلا وهم ولا شك ولا ظن، وهذا عين الحق، ويُسمَّى في القرآن والأحاديث بعلم اليقين.

ومن هذا اليقين: إيمانك بالجنة والنار والحساب، فلابد أن يكون قطعيًّا لا وهميًّا ولا شكِّيًّا ولا ظنيًّا.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾.

قال المعري:

زعم المنجِّم والطبيب كلاهما لا ... تحشـر الأجســاد قلتُ إليكما

إن صحَّ قولكما فلستُ بخاسرٍ أو ... صحَّ قولي فالخسار عليكما

وهذه عقيدة باطلة، ولا تصلح أن تكون دينًا، بل هي أشبه بالمقامرة، والحق لا يحتمل مثل هذا، وليس مقبولاً معه إلا القطع والجزم.

وهذا الإيمان لابد أن يكون ساريا عند المؤمن في كل وعود الله، فالمُرابي سيُمحَقُ ماله، والزاني سيَفتقر، ومن أطلق بصره سيزداد حسرة، ومن زنى لحق الزنا بأهله، ومن شقَّ على غيره شقَّ الله عليه، فإذا أيقنت بهذه الوعود وأمثالها، وآمنت بها إيمانًا جازمًا، فأنت على الحق.



أسألك باسمك الحق..

أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

أسألك باسمك الحق..

اجعلنا من أهل الحق، وعونا لأهل الحق، ولا تجعلنا على الباطل، واجعلنا أعداءً لأهل الباطل.

أسألك باسمك الحق..

ارزقنا كلمة الحق ولو كان مُرًّا، ولو على الوالدين أو الأقربين.

أسألك باسمك الحق..

ارزقنا مودة أهل الحق وعونهم ونصحهم وموالاتهم.

ما عرف ربه الحق من تناول الباطل لِخفَّته وترك الحق لِتَبِعَته.





أسألك باسمك الحق..

ارزقنا الخضوع للحق وإنفاذه ولو كان على حساب نفوسنا ومصلحتنا.

أسألك باسمك الحق..

ارزقنا اليقين بوعدك الحق إنك أنت الحق.

أسألك باسمك الحق..

ارزقنا كلمة الحق في الغضب والرضا، مع من نحب ومن نبغض.

خامسًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تدعو الله أن يُرشِدك إلى الحق إذا التبس عليك؟			
٢	هل تراجع نفسك في التزام الحق بكل أوامره، وترك الباطل بكل جوانبه؟			
٣	هل توالي أهل الحق، وتعادي أهل الباطل، وينعكس ذلك على عواطفك ومشاعرك؟			
٤	هل كراهيتك لأحد تدفعك لبخس حقه أو الجور عليه؟			
٥	هل تتواصل مع غيرك ممن تعرف أو تُحِب لتتواصى معه بالحق؟			
٦	هل محبتك لفرد أو جهة تجعلك مائلاً إليه بالباطل؟			

عرف ربه الحق من اتبع الحق ولو خالف هواه.

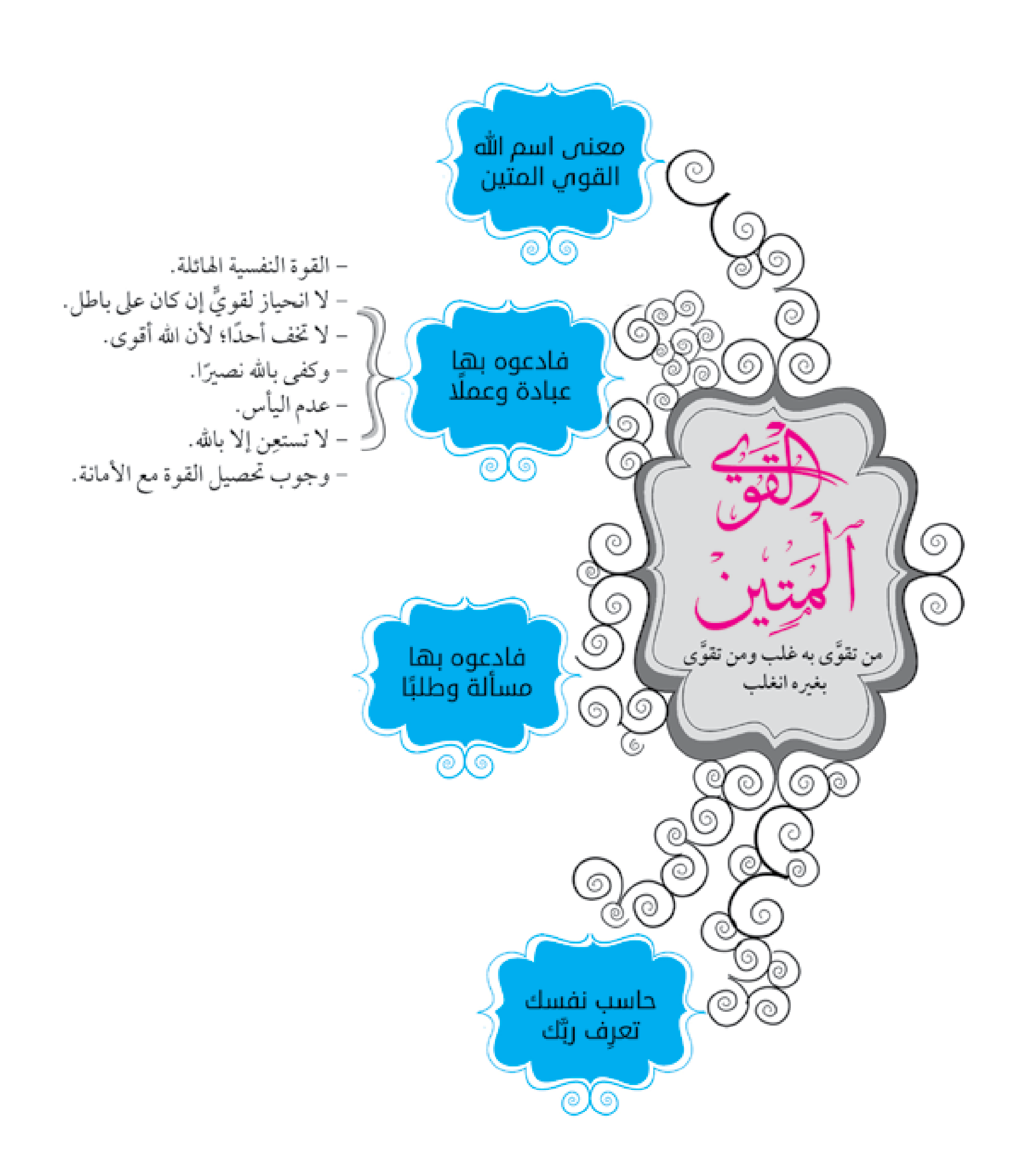


من تقوَّى به غلب، ومن تقوَّى بغيره انغلب

القوي: الذي لا يغلبه غالب، ولا يُرَدُّ قضاءه رادٌّ، التَّامُّ القوة والقدرة، فلا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال.



وإذا استعنت فاستعن بالله..واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك..ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.


القوي المتين
من تقوّى به غلب ومن تقوّى بغيره انغلب
معنى اسم الله القوي المتين
فادعوه بها عبادة وعملًا
- القوة النفسية الهائلة.
- لا انحياز لقويٍّ إن كان على باطل.
- لا تخف أحدًا؛ لأن الله أقوى.
- وكفى بالله نصيرًا.
- عدم اليأس.
- لا تستعِن إلا بالله.
- وجوب تحصيل القوة مع الأمانة.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرف ربَّك



ورد اسمه سبحانه القوي في القرآن الكريم (تسع مرات)، وجاء في أكثرها مقترنًا باسم الله (العزيز)، وورد مرتين مقترنًا بصفة ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، كما في قوله تعالى:

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢٢].

أولاً: معنى اسم الله القوي المتين

قال **الطبري** عند قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

«القوي: الذي لا يغلبه غالب، ولا يرُدُّ قضاءه راد، يَنفُذ أمرُه، ويَمضي قضاؤه في خلقه، شديدٌ عقابُه لمن كفر بآياته، وجحد حجَجَه»(١).

وقال **ابن كثير** في تعريف القوي:

«أي: لا يغلبه غالب، ولا يفوتُه هارِب»(٢).

والعلاقة بين اسمي القوي والقادر ظاهرة، وقد وضَّحها **الزّجّاج** فقال في تعريفه لاسم القوي:

«هو الكامل القدرة على الشيء يقول: هو قادر على حمله، فإذا زدته وصفًا قلت: هو قويٌّ على حمله»(٣).

وفي تعريف آخر أشار إلى ارتباط القوة بعدم العجز قال **الخطابي**:

«هو الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، والمخلوق -وإن وُصِف بالقوة- فإن قوته متناهية وعن بعض الأمور قاصرة»(٤).

قال **ابن القيم** في محاولة لتقريب قوة الله القادر إلى عقل العبد القاصر:

«ولو اجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم، ثم أعطي كل منهم مثل تلك القوة لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حملة العرش»(٥).

وأما اسم المتين، فعنه قال **الغزالي**:

«والمتانة تدل على شدة القوة لله تعالى فمن حيث إنه بالغ القدرة: القوي، ومن حيث إنه شديد

(١) تفسير الطبري ١٠/ ١٧، ١٨.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٢٠.
(٣) تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٨.
(٤) شأن الدعاء ص ٧٧.
(٥) شفاء العليل ١/ ١٠٨.

عرف ربه القوي من خافَه، ولم يخش أحدًا إلا اللّه.

القوة: متين»[1].

وقد اقترن اسما القوي والمتين باسمه الله سبحانه (الرزاق) فقال ﷻ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾.

والسبب أن من أعظم آثار قوة الله تعالى وقدرته: تكفُّله برزق جميع الخلائق، وهو ما لا يقوى عليه إلا الله. يقول الشيخ **السعدي** عند هذه الآية:

«... ومِنْ قوته أن أوصل رزقه إلى جميع العالم»[2].



ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١) القوة النفسية الهائلة

يستمد المؤمن قوته من قوة ربه، ولا يعوِّل على قوة احتماله، فالإمداد من الرب على قدر استعداد العبد، ومن أغلق أبواب قلبه أمام معونة الله عجَزَ عن مواجهة الصعاب واستسلم لها، ومن فتح بوابات القلب لربه على مصراعيها أمدَّه الله بما يجتاز به المحال ويتغلَّب به على الأهوال.

قال **الرافعي**: «من أخصِّ الخصائص الإسلامية في هذه الدنيا:

الثبات على الخطوة المتقدمة، وإن لم تتقدَّم.

وعلى الحق وإن لم يتحقق..

والتبرؤ من الأثرة وإن شحَّت عليها النفس..

واحتقار الضعف وإن حكم وتسلَّط..

ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب..

وحمل الناس على محض الخير وإن ردّوا بالشر..

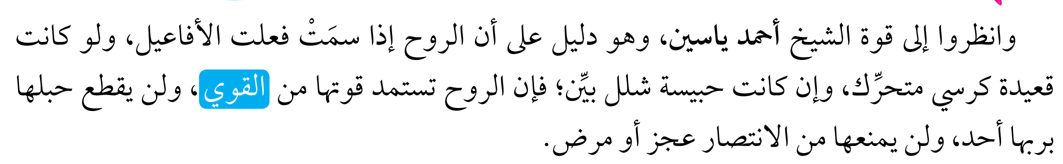
والعمل للعمل وإن لم يأتِ بشيء..

والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة..

وبقاء الرجل رجلاً وإن حطمه كل ما حوله»[3].

(١) المقصد الأسنى ص٨١.
(٢) تفسير السعدي ٥/ ١١٠.
(٣) وحي القلم ٢/ ١٦.

ما عرف ربه القوي من خاف عتاة البشر والطغاة، فأطاعهم في معصية الإله.



وانظروا إلى قوة الشيخ **أحمد ياسين**، وهو دليل على أن الروح إذا سمَتْ فعلت الأفاعيل، ولو كانت قعيدة كرسي متحرِّك، وإن كانت حبيسة شلل بيِّن؛ فإن الروح تستمد قوتها من القوي، ولن يقطع حبلها بربها أحد، ولن يمنعها من الانتصار عجز أو مرض.

وهو ما أكَّد عليه خبراء التنمية البشرية وموارد الأفراد في العصر الحديث من غير المسلمين، ولو علموا نبع قوة المسلم لدخلوا في دين الله أفواجا. يقول **ديل كارنيجي**:

«تتحقق الكثير من الأشياء المهمة في العالم لأولئك الذين أصروا على المحاولة على الرغم من عدم وجود الأمل»!

٢) لا انحياز لقوي إن كان على باطل

يميل الناس مع القوي، فإن كان صالحًا، وإلا فالملتقى جهنم ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾؛ ولذا كانت فتنة الدجال من أعظم الفتن التي ستُمُرُّ على العباد؛ لأنه يملك قوة الخارقة وقدرة الفائقة، وكم في عصر من دجالين جمعوا بين القوة والباطل.

وإليك هذا الموقف الواضح الجلي:

كانوا يقولون عن النبي ﷺ: ساحر، ومجنون، وراهب، وكذاب، فلما امتلك زمام القوة ودخل مكة فاتحًا قالوا عنه وقد تحوَّلوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

وهذا حال كثير من المسلمين اليوم مع علو الباطل وغربة الإسلام وأهله.

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** في تعليقه على انسحاب **عبد الله بن أبي بن سلول** بثُلُثِ جيش المسلمين يوم أحد:

«وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم، إذا ابتُلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا، وينافق أكثرهم أو كثير منهم، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبًا، وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة.

وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسول باطنًا وظاهرًا، لكن إيمانًا لا يثبت على المحنة»[1].

٣) لا تخف أحدًا؛ لأن الله أقوى

قوة الله تعالى فوق كل قوة، وليس أقوى من القوي أحد، فكيف تخاف أحدًا أكثر مما تخاف الله؟!

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٨١.

عرف ربه القوي من لم يُصِبه اليأس في معضلة، ولا تمكَّن منه القنوط في مشكلة.

وكيف تخشى سطوة أمير أو مدير أكثر من خشية لله، والله تعالى يأمرك: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

الله يطلب منك ومن كل مؤمن عبر هذه الآية أن تعقد مقارنة واجبة:

هل تخاف أولياء الشيطان، أم تخاف الله؟

ولا بد أن تحقق الخوف الحقيقي من القوي كعلامة من علامات إيمانك ودليلك عليه، ولهذا قال الإمام **أحمد** لرجل وقد شكا إليه من الخوف: «لو صححْتَ لم تخف أحدًا»[١].

أي من المخلوقين.

٤) وكفى بالله نصيرًا

فلا نطلب النصرة إلا من القوي، وليس النصر للأقوى سلاحًا ولا للأكبر عددًا، بل لمن يريد القوي نصره ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

لقد أنزلَ الله الملائكة يوم بدر، ووظيفتها: بث البشرى والتطمين لا النصر! ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ﴾؛ لأن النصر من الله، مع الملائكة ومن غير ملائكة، فتعلموا الدرس:

اطلبوا النصر منه وحده بعد استعدادكم له، ولا تتعلَّقوا بالسبب عن المُسبِّب.

لا تنتصر أمة من الأمم إلا بإرادة الله عز وجل في أي عصر من العصور، مهما أوتيت من وسائل التقنية الحديثة، ومن العدد والعتاد.

هذه عقيدة راسخة عند من آمن بالله القوي، فهو يعمل كل ما يقدر عليه ولا يعتمد على عمله، بل على قوة من آمن به وجاهد في سبيله.

٥) عدم اليأس

هَبْ أن أسبابك ضاقت بشيء ما، فثق بإله قوي يخرق الأسباب كلها إن أراد، ومن هنا كان اليأس من روْح الله من سمات الكافرين، والذي ييأس من روْح الله فكأنما يعطِّل في نفسه قدرة الله على نواميس الكون، والله خالق هذه النواميس وخالق كل شي، فلا يعجزه شيء.

ولهذا دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب فقال:

«اللهم مُنزِل الكتاب.. سريع الحساب.. اهزم الأحزاب.. اللهم اهزِمهم وزَلزِلهم»[٢].

(١) الآداب الشرعية ٢/ ٣٠.
(٢) صحيح: صحيح مسلم ٣/ ١٣٦٣ كتاب الجهاد، وسنن أبي داود ٣/ ٩٦، وسنن الترمذي ٣/ ١١٣.

ما عرف ربه القوي من تملَّكه اليأس عند الشدائد والمِحَن.



فاستجاب الله له، وردَّ الأحزاب لم ينالوا خيرًا.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾.

ورد الله الذين كفروا بالله ورسوله من قريش وغطفان بغمِّهم، ففاتهم ما أمَّلوا من الظفر بالمسلمين، فلم يصيبوا منهم مالاً ولا أسرى، ولم يحتج المؤمنون إلى منازلتهم ومبارزتهم لطردهم عن بلادهم، بل كفى الله المؤمنين القتال، بأن كان من تدبيره أن أرسل على معسكر المشركين ريحًا عاصفة في ليلة شديدة البرد، فاقتلعت الخيام، وأطفأت النيران، وأطلقت الإبل والخيل من مرابطها، وكأنها تؤذِّن في القوم بالرحيل، فلم يمد أحد منهم يده لنصب خيمته التي اقتلعتها العاصفة، ولم يمسك أحد منهم بزمام فرسه أو خطام ناقته ليعيدها إلى مربطها، بل بدت لهم هذه الريح أنها نفير العودة إلى مكة! ولا يقدر على إجراء الريح بهذه الطريقة إلا القوي سبحانه.

في مسند الإمام **أحمد** من حديث **عائشة** رضي الله عنها أنها قالت عن يوم الخندق:

«وَبَعَثَ الله عز وجل الرِّيح على المشركين، فكفى الله عزَّ وجل المؤمنِين القتال وكان الله قوِيًّا عزيزًا»[(١)].

وهو بيان لما لله سبحانه وتعالى من سلطان قاهر، وقوة غالبة، فلا يملك أحد مع سلطان الله سلطانًا، ولا مع قوة الله قوة.

٦) لا تستعِن إلا بالله

﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة:١٦٥]

يمنح الله العباد القوة من عنده سبحانه، فهذا عبد يقوّيه الله على طاعته، وذاك عبد يقوّيه على كسب المال، وذاك عبدٌ يقوّيه على ظلم الآخرين، وذاك عبدٌ يقويه على الشرك، فلا قوة إلا بالله، فهو الذي قدَّر ذلك، وإذا أمر بنزع القوة من أحد نَزَعها سبحانه، ويبقى هو المتفرِّد سبحانه بالقوة والعزة والقهر والجبروت.

ولذا ما أجمل أن تردِّد (لا حول ولا قوة إلا بالله)، والأمر النبوي فيها جاء بالإكثار دومًا، فقال:

«أكثِر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنز الجنة»[(٢)].

وقد جعل ترديدها مع كل أذان:

«كان إذا سمع المؤذن قال مثل ما يقول، حتى إذا بلغ (حي على الصلاة، حي على الفلاح) قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»[(٣)].

(١) السلسلة الصحيحة ١/ ١٤٣ رقم: ٦٧.
(٢) صحيح: رواه الطبراني وابن حبان عن أبي أيوب كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٠٥.
(٣) صحيح: أخرجه أحمد وابن السني كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٠٧٥.

عرف ربه القوي من استعان به في كل شؤونه، وتبرَّأ من حوله وقوته.

وسبب ذلك أن المسارعة إلى الصلاة وإلى الفلاح لا تكون إلا بأن يمنحك الله القوة عليها.

ولذا فهي كنز من كنوز العرش، وهي كذلك علامة إسلام واستسلام لله، وهذا ما قاله الله في ردِّه على عبده الذي قال (لا حول ولا قوة إلا بالله)، واسمع الحديث:

«ألا أدُلُّك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم»[1].

٧) وجوب تحصيل القوة مع الأمانة

تواجهنا اليوم المجتمع أزمة كفاءة مع تفشي المحسوبية أو الطبقية أو العصبيات الأسرية والقبلية والعنصرية في بيئات العمل، وأصبح من أهم مظاهر الفساد في مؤسساتنا: عدم جعل القوة والكفاءة معيارَ التقويم والتقديم والتوظيف والرعاية، وقد قال الله تعالى على لسان ابنة نبي الله **شعيب**: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦].

وكان من آثار هذا الخلل: إبعاد الجادين والمخلصين وأهل الكفاءة لصالح الأقرباء والأصدقاء وأهل الثقة، فضاعت الأمانة بتوسيد الأمر لغير أهله، وهي علامة من علامات الساعة.

إن قوة بغير أمانة كفيلة بأن تنتِجَ الطغاة في الأرض وتنشر الظلم والعدوان، وإن أمانة مع ضعفٍ كفيلة بأن تُفسِد من حيث ارادت الإصلاح، فلا بد لنا -إن أردنا النهوض- من هاتين الصفتين: القوة والأمانة.

قال ابن تيمية:

«الولاية لها ركنان: القوة والأمانة.

والقوة في كل ولاية بحسبها؛ فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها؛ فإنَّ الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال: من رمي وطعن وضرب وركوب وكر وفر ونحو ذلك.

والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام.

والأمانة ترجع إلى خشية الله وألا يشتري بآياته ثمنا قليلا، وترك خشية الناس؛ وهذه الخصال الثلاث التي أخذها الله على كل من حكم على الناس؛ في قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾»[2].

(١) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة كما في الترغيب ٢/ ٢٥٥، والمشكاة رقم: ٢٣٢١.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨ / ٢٥٣، ٢٥٤.

ما عرف ربه القوي من قصَّر في التوكل والاعتماد عليه.

ومن عرف الله باسمه القوي استمد من قوته، وسعى في تحصيل كل ألوان القوة النفسية والبدنية والمهنية والعلمية والإدارية، وتقرَّب إلى الله بهذا العمل، وسدَّ هذه الثغرة.

إن فارقًا كبيرًا بين القوة والأمانة، **فأبو ذر الغفاري** الذي شهد له عليه الصلاة والسلام بصدقه وأمانته، فقال: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من **أبي ذر**»، جاء إلى النبي ﷺ قائلاً: ألا تستعملني؟ فضرب عليه الصلاة والسلام بيده على منكب **أبي ذر** وقال:

«يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقِّها، وأدى الذي عليه فيها»[1].

وضعفه هنا ضعف في الصحة أو ضعف في شؤون الإدارة، وهي لا تعيب دينه لكن تعيب قدرته على الحكم بين الناس.

لقد تمنى **الفاروق** في يوم من الأيام أن يكون ملء مجلسه رجالٌ من أمثال **سعيد بن عامر الجمحي**، وكان يقول: «من سرَّه أن ينظر إلى رجل نسيج وحده فلينظر إلى **سعيد بن عامر**»[2]، ولعل من أسباب هذا أن قوة **سعيد** رضي الله عنه، فقد ولي **لعمر** حمص، والتي كانت تُسمّى الكويفة الصغرى تشبيها لها بالكوفة لكثرة شكوى أهلها من ولاتهم، فأحسن إدارتها وسياسة رعِيَّتها.

ولقد شكا أهل الكوفة **سعد بن أبي وقاص**، فعزله **عمر** حسما للفتنة والشر وهو من المبشَّرين بالجنة! وقال:

من يعذرني من أهل الكوفة، إن ولَّيتُ عليهم التقي ضعَّفوه، وإن ولَّيتُ عليهم القوي فجَّروه، فقال له **المغيرة بن شعبة**:

يا أمير المؤمنين، إن التَّقي الضعيف له تقواه وعليك فجوره، والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره، فقال:

«صدقت، أنت القوي الفاجر فاخرج إليهم»[3].

اجتماع القوة والامانة قليل

أكثر الناس اليوم: قوي لا يؤتمن، وأمين عاجز، فما العمل إذا لم تجتمع القوة الأمانة في الشخص؟!

(١) صحيح: رواه مسلم عن أبي ذر كما في صحيح الجامع رقم: ٧٨٢٣.
(٢) البداية والنهاية ٤/ ٧٦.
(٣) العقد الفريد ١/ ٢٢.

عرف ربه القوي من استعمل قوته في إعانة الضعيف ونصرة المظلوم.

يقول **ابن تيمية**:

«اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل؛ ولهذا كان **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يقول: اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة.

فالواجب في كل ولايةٍ الأصلح بحسبها، فإذا تعيَّن رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة؛ قُدِّمَ أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررا فيها؛ فيُقدَّم في إمارة الحروب: الرجل القوي الشجاع -وإن كان فيه فجور- على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا؛ كما سئل الإمام **أحمد**: عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى؟

فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه؛ وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيُغزى مع القوي الفاجر.

ولهذا كان النبي ﷺ يستعمل **خالد بن الوليد** على الحرب منذ أسلم وقال: {إن خالدا سيفٌ سلَّه الله على المشركين}؛ مع أنه أحيانا قد كان يعمل ما ينكره النبي ﷺ حتى إنه -مرة- قام ثم رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد)؛ ومع هذا فما زال يُقدِّمه في إمارة الحرب؛ لأنه كان أصلح في هذا الباب من غيره، وفَعَل ما فَعَل بنوع تأويل»[1].

وبقيت هنا كلمة:

إن حيازة كل ألوان القوة فرض عين على الأمة المسلمة اليوم، وكيف ضلَّت الطريق إليه وربها **القوي** قد دلَّها عليه؟!

إن يهود اليوم هم أساتذة العالم في **القوي** وتوظيفها واستغلالها، وهو ما يوجب علينا مزيد التفكير والتأمل في ما ينبغي عمله، فإننا نمتلك (الأمانة)، وهم يمتلكون (القوة)، فهل نسعى إلى امتلاك القوة المقيدة بطهارة الأمانة ليذوق العالم روائع الإسلام وخيره العميم؟!

ثالثًا: فادعوه بها دعاء ومسألة

أسألك باسمك القوي..

أعنا على ضعف نفوسنا ووهن قلوبنا، واجعلنا من المنتصرين..

(١) مجموع الفتاوى ٢٨ / ٢٥٤، ٢٥٥.



أسألك باسمك القوي..

اللهم أعنا على ما حمَّلتنا، ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به يا رب العالمين.

أسألك باسمك القوي..

قوِّنا على عدونا وانصرنا عليه، واجعل لنا الدائرة عليه..

أسألك باسمك القوي..

أعنا على ترك المنكرات، ومجانبة الشبهات يا رب الأرض والسماوات.

أسألك باسمك القوي..

اللهم وفقنا لطاعتك ومرضاتك، وخذ بنواصينا إلى طريق جناتك، وألهمنا الرشد والصواب.

رابعًا: حاسب نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تيأس من عدم ظهور نتيجة فورية لعملك أو عدم بلوغ هدفك بسرعة؟			
٢	هل تنحاز للقوي البطل على حساب صاحب الحق الضعيف؟			
٣	هل يدفعك الخوف من قوي ذي بطش أن تنافق أو تسكت عن حق؟			
٤	هل تستنصر غير الله في ما يقابلك من معارك ومشاق؟			
٥	هل تيأس إذا انقطعت بك الأسباب؟			
٦	هل تستعين بغير الله عند العجز والاحتياج؟			

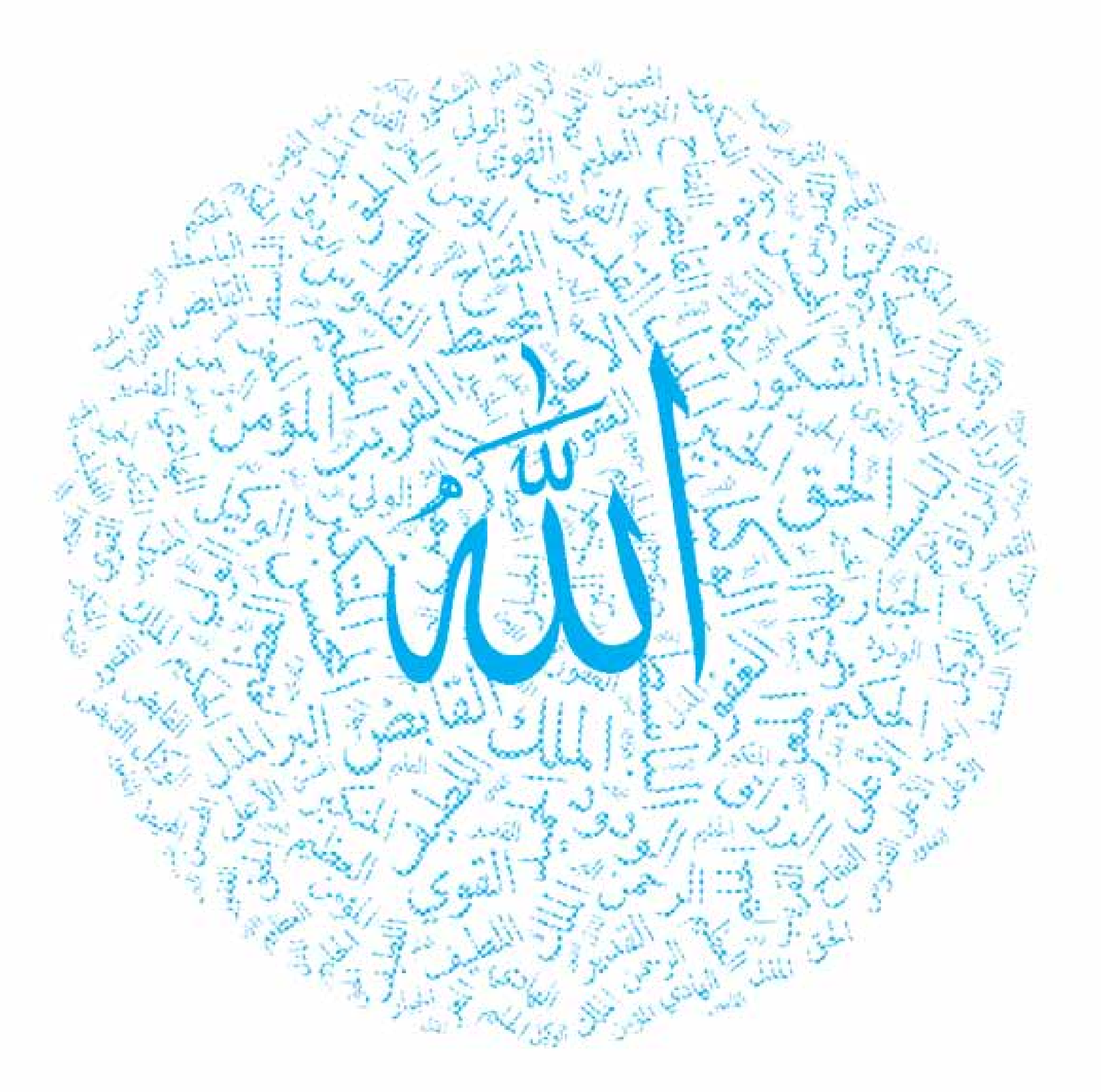
عرف ربه القوي من استعان به على ضعفه وعجزه.



إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى



اسم الله الأعظم



أولاً: تفاضل الأسماء الحسنى

مرَّ بنا أنَّ أسماء الله الحسنى غيرُ محصورةٍ في عدد معيَّن، وأنَّ قول النبي ﷺ: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجَنَّة» لا يفيد حصر الأسماء الحسنى في هذا العدد، وإنما يفيد الدلالة على أفضيلة هذه الأسماء، وهو دليلٌ على تفاضل الأسماء الحسنى خلافًا لمن نفى ذلك. قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**:

«وقول من قال صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك قولٌ لا دليل عليه..، وكما أنَّ أسماءه وصفاته متنوعة فهي أيضًا متفاضلة كما دلَّ على ذلك الكتابُ والسنةُ والإجماعُ مع العقل»[(١)].

ومن هذا اختصاص اسم الله الأعظم بالأفضلية على باقي الأسماء الحسنى، وليس معنى القول بتفاضل الأسماء أن يكون في الاسم المفضول مظنة العيب والنقص، وإنما يكون هناك فاضل وأفضل، وحسَنٌ وأحسن، وعظيم وأعظم.



ثانيًا: ما هو اسم الله الأعظم

قال الإمام **الشوكاني**:

«وقد اخْتُلِف في تعيين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولاً، قد أفردها السُّيوطي بالتصنيف»[(٢)].

وقد أسمى كتابه هذا (الدر المنَظَّم في الاسم الأعظم)، لكن لم يثبت من أحاديث الاسم الأعظم إلا أربعة صحيحة وردت حول اسم الله الأعظم:

١) حديث **أنس** رضي الله عنه:

قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ في المسجد ورجل يصلي فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم أسألك، فقال النبي ﷺ:

«دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى»[(٣)].

٢) حديث **بُرَيْدَة** رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول:

اللهم، إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٢١١، ٢١٢.
(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ١/ ٨٣ - الشوكاني - دار القلم.
(٣) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة كما في مشكاة المصابيح رقم: ٢٢٩٠.



له كفوًا أحد، فقال:

«لقد سألت الله بالاسم (وفي رواية: باسمه الأعظم)، الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب»[1].

قال ابن حجَر:

«وهو أرجح من حيث السَّنَد من جميع ما ورد»[2].

٣) حديث أبي أمامة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ:

«اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه»[3].

٤) حديث أسماء رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ:

«اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ وفاتحة آل عمران ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾»[4].

ونخرج من هذه الأحاديث بخمس فوائد:

الفائدة الأولى:

هذه الأحاديث ليست صريحة في تحديد اسم الله الأعظم، بل فيها إشارات عليه ودلالات ومواطن وجوده، فلم تحدِّد الاسم الأعظم على وجه التعيين.

الفائدة الثانية:

لم يرِد بين هذه الأحاديث لفظ مشترك نستطيع أن نقول معه أنه الاسم الأعظم.

الفائدة الثالثة:

جاء في حكمة إخفاء الله تعالى لاسمه الأعظم أنه شبيه بإخفاء ليلة القدر في رمضان كي يجتهد الناس في العبادة التماسًا لها، وإخفاء ساعة الاجابة في يوم الجمعة حتى يكثر وينشط طُلّابها، وإخفاء تحديد التسعة والتسعين اسمًا التي مَنْ أحصاها دخل الجنة حتى يجتهد العبد في الثناء على ربه بما استطاع من الأسماء المبثوثة في آيات القرآن والأحاديث النبوية.

الفائدة الرابعة:

ذهب بعض العلماء إلى تحديد بعض الأسماء على أنها الاسم الأعظم مثل (الحي القيوم) أو (ذو الجلال

(١) صحيح: صححه ابن حبان رقم: ٨٨٨ وصحيح أبي داود رقم: ١٣٤١.
(٢) فتح الباري ١١/ ٢٢٥.
(٣) صحيح: رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم عن أبي أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ٩٧٩ والصحيحة رقم: ٧٤٦.
(٤) حسن: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن أسماء بنت يزيد كما في المشكاة رقم: ٢٢٩١ وصحيح أبي داود رقم: ١٣٤٣.

عرف ربه باسمه الأعظم من حفظ ما ورد فيه من الأحاديث المأثورة وحافظ عليها.

والإكرام)، ومن هؤلاء شيخ الإسلام **ابن تيمية** الذي قال عنه تلميذه **ابن القيم**:

«وقال لي شيخنا يومًا: لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم»(١).

وهي اجتهادات غير مبنية على أدلة قاطعة؛ ولذا كثرت الآراء في تحديد الاسم الأعظم.

الفائدة الخامسة:

القول بأن اسم الله الأعظم سِرٌّ اختص الله به بعض خلقه دون غيرهم قولٌ باطل ولا دليل عليه، وقد استغل هذا القول بعض غلاة الصوفية وادَّعوا أن الله اختص أولياءهم بهذا الاسم، فتعلَّقت بهم قلوب العوام، وظنوا أن لديهم ما ليس عند غيرهم، وهو وَهْم.

ثالثًا: هل الإجابة محصورة على الاسم الأعظم؟!

الثابت القطعي أن من حقَّق شروط إجابة الدعاء، وانتفت عنه موانع الإجابة، استجاب الله له وإن لم يدعُه باسمه الأعظم، ولهذا وجدنا غير واحد من الصالحين يلفت قلوب من سأله عن الاسم الأعظم إلى ضرورة استكماله لشروط إجابة الدعاء، فليس أمر الاسم الأعظم -كما يظن البعض- كلمة سِحْرية يردِّدها البعض ليضمن الإجابة على الفور مهما كان حاله.

قال رجل **لأبي الربيع السائح**:

علِّمني اسم الله الأعظم.

قال: معك دواة وقرطاس؟

قال: نعم.

قال:

«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم.. أطِعْ الله يُطِعْك»(٢).

لكن اسم الله الأعظم ليس حروفا سحرية يفوز بها الجميع وإن تخلى عن شروط الإجابة، ومهما استجلب من أسباب عدم الإجابة، فعدل الله وحكمته يأبيان هذا، وقد قيل **لأبي يزيد البسطامي**:

علِّمني اسم الله الأعظم.

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى ١/ ١٧٧.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٩٦.



قال:

«ليس له حدٌّ محدود، إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته، فإذا كنتَ كذلك فارفع إليه أي اسم شئت»(١).

وسئل شيخٌ عن الاسم الأعظم فقال لسائله:

يا ابن أخي.. تعرف قلبك؟

قال: نعم.

قال:

«فإذا رأيته رَقَّ وأقبل، فَسَل الله حاجَتك، فذلك اسم الله الأعظم»(٢).

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٩.
(٢) حلية الأولياء ١٢/ ١٦٣.



أولاً: أذكار الأحوال والصباح والمساء

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**:

«فضل عموم الدعاء على خصوصه كفضل السماء على الأرض»(١).

وقال عن فضل المؤمنين:

«وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يُغلَب، والجند الذي لا يُخذَل»(٢).

وقال الإمام **الرازي**: «الدعاء كلما كان أعم، كان إلى الإجابة أقرب»(٣).

	الدعاء	العدد أو الوقت	فضلها
١	«يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلَّه ، و لا تكلني إلى نفسي طرفة عين».	عند الكرب أو في أي وقت	دعاء المكروب
٢	«اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه، وأعوذ بك من شرِّ ما فيه، وشرِّ ما قبله وشر ما بعده».	مرة واحدة في الصباح وفي المساء	
٣	« سيِّدُ الاستغفار أن يقول العبدُ: اللَّهمَّ أنت ربِّي لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمَتِك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت».	مرة واحدة في الصباح وفي المساء	من قاله حين يصبح فمات دخل الجنة، ومن قاله حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة.
٤	«اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.. اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».	عند استفتاح قيام الليل	

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٧٥

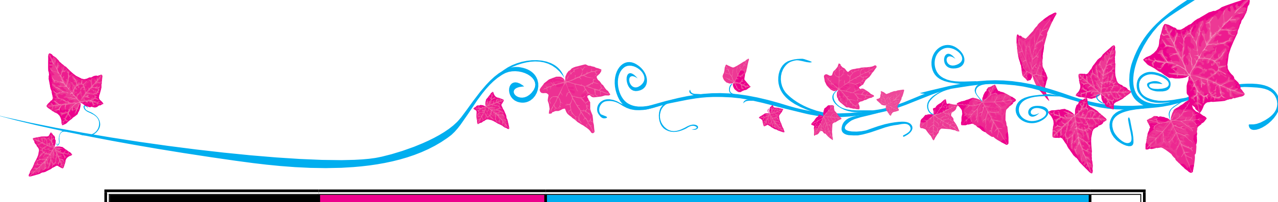
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨ / ٦٤٤

(٣) تفسير الرازي ١/ ٢٥٧.



	الدعاء	العدد أو الوقت	فضلها
٥	«اللهمَّ لكَ الحمْدُ أنت قيِّم السَّماواتِ والأرض ومَن فِيهن، ولكَ الحمْدُ، لكَ ملك السَّماواتِ والأرض ومَن فِيهن، ولكَ الحمْدُ أنت نورُ السَّماواتِ والأرض، ولكَ الحمْدُ، أنت الحق، ووعْدُكَ الحق، ولقاؤُكَ حق، وقولكَ حق، والجنَّة حق، والنارُ حق، والنبيون حق، ومحمَّدٌ ﷺ حق، والسَّاعة حق، اللهمَّ لكَ أسلمْت وبكَ آمَنت، وعليْكَ توكَّلت، وإليْكَ أنبْت، وبكَ خاصَمْت، وإليْكَ حاكَمْت، فاغفِر لي مَا قدمْت ومَا أخرت، ومَا أسرَرت ومَا أعْلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤَخرُ، لا إلهَ إلا أنت».	عند استفتاح قيام الليل	
٦	«الحمد لله الذي كفاني وآواني. الحمد لله الذي أطعمني وسقاني. الحمد لله الذي مَنَّ عليَّ وأفضلَ، اللهم إنِّي أسألك بعزَّتك أنْ تُنَجِّيَني من النّار».	مرة واحدة عند النوم	
٧	«اللَّهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».	من أدعية الاستفتاح في الصلاة	
٨	«لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعْطِيَ لما منعت، ولا ينفعُ ذا الجَد منك الجد».	بعد كل صلاة مكتوبة	
٩	«اللهمَّ أعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسنِ عِبَادَتك».		
١٠	«اللَّهُمَّ أعوذ بِرضاك من سخطِك، وبِمعافاتِك من عقوبتك، وأَعوذ بِكَ منك، لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسِك».	في السجود	





	الدعاء	العدد أو الوقت	فضلها
١١	«اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجلَّهُ، أَوَّلَهَ وَآخِرَهُ، عَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ».	في السجود	
١٢	«سُبُّوح قدوسٌ رب الملائكة والروح».	في الركوع والسجود	
١٣	«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة».	في الركوع والسجود	
١٤	«رَبِّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي واجْبُرْني وارفعني وارْزُقْني واهْدِني».	في الجلسة بين السجدتين	
١٥	«اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم».	عقب التشهد	
١٦	«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».	بعد كل صلاة مكتوبة	
١٧	«اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقِنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت».	في قنوت الوتر	
١٨	«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم».	عند دخول المسجد	حُفِظ سائر اليوم
١٩	«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم».	عند الكرب	



	الدعاء	العدد أو الوقت	فضلها
٢٠	«بسم الله وضعت جنبي.. اللهم اغفر لي ذنبي، واخسأ شيطاني، وفكَّ رِهاني، وثقِّل ميزاني، واجعلني في الندِيِّ الأعلى».	عند النوم	
٢١	«اللهم أسْلمْت وَجْهِي إليْكَ، وَفوَّضْت أمْرِي إليْكَ، وَألْجَأْت ظَهْري إليْكَ، رَغبَة وَرَهْبَة إليْكَ، لاَ ملجَأ وَلاَ منجى منكَ إلَّا إليْكَ، اللهم آمنت بِكِتابِكَ الذي أنزَلت، وَبِنبِيِّكَ الذي أرسَلت».	مرة واحدة قبل النوم	إن مِتَّ من ليْلتِكَ فأنت على الفِطرَة، وأوصاك رسول الله: اجْعلهُن آخِرَ ما تتكَلم به
٢٢	«اللهم ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم، كن لي جارًا من فلان بن فلان وأحزابه من خلائقك؛ أن يفرُطَ عليَّ أحدٌ منهم، أو يطغى، عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله إلا أنت».	من خاف أحدًا	دعاء عبد الله بن مسعود رضي الله عنه



ثانيًا: أدعية جامعة مأثورة

	الدعاء	الفضل (إن وُجِد)
١	«... واهدِني لأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقِني سيئ الأخلاق والأعمال؛ لا يقي سيئها إلا أنت».	
٢	«اللهم اهدِني وسدِّدني».	
٣	«اللهم إني أسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغِنى».	
٤	«اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي، واجعلني هَادِيًا مَهْدِيًّا».	
٥	«اللَّهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون».	
٦	«اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبِّتني، وثقِّل موازيني، وحقِّق إيماني، وارفع درجاتي، وتقبَّل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة. اللهم إني أسألك فواتح الخير، وخواتمه، وجوامعه، وأوَّله، وآخره، وظاهره، وباطنه، والدرجات العلا من الجنة.. آمين. اللهم إني أسألك خير ما آتي، وخير ما أفعل، وخير ما أعمل، وخير ما بطن، وخير ما ظهر، والدرجات العلا من الجنة.. آمين. اللهم إني أسألك أن ترفَع ذكري، وتضَع وِزْري، وتُصلِح أمري، وتُطهِّر قلبي، وتُحصِّن فرجي، وتنوِّر لي قلبي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة.. آمين. اللهم إني أسألك أن تُبارِك لي في نفسي، وفي سمعي، وفي بصري، وفي روحي، وفي خَلْقي، وخُلُقي، وأهلي، وفي محياي، وفي مماتي، وفي عملي، وتقبَّل حسَناتي، وأسألك الدرجات العُلا من الجنة، آمين».	



	الدعاء	الفضل (إن وُجِد)
٧	«اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهِّرني بالبرد والثلج والماء البارد، اللهم طهِّرني من الذنوب، ونقِّني كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدَّنَس».	
٨	«اللهم إني أدعُوك الله، وأدعُوك الرحمن، وأدعُوك البَر الرحِيم، وأدعُوك بأسمائِك الحُسنى كُلها ما عَلمت منها وما لم أعلم.. أن تغفرَ لي وترحمنِي».	
٩	«اللهم انفعني بما علَّمتني، وعلِّمني ما ينفعني، وارزقني علمًا تنفعني به».	
١٠	«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، وأنت على كل شيء قدير».	
١١	«اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء».	
١٢	«اللهم طهِّرني من الذنوب بالثلج والبرد والماء، اللهم طهِّرني من الذنوب كما يُطهَّر الثوب من الدنس».	
١٣	«اللَّهم إِنِّي أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلُمُّ بها شعْثي، وتُصْلِح بها غائبي، وترفع بها شاهِدي، وتُزَكِّي بها عملي، وتَرُدُّ بِها أُلْفَتي، وتُغْنيني بِها عن من سِواك، اللهمَّ أَنْزَلْتُ بِك حاجتي، وإن قَصُرَ رأْيي وضَعُفَ عملي، وافْتَقَرْتُ إلى رحمتك، اللهم ما قصُر عنه رأْيي، ولم تبلُغْه مسألتي مِنْ خيْرٍ، أو خَيْرٍ أنتَ مُعْطيه أحدًا مِنْ عِبادك، فإِنِّي أرغبُ إليكَ فيه وأسألكه بِرَحمتِك يا ربَّ العالمين».	
١٤	«اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي، اللهم أنعشني، واجبرني، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق؛ فإنه لا يهدي لصالحها، ولا يصرف سيئها إلا أنت».	
١٥	«اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله.. ما علمتُ منه وما لم أعلم.. وأعوذ بك من الشرِّ كله عاجله و آجله.. ما علمت منه وما لم أعلم».	عليك بِجُمَل الدعاء وجوامعه
١٦	«اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزَن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال».	

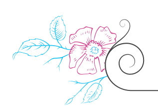




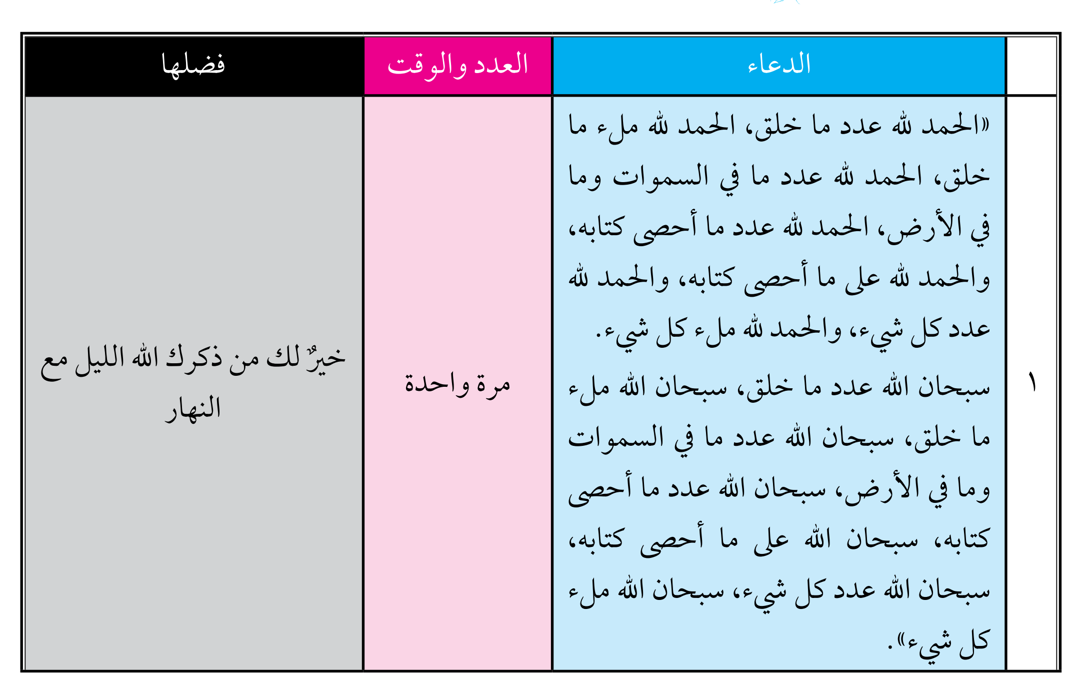
	الدعاء	الفضل (إن وُجِد)
١٧	«اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتَك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي».	أذهب الله همه وحُزنَه، وأبدله مكانه فرَجا
١٨	«اللَّهم انْفَعْني بما عَلَّمتني، وعَلِّمني ما ينفعني، وزِدْني علمًا».	
١٩	«يا ذا الجلال والإِكرام».	«ألظّوا بيا ذا الجلال والإِكرام»
٢٠	«اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف، اللهم عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، إله الحق آمين».	
٢١	«رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور».	١٠٠ مرة في المجلس الواحد
٢٢	«اللهم بِعِلمكَ الغيْب وقدْرَتِك على الخَلقِ، أحيني ما علِمْت الحَيَاةَ خيرًا لي، وتوفني إذا علِمْت الوفاة خيرًا لي».	
٢٣	«اللهم أرِنا الحق حقًّا فنتبعه، والباطل باطلاً فنجتنبه، ولا تجعل ذلك علينا متشابهًا، فنتبع الهوى»	من دعاء أبي بكر الصديق



	الدعاء	الفضل (إن وُجِد)
٢٤	«اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم أسألك....».	وردت الأحاديث بأنه اسم الله الأعظم
٢٥	«اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد».	



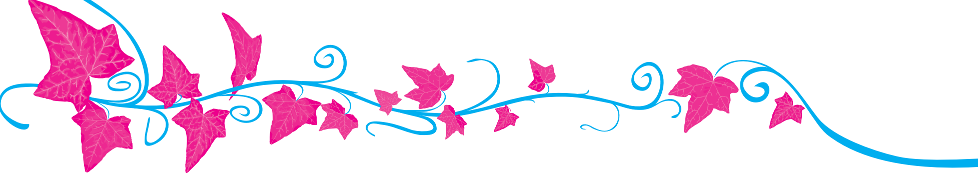
ثالثًا: أذكار مأثورة عامة



	الدعاء	العدد والوقت	فضلها
١	«الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السموات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله على ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء. سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في السموات وما في الأرض، سبحان الله عدد ما أحصى كتابه، سبحان الله على ما أحصى كتابه، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء».	مرة واحدة	خيرٌ لك من ذكرك الله الليل مع النهار



	الدعاء	العدد والوقت	فضلها
٢	سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر	مطلقًا	أطيب الكلام، وأحب الكلام إلى الله، وأحب إلى رسول الله مما طلعت عليه الشمس
		١٠٠ مرة	مائة تسبيحة تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل. مائة تحميدة تعدل مائة فرس مُسرجة ملجمة يُحمَل عليها في سبيل الله. مائة تكبيرة تعدل مائة بدَنة مُقلّدة متقبّلَة. مائة تهليلة تملأ ما بين السماء والأرض. ولا يُرفَع يومئذ لأحدٍ عملٌ إلا أن يأتي بمثل ما أتيتِ به
٣	لا حول ولا قوة إلا بالله	مطلقًا	كنز من كنوز الجنة، وباب من أبواب الجنة
٤	لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.	١٠٠ مرة في اليوم	كانت له عدل عشر رقاب، وكُتِبَت له مائة حسنة، ومُحِيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك



	الدعاء	العدد والوقت	فضلها
٥	«لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحكيم الكريم، لا إله إلا الله، سبحان الله، رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين».	مطلقًا	غفر الله لك وإن كان مغفورًا لك
٦	سبحان الله العظيم وبحمده	مرة واحدة	غُرِسَت له نخلة في الجنة
		١٠٠ مرة	لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ قال مثل ذلك، وزاد عليه



الفهرس

تم بحمد الله